

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية

التشريف المرنظلا وأدابه

٢٧٧٨

رسالة

مقدمة إلى كلية اللغة العربية (جامعة الأزهر)
لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد

اعلاد

محمد بن عبد الرحمن المطروقي

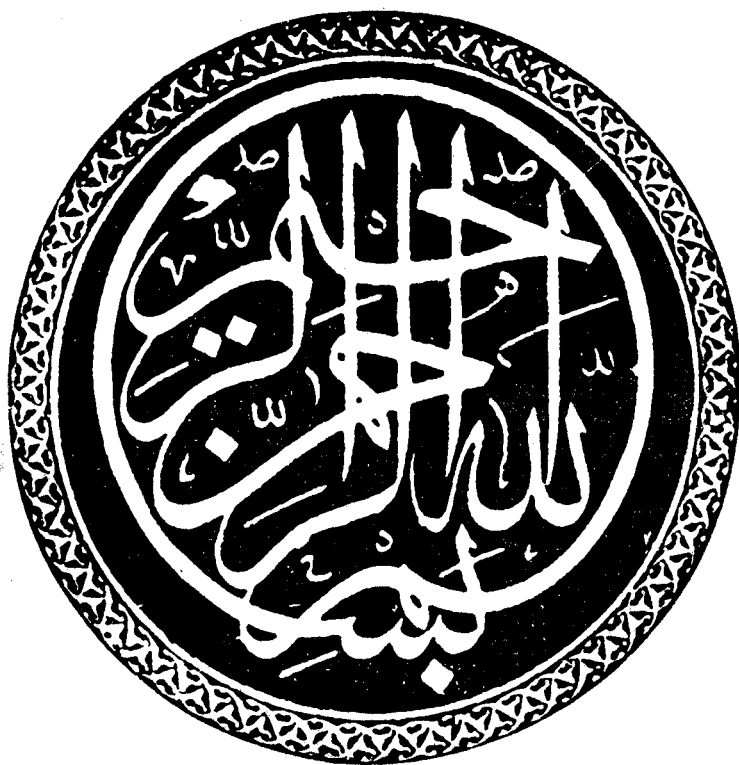
٧٩٢



إشراف

الأستاذ الدكتور
عبد السيد باصبي

١٤٢٩ هـ - ١٩٧٩ م



نسخ و طبع و تجلید
الجریسی
ت ۹۰۵۰ من ۶ ال ۲۹

" بسم الله الرحمن الرحيم "

:: المقدمة ::

~~~~~

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم  
الأنبياء والمرسلين ، المبعوث هدى ورحمة للناس بلسان عربى مبين ، صلى الله  
عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ..

وبعد ...

يسرنى أن أتحدث عن الأسباب التى دفعت بى الى البحث فى هذا الموضوع  
( الشريف المرتضى وأدبه ) وأبين بايجاز أهم ما وصلت اليه من خلال الدراسة  
فأقول :

تضافرت البواعث التى دفعت بى الى بحث هذا الموضوع وأهمها ،  
أن أسهم فى البحث عن كنوزنا الادبية التى لا تزال - على الرغم مما كتب  
عنها - مهجورة فى أدبنا العربى ، وأشارك فى وضع لجنة من لبنات نشر الأمة  
لآثار أدبائها ومآثر علمائها وأيضاً لأنه من الشخصيات الأدبية ذات المستوى  
الثقافى الممتاز ، والآثار القيمة فى الآداب والعلوم ومختلف المعارف ولنسبه أيضاً  
فالشريف المرتضى ، علم الهدى أبو المجددين ، نقيب نقباء الطالبين ، وفقه  
الشيعة الامامية الأواحد فى عصره ، وعلامة المفسرين المتصرفين فى فنون القول وشيخ  
الأدباء فى دهره ، ومرجعهم فى أدبهم وحاجاتهم ، والقائم بأمر دار العلم  
التي كانت أعظم معهد للعلوم والآداب ان ذاك ، كذلك نسب الشريف المرتضى  
قد شدنى للبحث ، فحينما ينسب فالى شرف رفيع ، فهو أبو القاسم على بن الطاهر  
ذى المناقب أبى أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى الأبرش بن ابراهيم  
ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن  
الحسين بن على بن أبى طالب طيب الله ثراه وقد ينسب الى جده موسى الكاظم

فيقال " الموسوى " .

فهو قد ولد بين أحضان أسرة تنتمى الى النبی صلی الله عليه وسلم .

ولعدم نيل هذا العالم الأديب ما يستحقه من رعاية ودراسة وعناية ففى العصر الذى نعيش فيه أردت أن أسهم فى توضيح مآثره وآثاره ، وأدبه وعلومه ، ومكانته بين معاصريه ، والعوامل التى شكلت شخصيته الأدبية والعلمية .

أما المنهج الذى أتبعته فى دراستى وبحثى ، فقد سبقه الاطلاع على جملة مؤلفات الشريف المرتضى من مخطوطة ومطبوعة ، أدبية وثقافية ، حسبما توافرت لى ثم بعد ذلك وقفت على ما كتب عن سيرة الرجل وآثاره ، وخرجت من ذلك كله بأساوب للدراسة استنتجت منه أحكاما تتفق حيناً مع ما رآه البعض وتختلف ففى الحين الآخر ، وخرجت ببعض الملاحظات التى لم أجدها فى الدراسات التى اطلعت عليها .

وقد قسمت البحث الى أربعة أبواب رأيت أنها تتمشى والترض الأول من الرسالة وهو القاء الأضواء على شخصية المرتضى وما أثر بها من عوامل وظروف وما أثر عنها على النحو التالى :

الباب الأول : المرتضى وعصره .

~~~~~

وقسمته الى فصول :

الفصل الأول : عصره .

الفصل الثانى : حياته .

الفصل الثالث : آثاره ومصادر أدبه .

أما الباب الثانى فقد خصصته لنشره الأدبى ويضم فصلين :

~~~~~

الأول : موضوعات نشره .

والثانى : خصائص نشره الفنية " .

أما الباب الثالث : فقد تناولت فيه أغراض شعره كل غرض بفصل مستقل  
مع تحليل خصائص كل غرض والتمثيل ببعض

النماذج .

أما الباب الرابع : والأخير فقد أفردته لشاعريته وخصائص شعره  
ففى فصله الأول تناولت عوامل شاعريته ، وفى الفصل

الثانى خصائصه الفنية ، والفصل الثالث قارنت فيه بين شاعريته  
الرضى والمرضى .

وأخيرا أتوجه بكل الشكر والعرفان الى فضيلة الاستاذ الدكتور / أحمد  
الشرباصى الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر قسم الأدب والنقد ،  
فقد كانت لتوجيهاته المستمرة ورعايته العلمية أكبر الأثر ليظهر البحث بهذه  
الصورة ، جزاه الله عنا وعن الأدب خير الجزاء .

كما أننى لا أدعى الكمال فى البحث ، فيقدر جهدى المتواضع ،  
بما انتهيت اليه من نتائج آمل أن أكون قد أسهمت بنصيب ملموس فى احياء  
علم من أعلام التراث العربى الاسلامى ، وعلى الله قصد السبيل .

## « الباب الأول »

المرتضى ما هو

المرتضى وعصره

المرتضى = فعل ما هو

المرتضى = فعل ما هو

المرتضى = فعل ما هو

الفصل الأول: عصره

الفصل الثاني: حياته

الفصل الثالث: آثاره ومعارفه

المرتضى فعل ما هو

تحول إلى مضارع: المرتضى - مضارع

أ- اسم الفاعل: أفعال حرف المضارعة ميماء وضمة

وكرر ما قبل الأخر: المرتضى

ب- اسم المفعول: أفعال حرف المضارعة ميماء وضمة وفتح  
ما قبل الأخر: المرتضى

تفصيل  
الفاعل  
والمفعول

## (( الفصل الأول ))

—

:: عصره ::

~~~~~

- الحالة السياسية : أولا
- الحالة الاجتماعية : ثانيا
- الحالة الفكرية : ثالثا
- الحالة الأدبية : رابعا

أولا : الحالة السياسية

وجد الاسلام طريقه الى القلوب ، وخالطت بشاشته النفوس عن طريق الحجة والافتتاح ، وكانت النفوس تتطلع منذ مستهل القرن السابع الميلادي الى من يصلح أحوالهم ، فقد تطرق الفساد الى جميع نواحي الحياة ، ومال ميزان العدل بين الناس ببلاد العرب والفرس والروم ، ومن ثم بادى الناس الى الاسلام .

وقد مكث الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشر سنة ، يدعو الناس بالحجة والموعظة الحسنة ، وقد أذاقته قريش هو والمسلمين الأوائل كل صنوف الأذى ، وصبر على أذاهم ، وهاجر الى يثرب ، وأصبحت يثرب بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم معقل الاسلام ، وملجأ جماعة المسلمين .

وقد جمع الاسلام قبائل المسلمين العرب تحت لوائه ، وألف بيــــن قلوبهم وقضى على العصبية الجاهلية ، فزالت الحزازات القديمة والثرات التى كانت بين القبائل ، لذا خضعوا لأوامر القرآن وحكم النبى بعد أن كانوا يدينون لرؤسا متفرقين .

ولم يوحى الرسول قبل وفاته بزعامة المسلمين لأحد من أصحابه ، بل ترك مسألة الخلافة شورى بينهم^(١) ، وتولى الخلافة أبو بكر الصديق من سنة ١١ - ١٣ هـ أما عمر بن الخطاب فقد تولاها من سنة ١٣ - ٢٣ هـ . وزادت فى خلافة عمر رقعة البلاد الاسلامية بالفتوحات التى سطرها التاريخ للمسلمين الأوائل ، فتم فتح العراق وفارس والشام ، ومصر وفلسطين .

وتولى عثمان بن عفان الخلافة من عام ٢٣ - ٣٥ هـ ، ولما أختير عثمان للخلافة انقسم المسلمون الى أمويين وهاشميين أو علويين .

(١) تاريخ الاسلام : الدكتور حسن ابراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة سنة ١٩٦٤ .

ولم يقطع استخلاف عثمان سلسلة الفتح التي قلم بها المسلمون في
العهدين السابقين ، فقد فتحت بلاد أرمينية وأفريقية وقبرص ، وتولى الخلافة
بعد ذلك على بن أبي طالب من علم ٣٥ - ٤٠ هـ . وتمت بيعة على بالأغلبية
على الرغم من تخلف بعض الصحابة الذين كانوا بالمدينة ، وبادر على لما عرف
عنه من الشدة في الحق وعدم الهوادة فيه بعزل كل الولاة الذين ولاهم
عثمان والذين كانوا مثار الفتنة وسبب خروج الثوار عليه .

وتعاقب بعد ذلك الخلفاء الأمويون من علم ٤١ - ١٣٢ هـ ، ونال
الخلافة معاوية بعد السيف تارة ، وبالمكيدة السياسية ثمارة أخرى .

وتحصنت الدولة الأموية للعرب والعربية ، وأخذوا ينظرون الى الموالى
نظرة الاحتقار والازدراء ، مما أيقظ الفتنة بين المسلمين ومحت روح الشعوبية في
الاسلام ، ولما نشط العباسيون أنضم اليهم الموالى لينالوا حقوقهم المخصوصة
وفطن العباسيون الى ما كان يضمه الموالى لبنى أمية ودولتهم من كراهة واستعمانوا
بهم في نشر الدعوة لهم .

وكانت الدولة العباسية في عصرها الأول قوية مزدهرة من الجانب
السياسي ولكنها في عهد البوهيين قد أنتقلت اليهم فعليا دون الخلفاء الذين
اكتفوا بالمظهر الأسفى ، وكان الشريف المرتضى ذا حظوة لديهم فسار له
ذكر بعيد .

لقد عاش السيد (المرتضى) في النصف الثاني من القرن الرابع عشر ،
متدة به الحياة الى نهاية الثلث الأول من القرن الخامس على وجه التقريب ،
فاذا أردنا أن نصور الحالة السياسية في عصره لتلمس ماعسى أن يكون لها من أثر
في مجتمعه وفي سيرته ، واتجاه نتاجه الأدبي والعلمي حسن بنا أن نستعرض
في استطراد خاطف الحياة السياسية في القرن الرابع الهجرى كله ، للصلة القوية
بين المنتصف الأول والثاني .

وقد ظلت الخلافة هي محور السياسة حتى القرن الرابع ، ولأنها نسي هذا القرن بالذات واجهت تغييرا في سلطانها ، لم يسبق لها أن واجهته في القرون السابقة قد أثرت تأثيرا كبيرا في الحالة السياسية .

تأثر المرتضى بروح عصره السياسية تأثرا بالغا ، حتى نستطيع أن نتخذ من آثاره مظهرا من مظاهر الحالة السياسية .

السلطة موزعة في ظاهرها من الوفاق واطن من الخلاف ، بين الخليفة العباسي والملك البويهى ، والمرتضى موزع الميول بين الخليفة العباسي والملك البويهى .

يمدح الخلفاء العباسيين ويحذرهم اطرا من يؤمن بخلافتهم ، ويتجاوز مدح المعاصرين له الى مدح (العباس) جدهم ، و (المنصور) و (الرشيد) وهما اللذان أذاقا آباءهم مر العيش .

وهو يمدح الملوك البويهيين ويساند سلطانهم ، عاملا على ترسيخ قواعده وتوسيع دائرته في قناعة ورضا ، لأنهم هم الذين أولوا بهته المناصب ، وأولوا طائفته الرعاية .

ولقد قسم المؤرخون العصر العباسي الى أربع مراحل تميزت كل مرحلة منها بمظاهر في السياسة والثقافة والاجتماع ، وكان ثاني هذه الفترات مابين عام ٣٣٤ - ٤٤٧ هـ وهو عصر صاحبنا ، ويعرف بالعصر البويهى وهي فترة امتازت بضعف الحكم العباسي واستيلاء الأوصياء البويهيين عليه ، وكان البويهيون عجماء شيعيين من أتباع هذا المذهب وهم لا يعترفون بحق الخليفة العباسي السننى في الحكم الاسلامى .

ولذلك ذاق الخلفاء منهم العسف حتى أنهم حاولوا قلب الحكم لحساب

أبناء على ولكنهم عدلوا عن هذه الفكرة خوفاً (١) على سلطانهم .

وكان من نتيجة ذلك أن جرد الخليفة معز الدولة من وزيره الخاص وجعل له كاتب اقطاءات (٢) حدد لها المعز كما شاء .

وكان لهذه السياسة أسوأ الأثر في المجتمع الاسلامي ، فقد قامت الفتن الطائفية على قدم وساق وثورات الجند في كل اقليم ، وانتشرت الفوضى ، وعم الخراب والاضطراب (٣) ، وقد بلغت قوة مجدهم في عهد ضد الدولة السياسي الماهر (٤) أوجها ، وجاء من بعده الدولة فكان ظليماً جباراً ظلوماً (٥) .

ولكنهم على الرغم من عمقهم وظلمهم كانت لهم حسنات في نواحي الفن والثقافة فشاع الجدل والمناظرات الدينية بين أهل السنة والشيعة ، وقامت سوق الأدب في أكمل وجهها وأوسع نطاقها ، فكان لهذا الفساد السياسي والتمزق الاقليمي لدولة المسلمين عناصر قوة للأدب (١) والشعر ، وقد شارك الشريف المرتضى بأدبه وأعماله أدباء العصر وزعمائه ، وكان بارزا كل البسروز ما سوف يتضح لنا من خلال بحثنا هذا .

-
- | | |
|-----|---|
| (١) | تاريخ الاسلام السياسي . |
| (٢) | المرجع السابق ٦٢/٣ . |
| (٣) | نفس المرجع ٦٢/٣ . |
| (٤) | نفس المرجع ٧٨/٢ . |
| (٥) | تاريخ الاسلام السياسي ٨٢/٣ . |
| (٦) | مقدمة ديوان الشريف المرتضى ، للدكتور مصطفى جواد ج ١/٢١٠ . |

ثانيا : الحالة الاجتماعية

(كان المجتمع البغدادي في القرن الرابع الهجري ينقسم الى طبقات :
طبقة تعتر بشرفها ونسبها ودمها ، كالعلويين والمهاسيين والبويهيين ،
والمهلبين ، وطبقة تعتر بمناصبها في الدولة كالوزراء والقادة ورؤساء الدواوين
وطبقة تعتر بعلمها ودينها وأديبها كرجال المذاهب من فقهاء ومتكلمين ، وكرجال
الأدب من ناثرين وشاعرين (١) .)

من هذه الطبقة يتألف المجتمع المتنعم بخير البلاد ومواردها
ومناصبها .

ولو عدنا الى المنتظم والحوادث التي وقعت علم ٣٨٠ هـ نجده قد
كتب : فمن الحوادث فيها أنه قلد أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي نقابة
الطالبين ، والنظر في المظالم ، وإمارة الحج وكتب عهده على جميع ذلك
واستخلف له ولديه المرتضى أبو القاسم والرضي أبو الحسن ، وخلع عليهما من
دار الخلافة .

ولندرك خطر هذه الوظائف الدينية والادارية يحسن الرجوع الى ماكتبه
(الماوردي) المحاصر للمرتضى في كتابه (الأحكام السلطانية) :

(هذه النقابة موضوعة على صيانة ذوى الأنساب الشريفة عن ولاية من
لا يكافئهم في النسب ، ولا يساويهم في الشرف ، يختار لها من هو أجلهم بيتا
وأكثرهم فضلا ، وأجلهم رأيا ، وهي عامة وخاصة) .

أما الخاصة : فهو أن يقتصر بنظره على مجرد النقابة من غير تجساور
لها الى حكم ، وإقامة حد .

(١) أدب المرتضى د / عبد الرازق محيي الدين ، بغداد ص ١٠٣ .

وأما العامة : فيضاف اليها أشياء : الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه ،
والولاية على أيتامهم فيما ملكوه ، وإقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه ، وتزويج الأيتام
اللاتي لا يتمنن أولياؤهن ، أو تعينوا فهجروهن ، وإيقاع الحجر على من
به عه أو سفه .

ويشترط في متولى النقابة العامة أن يكون عالما من أهل الاجتهاد ،
ليصح حكمه وينفذ قضاؤه (١) .

أما إمامة الحج فهي على ضربين — بحسب ما أورده (الماوردي) أيضا
— أحدهما : أن تكون على تسيير الحج ، والثاني : أن تكون على إقامة
الحج .

وأما ولاية المثال : (فهي ولاية تشريعية وتنفيذية ، ومهمتها قسود
المتظالمين الى التناصب بالرهبة ، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة ،
فكان من شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر ، نافذ الأمر ، عظيم
الهيبة ظاهر الحق ، قليل الطمع ، كثير الورع) . ولها سلطات قضائية
كثيرة استعرضها صاحب الأحكام السلطانية (٢) .

(١) الأحكام السلطانية ص ١٦٤ ط بون ١٨٥٣ م .

(٢) نفس المصدر ص ١٨٠ .

ثالثا : الحالة الفكرية

لقد جاء ميلاد المرتضى فى عهد الخليفة الثالث والعشرين من خلفاء
بنى المهاسين أبى القاسم الفضل المطيع لله بن المقتدر الذى ولى الخلافة فى
الثانى عشر من جمادى الآخرة سنة ٣٢٤ هـ بعد قتل الخليفة المستكفى بالله .
وكان أمر الخلفاء وهيتهم قد أخذ فى الضعف الى حد أن أصبح الملوك
والسلطين مسوعى الكلمة عن الخلفاء اذ يتوجه الخلفاء الى أولئك يعززونهم
أو يهتئونهم .

١٠

(على أن هذا الضعف الذى أصاب الخلافة) فى المرحلة الثالثة لحكم
المهاسيين ، وهى التى بدأت منذ ولى الخلافة المطيع لله ، أى من سنة أربع
وثلاثين وثلاثمائة ، التى استقر الأمر فيها للبويهيين ، الى سنة سبع وأربعين
وسبعمائة ، وهى السنة التى دخل السلاجقة فيها بغداد . هذا الضعف
كانت تقابله قوة من جانب آخر هو الجانب الفكرى والعلمى ، فكانت هذه الفترة
ذات بسطة فى العلم حين فقدت فيها الخلافة بسطتها فى السلطان . وقد
بلغ النضج الفكرى والعلمى فى هذه الفترة مداه ، وبسط العلماء اشعاعهم
الفكرى فى شتى العلوم من لغة وتاريخ وجغرافية وأدب ونقد وفلسفة وظهرت
فى هذه الجوانب جميعا كتب جامعة (١)

كان سلاطين الدولة البويهية مقبلين على العلم والأدب ، لا يستوزرون
أو يستكثون الا العلماء والشعراء والكتاب (١) .

(١) طيف الخيال للشريف المرتضى ، تحقيق حسن كامل الصيرفى ، مراجعة
ابراهيم الابيارى - الطبعة الاولى - القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد
القوى ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م .

وكانت هناك ظاهرتان كاد أن يتفق عليهما مؤرخو علوم العربية ومصورو مصورها على تميز القرن الرابع بهما ، هاتان الظاهرتان هما :

١ - بلوغ العلوم والفنون الأدبية درجة من النضج والتكامل لم يسبق أن بلغت في العصور السابقة على نصيب كبير من الدقة والوفاء لم يعتمد معهما للعصور الآتية بعد الرابع الا الاخذ بمناهجه ومذاهبه ، في شئ من التوسع والشرح ، أو الاختصار ، أو الاجمال (١) .

٢ - تمايز العلوم عن الفنون فيما بينها ، وعدم التداخل بين مسائلها غالبا ووضح المذاهب الاسلامية بما كتب من أصول العقائد فيها .

فمن جهة الظاهرة الاولى يلاحظ المتبع :

أ - في تفسير القرآن :

انه قبل هذا القرن كان التفسير في الأغلب تفسيرا بالمأثور من الحديث النبوي ، أو من حديث أئمة أهل البيت عند الامامية ، وأن التفسير بالرأى في ظل الأعوام التي سبقت القرن الرابع كان يأخذ طريقه الى الظهور ببطء على يد المحترلة ، حتى اذا استوت الدراسات القرآنية ونضجت ، قام التفسير بالرأى يناقض التفسير بالرواية ، وأصبح للتفسير مدرستان واضحتا المحالسم والحدود ، كما ظهرت تفاسير قرآنية تجمع بين المدرستين ، أو تنهج أحده المنهجين ، ولم تخرج العصور الآتية بعد الرابع عن التفسير بالاثر أو التفسير بالرأى ، أو تجمع بين الأمرين (٢) .

(١) ظهر الاسلام ج ٢ - ١١٦ / ١٢٥ الطبعة الاولى ١٩٦٥

(٢) المرجع السابق ، والتعليق على منهج المقال ص ١٦١ ط ايران ، والشيعة وفنون الاسلام ص ١٠ ط بغداد .



ب - في الحديث النبوي :

جاء القرن الرابع وتراث الحديث قد بلغ ذروته في الفخامة وفي الكثرة ، دونت فيه كتب كثيرة ، واجتمع منه لدى الرواة من السنة ما بلغ ستمائة ألف حديث ^(١) ، كما نشأ الى جانب الحديث (علم الرجال) أو علم (نقد الحديث) وهو علم يبحث في أحوال الرواة من حيث الثقة والصدق .

ج - في الفقه الاسلامي :

شهد هذا القرن ضعفا في الحياة الفقهية عند السنة نتيجة سدهم باب الاجتهاد ، بعد فتحهم اياه في القرون التي سبقت ، ولكنه شهد نشاطا فقهيا هائلا لدى الامامية وقد كان باب الاجتهاد مسدودا لديهم من قبل ففتحوه .

د - في علم الكلام :

أطل القرن الرابع وعلم الكلام يمشي الى عليائه بقوة ، بعد أن أصابته نكسة في عهد المتوكل ^(٢) بالقرن الثالث - وكانت له من سياسة العصر مساندة دافعة ، فقد كان البويهيون يحكم تشيعهم وفارسياتهم ميالين الى الفلسفة والكلام شعبة من شعبها .

وكان كثير من وزراءهم معتزلة يناصرون الاعتزال وشايعونه ويعيشون على نشره ^(٣) .

(١) ظهر الاسلام ج ١ ص ٤٦ ، ورجال أبي علي ط ايران ترجمة محمد حسن يعقوب ، والتعليق على منهج المقال ص ٣٢٩ ط ايران ، وروضات الجنات ج ٢ ص ٥٥٠ ، ٥٥٢ ايران .

(٢) ظهر الاسلام ج ١ ص ٢٢١ ط مصر .

(٣) الملل والنحل ، مقدمة ابن خلدون .

هـ - في علوم العربية :

أ - في اللغة :

سجل مؤرخو اللغة لهذا القرن ظاهرتين مهمتين في حياتها :
أولاهما : ضخامة القاموس اللغوي ^(١) ، وسعة معاني مفرداته ، وذلك
بما جد من مفردات اقتبست من البيئات التي دخلتها اللغة العربية فظهرت
في أنظارها عن طريق التعريب ، ثم بما جد من علوم اسلامية ، استلزمت مصطلحات
خاصة ، واقتضت تجاوزا في استعمال الألفاظ لصعان لم يكن للعربية بهيها
سابق عهد ، وانتهت أخيرا الى أن تصبح حقائق عرفية ، أو حقائق شرعية
أو حقائق اصطلاحية .

ب - في النحو :

لقد تم وضعه واستقرت أصوله قبيل القرن الرابع فلم يشهد هذا
القرن الخلاف بين الكوفيين والبصريين ولكنه شهد آثار التوفيق بين اختلاف
المدرستين ومواطن تداخلهما ، فأعان هو على هذا التوفيق بأن أخذ
منهما مما .

ج - في البلاغة :

انتهى القرن الرابع والبلاغة - دون بقية علوم العربية - لم تستوف
نصيها من نضج ، ولا حلا من دراسة محكمة ، وجل ما بلغته أن شرح فيها
معنى اللفظين المفردين - الفصاحة والبلاغة - وأن تحدث عن المجاز فسي
غير تفريق واضح بين أنواعه ، وأن تكلم عن الكناية يوجه مجمل ، وأن تلمست

(١) ظهر الاسلام ج ٢ ص ٨٥ ط مصر .

بعض وجوه الجمال في النصوص القرآنية ، في الحديث النبوي ، وأن استكثر
من الكلام على الأنواع البديعية .

فان تجاوزنا البلاغة بمعناها الفني الدقيق الى كتب النقاد ،
وأدخلناها في كتب البلاغة صح أن نجد آثارا بلاغية فيما كتب الآسدي
في الموازنة ، وفيما كتبه أبو هلال العسكري في (الصناعتين) ، وفي
كتاب (الوساطة بين المتنبى وخصومه) .

رابعاً : الحالة الأدبية

كان يطلق (الأدب) على رواية الطريف من أخبار العرب وأيامهم وتراجم أعلامهم ، والالمام بمنظومهم ومنثورهم ، وما يتصل بالمنثور والمنظوم من مسائل النحو والصرف والبلاغة وعلوم الشريعة . يعرض جميع ذلك في هيئة موضوعات أو املاكات ، يستطرد فيها بالمناسبة من موضوع الى موضوع ، ومن فكرة الى فكرة .

قال ابن خلدون في (تعريف الأدب) : هو حفظ أشعار العرب وأخبارها ، والاخذ من كل علم بطرف .

حفل القرن الرابع بحدود كبير من رواة الأدب شعره ونثره ، وبأشعار قيمة عد بعضها من كتب الأصول لهذا الفن ، ظهر فيه أبو بكر محمد بن دريد الأزدي ٢٢٣ - ٣٢٩ وكان مقدما في رواية اللغة والأدب ، والقصص والأنساب ، ومن تلاميذه أبو علي القالي ، وأبي سعيد السيرافي ، وأبو عبيد الله المرزباني ، وعلي بن محمد الكاتب .

ونع في أبو بكر بن الأنباري القنفي سنة ٣٢٨ وهو من أعلم البغداديين لغة وأدبا وحفظا للشعر والشواهد ، وشرحه للمفصليات يشهد بخزارة علمه .

وأبو الفج الأهوازي صاحب الأغاني ، وحسبي ذكر مؤلفه اشادة بمقدار ما حفظ ووعى ، من نصوص أدبية وتاريخية .

يقول الدكتور زكي مبارك ^(١) عن القرن الرابع : أنه ذلك العهد الذي

(١) عقربة الشريف الرضي ، زكي مبارك ، ج ١ ص ٤٥ ط بيروت .

رأى كيف تتصلول العقول ، وكيف تصطرع الأقلام ، وكيف يكون الحول والصلول
مقرونين بسلاح المنطق ومراغة البيان .

ففى ذلك العصر هرفت اللغة العربية نهضة أدبية لا تزال تسيطر على
الأقلام والعقول الى اليوم ، فى ذلك العصر نهج أبو الحسن الجرجاني صاحب
الوساطة بين المتنبي وخصومه . وفى ذلك العصر نهج أبو بكر الباقلائي صاحب
اعجاز القرآن . وفيه نهج أبو القاسم الأمدى صاحب الموازنة بين اللاتين أبي
تمام والبحتري ، وفيه ظهر أبو على العاتى الذى سن المذاهب للمهجوم
على المتنبي . وفيه تفجرت فصاحة أبي هلال العسكري صاحب الصنايع .

وفى ذلك العصر ظهر اخوان الصفا الذين أضافوا للغة العربية
رسائلهم الحقيقة التى وعى معارف العرب والفرس واليونان . وفيه نهج
أبو حيان التوحيدى وابن مسكويه ، وفيه عرف النثر الفنى أقطابا عظاما لا يزالون
أعلام الفصاحة وفرسان البيان ، وكيف تنسى لغة العرب آثار ابن العميد
وابن عباد المهداني والخوارزمي وابن شمكير وابن شهيد .

ومن هذه الاشارات نرى القرن الرابع يتميز بمزايا ثلاث : النقد الأدبى
والجدل العقلى ، والنثر الفنى ، وهى مزايا كانت تفتقر فى مواطن وتلتقى فى
أخرى ، فيرى بعضها فى الشام ، وبعضها فى مصر ، وبعضها فى الأندلس ،
ولكنها كانت تجتمع فى بغداد ، وكانت بغداد وطن الشريف .

وصورة بغداد فى القرن الرابع تتمثل فى قول صاحب بن عباد فى
خطابه الى ابن العميد : " بغداد فى البلاد ، كالأستاذ فى المباد " وتتمثل
أيضا فى الجزع على فراقها ، الجزع الذى أحسه أبو العلاء ، وأبو العلاء كما
هو معروف عنه كان يرى الدنيا بأذنيه لا بعينيه ، فلما قدم بغداد رأت أذناه
مالم تريا من قبل ، وصارت المجالس والمساجد هى الزهر والماء فى احساس
ذلك الأديب الفيلسوف .

ومن ثقافة القرن الرابع وعارف بغداد تكونت عقلية أبي العلاء
الذي دان الأدب برسالة الشفان ومضائده اللزومات (١) .

وقد وفي الشريف المرتضى لعصره وأسرته أصدق الوفاء ، فأقبل على
الحياة العلمية والأدبية اقبال الرجال ، وشارك في التأليف مشاركة الفحول ،
كان العراق - كما اتضح لنا - في القرن الرابع مسرحاً لعرائس الشعر
الجميل ، وكان المرء لا يلتفت إلا رأى ثغالي وغرائب تهجر العيون والقلوب
والمقول .

ففي القرن الرابع ولد السامى ، بالكرخ لست خلون من رجب سنة
٣٣٥ وقد بهر الناس بشعره في مطلع صباه ، فقد كان أول ما سار من شعره
قوله وقد ركب سفينة في دجلة ، وكان ركبها أول مرة (٢) .

وميدان تجول به خيول
تقود الدارمين ولا تقاد
ركبت به الى اللذات طرفاً (٣)
له جسم وليس له فؤاد
جرى فظننت أن الأرض وجه
ودجلة ناظر وهو السواد

-
- (١) المرجع السابق ص ٨١ .
(٢) عبارة يتيمة الدهر للشمالي (وكان رآها أول مرة) وهذا يكاد يكون
غير معقول .
(٣) الطرف بالكسر : الحصان .

وقد مضى السامى يبدع ويجيد حتى فتن أهل بغداد ، وحتى
استطاع أن يقول :

وَدَيْهِن سَكْرَى اللَّحْظِ سَكْرَى مِنَ الصَّبَا
تَعَاقِبُ حُلُوَ اللَّفْظِ حُلُوَ الشَّمَائِلِ
أَدَارَتْ عَلَيْنَا مِنْ سَلَايِ حَدِيثِهَا
كَوْوسًا وَغَنَّتْنَا بِصَوْتِ الْخِلَاحِ

والسامى هذا كان شغل أهل العراق فى القرن الرابع فمحوه لقب
أمير الشعراء (١) .

وفى ذلك العصر نبغ فى العراق ابن نباتة السعدى والسدى وصف
الشعالبى قصائده بأنها أحسن من مطالع الأنوار وعهد الشباب ، وأرق من
نسيم الأسفار وشكوى الأحباب ، ابن نباتة الذى يقول :

وَكَمْ لِللَّيْلِ عِنْدَى مِنْ نَجْمٍ
جَمَعْتُ النُّجُومَ مِنْهَا فِى نَظْمٍ
هَابِئًا أَوْ نَسِيمًا أَوْ مَدِيحًا
لِحِجْلٍ أَوْ حَبِيبٍ أَوْ هِمَامٍ

وفى ذلك العهد نبغ بالموصل شاعر فحل هو السرى الرناء (٢) وقد
شغل النقاد بشعره ما شغلهم بشعر المتنبى ، فأثفوا الليالى فى أخراج

(١) بحرية الشريف الرضى : زكى مبارك ج ١ ص ٨٢ .

(٢) عاش هذا الشاعر الى سنة ٣٦٦ هـ .

سرقاته الشعرية ومزقوه كل ممزق •

ومن نوابغ القرن الرابع أبو الفتح كشاجم ، وكان شعره في ذلك العهد ربحانة أهل الأدب في العراق ، وكان مورد رزق النساخ والوراقين وطوفت أشعاره بالشرق والمغرب حتى وصلت إلى القيروان (١) .

وكان العراقيون ومن ولاهم من أهل المشرق يضمنون بالكتب — من الأشراف بالأعراض : فقد غلب أديب على نسخة الجمهرة لابن دريد ، غلبه الفقر ، وهو أبو الحسن علي بن أحمد القالي ، فباعها للشريف المرتضى بستين دينارا ، فلما تصفحها الشريف وجد فيها بخط البائع هذه الأبيات :

أَنْسَتْ بِهَا عِشْرِينَ حَوْلًا وَمِجْتَمَعًا
فَقَدْ طَالَ وَجْدِي بِمَدَّهَا وَحَنِينِي
وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنْسَى سَابِغَهَا
وَلَوْ خَلَّدْتَنِي فِي السَّجُونِ دِيُونِي
وَلَكِنْ لَضَعْفٍ وَافْتِقَارٍ وَصَبِيَّةٍ
صَفَارٍ عَلَيْهِمْ تَسْتَهْلُ شُرُونِي
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ سَوَابِقَ عِبْرَةٍ
مُقَالَةً مَكُورَى الْفُؤَادِ حَزِينِ
(وَقَدْ تَخَجَّجْتُ الْحَاجَاتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ
كَرَائِمُ مَنْ رَبِّ بِهِنَّ ضَمِينِ)

وقد رد المرتضى النسخة إلى صاحبها بعد قراءته هذه الأبيات وترك الدنانير (٢) .

(١) عقبة الشريف الرضي ، زكي مبارك ج ١ ص ٨٧ •

(٢) المرجع السابق ص ٨٩ •

من المرض السابق يتضح لنا أن الأحوال السياسية والاجتماعية قد أثرت على الحياة الفكرية والأدبية ، وأثرتها أيضا ، في القرن الرابع الهجرى وفى عهد صاحبنا الشريف المرتضى .

فكانت هذه الحقبة من الزمن ذات بسطة في العلم ، وظهرت الكتب الجامعة في شتى العلوم . كما ذاع صيت بعض سلاطين الدولة البويهية في الأدب والشعر وشغف بعضهم بالشعر والشعراء . كما اشتهر الكثير من الملما ، والأدباء ، والشعراء ، والفقهاء .

فى تلك الأجواء عاش الشريف المرتضى ، وكان من أبرز علامات عصره بما وعى وأوعى ، وكتب وألف ، وبحث وفكر ، وما كانت له من شخصية قوية تتركن على علم واسع غزير ، وحلم وكرم وزهد ، كما سيتضح لنا من سياق البحث .

:: الفصل الثاني ::

حياته

- أولا : طفولته
- ثانيا : شبابه وكهولته
- ثالثا : شيخوخته ونهايته
- رابعا : الأسرة الصغيرة
- خامسا : الأسرة الكبيرة
- سادسا : أثرهما في الشعر
- سابعا : شخصيته وصفاتها الجسمية والنفسية والاجتماعية
- ثامنا : أساتذته
- تاسعا : غيبدته
- عاشرًا : صلته بمجتمعه

أولا : طفولته

ولد الشريف المرتضى في دار أبيه بمحلة باب المحول في الجانب الشرقي من بغداد (الكرخ) الواقعة بين نهر الصراة غربا ، ونهر كرخايا شرقا ومحلة الكرخ جنوب^(١) في رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع لله العباسي .

وعاش طفولته الأولى بين أحضان أبيه مدلا منعما ، وظهر عليه شغف بالعلم والمعرفة والأدب فطفق يدرس في حلقات المشايخ في المساجد وقد عرفه هؤلاء المشايخ بالذكاء اللامع .

وولد للشريف أبي أحمد الموسوي نقيب الطالبين ببغداد ، من زوجته فاطمة بنت أبي محمد الحسن (الناصر الصغير) ، وسمى عليا ، ولعل ذلك تيمنا باسم جده علي بن أبي طالب ، إذ قد عرف بعد أن كبر (بالمرتضى) وهو لقب للأمام علي من بين أئمة أهل البيت .

ولتصوير ما كان يهيم له هذا المولود من مقام في مستقبل حياته ، يحسن إيراد ما قصه (ابن أبي الحديد) وغيره : أن الشيخ الفريد رأى في حلمه أن (فاطمة الزهراء) بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد دخلت عليه وهو في مسجد الكرخ ومحبها ولداها الحسن والحسين صغيرين ، فأسلمتهما إليه وقالت علمهما الفقه ، فاتبعه الشيخ عجا ، فلما تعالى النهار صبيحة تلك الليلة ، دخلت عليه المسجد فاطمة بنت الناصر ، وحولها جواربها وبين يديها ابناها (علي المرتضى) و (محمد الرضي) صغيرين ، فقام اليهما ، وسلم عليهما ، فقالت له : أيها الشيخ ، هذان ولداي قد أحضرتكما إليك

(١) انظر الخارطة رقم ٧ مقابل ص ١٩٨ من تاريخ بغداد في العهد العباسي ، تأليف في لسترنج - المطبعة العربية ببغداد .

لتعلمهما الفقه ، فبكى الشيخ وقص عليها الرؤيا وتولى تعليمهما ^(١) ، وهذا الحلم الذى قصه المفيد لكثير من أحلام الناس ، ولكنه فى الدلالة على ماكان يستشعره من منزلة هذا البيت ، أو ما يحاول أن يظهر استشعاره من منزلته أبلغ أثرا - فى أدنى صور الدلالات - مما لو كان حقيقة من الحقائق من حيث فعله فى نفس الطفل الذى جرى به ليتعلم الفقه .

ولم أعرف بالضبط تحديدا للحام الذى بدأ به دراسته ، ولا أول الفروع التى درسها ، وان كنت أرجح أنه الأدب ، اذ قرأ وهو صبي ^(٢) بين الثانية عشرة والخامسة عشرة على (ابن نهائة) ، وهذا يجعلنى أعتقد أنه حين وجه به الى الشيخ المفيد لدراسة الفقه ، كانت سنه لا تقل عن خمسة عشر عاما ، اذ كان معه أخوه (الرضى) والرضى قد ولد بعده بأربعة أو خمسة أعوام . ومن البعيد أن يذهب بالفتى الى دراسة فقهية قبل أن يشدو طرفا من اللغة والأدب ومن تلك العلوم التى تعتبر أدوات لدراسة الفقه .

ولم أجد خلافا يذكر فى مولده أو وفاته ، فمولده عام ٣٥٥ هـ ، يكاد يكون متفقا عليه ^(٣) .

وتفتح المرتضى الطفل على الحوادث والاضطرابات من قرب ومن بعد ، فقد كان العراق ملوفاً بنيران الفتن والثورات ، فرأى فى طفولته مايراه الشباب ولمس أثر الفتن والاضطرابات ، واستوعب مدلولها ، وتأثر بنتائجها وهو

(١) ابن أبى الحديد ج ١ ص ١٤ ط دار الحلى ، ورياض العلماء ص ٤١٣

وروضات الجنات ج ٢ ص ٣٨٣ ط ايران .

(٢) روضات الجنات ج ٢ ص ٣٨٣ ط ايران نقلا عن كتاب الدرجات الرنيعة

ورياض العلماء ص ٤١٣ نقلا عن خط الشيخ البهائى .

(٣) الكامل لابن الأثير حوادث ٤٣٦ ، والخطيب البغدادي ج ١١ ص ٤٠٢

ورياض العلماء ص ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ .

لا يزال في مرحلة الصبا • وقد ساعده في ذلك تولى والده المناصب الهامة ،
ومكانته بين قومه • وأيضا حفزه على طلب العلم أنه من بيت كريم النسب يدرك
جيدا أهمية العلم ومكانة العلماء ، والأدب والأدباء ، والفقه والفقهاء •

والطفل عادة يتأثر ببيئته المنزلية الأولى التي نشأ وترعرع بها ، وليس
من شك أن بيئة المرتضى المنزلية كانت تساعد على النهل من مناهل العلم
والأدب والفقه ، سواء في ذلك والده لم والدته التي ذهبت به الى الشيخ
ابن نهامة - كما تقدم - كما أن القرن الرابع الهجري وما تميز به في شتى
المجالات التي ذكرتها في الفصل الأول ، هيا للطفل جوا مناسباً يستطيع فيسه
أن يتربى تربية لائقة تتناسب مع البيت الذي هو منه ، وإذا أضفنا الى ذلك
وجود وتوافر الامكانيات لدى والده لتعليمه على يد كبار أساتذة عصره استطعنا
أن ندرك الكيفية التي أعد بها الطفل •

ثانيا : شبابه وكهولته

ولحل المرحلة الثانية من حياة الشريف المرتضى وهى شبابه وكهولته تبدأ من بعد تهيأته فى مرحلة الطفولة والصبا لهذه المرحلة الجديدة والخطيرة *

ففى هذه المرحلة جاء والده من فارس طليقا عام ٣٧٦ هـ فأحسن الشريف بنشوة الفرح والسرور ، كما بدأت شخصية الشريف تتبلور وتتضح معالمها وبدأ فى مخالطة العلماء ليس كتلميذ بل كواحد منهم *

وأورد القصة التالية لتوضح لنا بعض معالم شخصية الشريف ومكانته (١) : لما مرض الوزير (أبو سعيد محمد بن عبدالرحيم " سنة ٤٢٠ رأى الامام عليا فى المنام يقول له : قل (للم الهدى) يقرأ عليك الفاتحة حتى تبرأ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ومن علم الهدى ؟ قال على بن الحسين الموسوى ، فكتب اليه الوزير ، فقال المرتضى : الله الله فى أمرى ، فان قبولى بهذا اللقب شناعة على ، فقال الوزير : والله ما أكتب اليك الا ما أمرنى به أمير المؤمنين فسمع القادر بالله القصة ، فكتب الى المرتضى :

تقبل ما لقبك به جدك ، فقبل *

كان الشريف فخورا معتدا بنفسه ، ولهذا كثر فخره بنفسه وآبائه فى شعره ، وهى ظاهرة واضحة فى شعره ، ولهذا الشعور أيضا أحسن بحلم ما ألقى على عاتقه من واجبات ، فانصرف الى تكميل نفسه وتشقيفها ثقيفا موفيا به على أبعد الغايات العلمية والأدبية *

(١) رياض العلماء ص ٤٧٠ : وقد نقل حكاية الوزير جماعة من الخاصة والعامة ورويات الجنات ج ٢ ص ٣٨٣ * ومثل هذه القصة فى رويات الجنات ج ٢ ص ٥٦٤ *

ان نتاجه العلمى والأدبى يدل على أنه سعى للدراسة صغيرا ،
وأنه قطع شوطا كبيرا من صباه فى دراسة جديدة مضمّنة ، حتى اذا بلغ
السابعة والعشرين من عمره ^(١) عد مرجعا فقهيا وكلاميا ، وبدأ الامامية
وغيرهم يتوجهون اليه بالكتب والرسائل فى علمى الفقه والكلام من مختلف
البلاد الاسلامية .

وفى هذه المرحلة من عمره أثر العلم على أبهة المنصب ، فقد تجمعت
له ثروة ضخمة من علوم الدين والأدب واللغة ، ومكتبة زاخرة بالآلوف من
الكتب القيمة ، قال الثعالبي أنها قومت بعد وفاته بثلاثين ألف دينار ، وقدرت
بثمانين ألف مجلد بعد أن أهدى منها ما أهدى فى حياته الى الرؤساء
والوزراء ، وثروة مادية أتاحت له حياة رغدة عن غنى واسع كان يدر عليه
ماقدر بأربعة وعشرين ألف دينار فى السنة كما ذكر (ياقوت) فى ترجمته فى
(معجم الأدباء) (١٣ : ١٥٤) فقد روى أنه كان يمتلك من القرى والضياع
ماقدر بثمانين قرية تنبسط بين بغداد وكربلاء ، وكانت هذه القرى قائمة
على حافى نهر كبير يجرى بينها الى الفرات ، وتقطعها السفن فى موسم
الزوار ، وكانت ثمار الأشجار المتهدلة من هذه القرى فوق هذا النهر رزقا
حاللا مباحا من السيد المرتضى للعابرين بهذا النهر ، لا يصددهم عنها أحد
ولا يمنعهم من قطف ما يريدون من الثمار مانع .

لقد عاش المرتضى خمسين عاما من حياته منقطعا للدرس وحصل ويعلم
بأطراف العلم من كل جانب ، ثم يلحق ويعلم تلامذته ويحاضرهم ويعلّم عليهم ،
ويصنف ويؤلف وينظر ويفتى ، وانتهت اليه رئاسة الامامية ، تبعث اليه
الرسائل ويفد عليه السائلون من كل حدب وصوب ، من مصر ، ومن طوس ،
ومن الموصل ، ومن الديلم ، يستهدونه الرأى الناضح والفتوى الشافية ،

(١) انظر الرسائل الموصلية الاولى فانه ألفها سنة ٣٨٢ هـ .

والخبر الصحيح فقد جمع الى حذقه لعلم الكلام وأصول الفقه ما جمع من طرف
الشعر ونوادر الأخبار ، وما أحاط به من أسرار اللغة وتفسير آي الله ، لا
يشغله عن اهتمامه بالعلم وأهله شاغل من منصب أو جاء ، حتى لقد قال تلميذه
أبو جعفر الطوسي (توحيد المرتضى في علوم كثيرة ، مجمع على فضله وقدم في العلوم
مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومجاني الشعر واللغة
وغير ذلك ... وله من التصانيف ومساائل البلدان شي كثير) (١) .

وقال ابن خلكان عنه أنه (كان اماما في علم الكلام والأدب والشعر ...
وله تصانيف على مذهب الشيعة ومقالة في أصول الدين) (٢) .

ويسعود ابن خلكان فيذكر أن ابن بسام قال عن الشريف المرتضى فسي
أواخر كتاب الذخيرة : كان هذا الشريف امام أئمة العراق ، بين الاختلاف
والاتفاق اليه فرج علماءها ، وعنه أخذ عظماءها ، صاحب مدارسها ، وجماع
شاردها وأنسها من سارت أخباره ، وعرفت به أشعاره ، وحمدت في ذات
الله مآثره وآثاره ، الى تواليه في الدين ، وتصانيفه في أحكام المسلمين ، مما
يشهد أنه فرع تلك الأصول ومن أهل ذلك البيت الجليل (٣) .

وذكر ابن حزم في (جمهرة أنساب العرب) أنه (كان رئيس الامامية
ويقول مع ذلك بالاعتزال) (٤) .

ويقول معاصره أبو منصور الثعالبي : (وقد انتهت اليه الرئاسة اليوم

(١) ياقوت معجم الأدباء : (١٣ : ١٤٧) .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان (٣ : ٣) .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان (٣ : ٣) .

(٤) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب (٥٩) .

بيخداد في المجد والتعرف والعلم والأدب والفضل والكرم (١) .

عاش المرتضى هذه السنوات الخمسين بعيداً عن المناصب ، مؤثراً مركزه العلمي الذي لا يقل مكانة عن المركز الديني الذي كان ينتظره ، وهو معرض عنه فقد ترك منصب نقيب العلويين يتولاه أخوه الذي يصغره بسنوات أربع بمحمد وفاة أبيهما ، فانه لم تمض على وفاة الأب في سنة ٤٠٠ هـ ثلاث سنوات حتى قلد الرضى في سنة ٤٠٣ هـ هذه النقابة ببخداد وخلع عليه السواد ، وكان أول طالبى خلع عليه السواد — شعار العباسيين — ولكن لم يطل بالرضى الأجل في هذه النقابة حتى فارق الدنيا يوم الأحد السادس من المحرم سنة ٤٠٦ هـ . فعادت نقابة العلويين تخطب ود المرتضى الذي أعرض عنها من قبل ، فقلد في اليوم الثالث من شهر صفر من تلك السنة أمر هذه النقابة والحج والمظالم . وجاء في عهد الخليفة القادر بالله بهذه التولية أنه عهد بها الى علي بن الحسين بن موسى الملوى حين قربته اليه الأنس الزكية ، وقدمته لديه الأسباب القوية ، واستأل معه بأغصان الدوحة الكريمة ، واختص هذه بوسائل الحرمة الوكيدة (٢) .

وعاد المرتضى يجمع الى وقار العلم كأستاذ له تقديره ومكانته ، جلال الدين كنقيب ديني له تعظيمه وسهافته .

ومنى المرتضى لنفسه دوراً ثلاثاً غير دار أبيه بباب المحول التي استقبل فيها منذ ولد نسمة الحياة وأضواها ، وأمضى فيها سنين طفولته وصباه . فالدار الأولى هي التي بناها على الصراة ، وهو نهر كان يأخذ من نهر عيسى عند بلدة المحول كما يقول ياقوت في معجم البلدان ، وكان نهر عيسى

(١) الثعالبي : تنمة البيتية (١ : ٥٣ طبعة طهران) .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٢ : ٢٧٦) .

متفرعا من نهر الفرات شمال الفالوجة فيقطع الأراضي التي بين الفرات ودجلة ويصب في الجانب الغربي من دجلة جنوب مدينة بغداد ، كما يذكر ذلك الدكتور أحمد سوسة في كتابه (رى سامرا في عهد الخلافة العباسية) (١) . ولعلها أن تكون هي الدار التي ذكرها ابن حزم وهو يقول أن المرتضى (كان يسكن على الفرات الى أن هدمت الحنبلية داره في يوم كان لهم فيه الظفر على الشيعة فرحل الى الكرخ) (٢) . أما حوادث الشغب بين السنة والشيعة فقد كانت تسكن حيناً وتضطرم حيناً ، وكان أشدها أثراً تلك الفتنة التي قامت سنة ٤٢٢هـ ولعل هذه السنة هي التي أحرقت فيها دار المرتضى .

وفي درب جميل بالكرخ سكن المرتضى في دار هناك تليق بمركزه ، وهي الدار التي روى ابن الأثير في أخبار سنة ٤٢٢هـ أن الملك جلال الدولة ابن بها الدولة نزل بها حين شغب الجند عليه في رمضان من تلك السنة وأخرجوه من داره ، فقال ابن الأثير : ان جلال الدولة نقل ولده وحرمة ومسا بقى له من أشياء الى الجانب الغربي ، وعبر هو في الليل الى الكرخ ، فلقية أهل الكرخ بالدعاء ، فنزل بدار المرتضى .

ثم نعود فنرى جلال الدولة في سنة ٤٢٢هـ حيث ثار عليه الجنيد مرة أخرى ببغداد وأرادوا اخراجه منها ، يخرج متنكرا في سمارة (٣) ، ثم يصعد منها راجلا الى دار السيد المرتضى بالكرخ .

وكانت للمرتضى دار غير هاتين الدارين قائمة على إحدى ضفتي دجلة . وكانت كل دار يقيم فيها هذا الرجل موئل ضيافة للمتأدبين والمريدين ، ومعهده تثقيف ودرس ، تزخر بالنفيس من الكتب في كل فن . يحج الى داره الوافدون

(١) الدكتور أحمد سوسة : رى سامرا في عهد الخلافة العباسية ص ٤٩٧ .

(٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب (٥٧) .

(٣) السمارة ، ويقال السمرية : ضرب من السفن النهرية كانت بالعراق ،

وهي تشبه ما نعرفه باسم (الذهبية) .

عليه من كل صوب ، يلتصقون رأيه ، وينهلون من علمه ، فقد رووا أنه أجرى رواتب شهرية منتظمة ، ووقف أموالا على الكثير من تلامذته وسريديه ، وأن تلميذه أبا جعفر الطوسي الذي صحبه زمنا غير قصير ظل يجري عليه خلال ثلاث وعشرين سنة قضاها في صحبته اثني عشر دينارا في كل شهر ، وأن القاضي عبدالعزيز بن البراج كان له منه كل شهر ثمانية دنانير ، وأنه وقف قرية من قرى للمصرف على قراطين النخيل (١) .

وكان للشریف المرتضى بفضل ما أوتي من شرف العلم والنسب ، وما تحلى به من زكاء الطبع والأدب ، مع عزة النفس ووفارة المال ، وجميل الخصال وسمو الرتبة وجليل المكانة ، أصدقاء أكثر جلهم من أهل العلم والأدب ، ومن الخلفاء والملوك والوزراء والنقباء ، والأمراء ، والعلماء وغيرهم كما سيأتى بيانه فيما بعد .



(١) الدكتور أحمد موسة : رى سامرا في عهد الخلافة العباسية ص ٤٩٧ ، معجم الأدباء لياقوت ج ٣ ص ١٥٤ ، روضات الجنات ص ٣٨٣ .

ثالثا : شيخوخته ونهايته

بعد عمر حافل بجلال الأعمال لم ينقطع فيه عن عمل في السياسة أو عمل في التأليف ، وبعد أن تجاوز الثمانين ، ولخمس بقين من ربيع الأول سنة ٤٣٦ هـ مشى به المشيخون في حشد من تلاميذ مدرسته ، فتولى غسله تلميذه (أحمد بن الحسين النجاشي) ، يعاونه الشريف أبو بعلی (محمد بن الحسن الجعفري) و (سار بن عبدالمعزز) ، وكلاهما من أعلام تلاميذه ، وصلى عليه ابنه في داره بالكرخ ^(١) ، ثم دفن في مساء اليوم الذي توفى فيه ، فانطوى بموته علم من أعلام القرن الرابع بهنداد .

ونقل عن النجاشي أنه قال عند وفاته :

لَيْتَ كَانِ حَظِّي عَاقِبِي عَنْ سَعَادَتِي
فَإِنَّ رَجَائِي وَاثِقٌ بِحَلِيمِ
وَإِنْ كُنْتُ فِي زَادِ التَّقِيَّةِ وَالتَّقَى
فَقِيرًا فَقَدْ أَمْسَيْتُ ضَيْفَ كَرِيمِ

...

هذا وللمرتضى كما لأخيه (الرضی) ضريحان قائمان حتى اليوم فسي الكاظمية قرب مرقد الامام (موسى الكاظم) ، وقد تعاقبت الأقوال على هذا منذ زمن يجهل مداه على التحقيق ، ولكنه ليس بالقرب على كل حال .

يقابل ذلك حديث المؤرخين ورجال البحث الذاهب الى أنهما ليسا مرقدی الشريفين ، وأنهما دفنا في كربلاء عند ضريح الحسين .

وبعد البحث والدراسة في هذا الموضوع تبين لي مايلي :

- ١ - أن التاريخ القديم أمايا وغير أماي يجمع على أن كلا من الشريفين دفن في داره ^(١) وداراهما - بحسب ما يراه المعاصرون العارفون بخطط بغداد - ليستا حيث مرقداهما الآن .
 - ٢ - أن التاريخ الاماي قديما وحديثا ينص على أنهما نقلا بعد الدفن في دارهما الى كربلاء ^(٢) ، ودفنا في مقبرة جدهما الاعلى ابراهيم المجاب ^(٣) وتقع مقبرته جوار ضريح الامام الحسين .
 - ٣ - أن تقليدا أمايا شائعا منذ القرن الرابع حتى اليوم يقضى بنقل جثمان الملوك والوزراء والشخصيات العلمية الى حيث يرقد الامام الحسين ، أو الامام علي بن أبي طالب .
- وقد دفن في النجف على السهد البويهى (عند الدولة) ،
و (بهاء الدولة) وكثير من الملوك والوزراء ^(٤) ، وأن تكن مقبرة قريش

(١) الخطيب البغدادي ج ١ ص ٤٠٣ ط الخانجي ، وابن خلكان ج ٤ ص ٤٨ مطبعة النهضة وفوات الوفيات ج ٢ ص ٣٧٨ ط استانبول ، والمنتظم لابن الجوزي حوادث ٤٠٦ . أما ابن الاثير فقد نص على نقل جثمانه الى كربلاء . انظر الكامل حوادث ٤٠٠ .

(٢) رياض العلماء مخطوط ص ٤١٣ نقلا عن الفاضل التنوخي ، ٤٤٨ نقلا عن رجال النجاشي ، ٤٨٢ نقلا عن العلامة الحلي في الخلاصة .

(٣) يخالف السيد الامين في كتابه أعيان الشيعة ما هو مشهور من أن الشريفين من أبناء ابراهيم المجاب ، وينسبهما الى أخيه ابراهيم المرتضى . وقد ذهب الى ذلك من قبله صاحب (عدة الطالب) انظر رياض العلماء ص ٤٧١ وأعيان الشيعة ترجمة ابراهيم المجاب .

(٤) انظر المنتظم وابن الاثير حوادث ٣٧٣ ، ٣٧٨ .

في بغداد حظيت تربتها بكثير من أعلام الإمامية (١) .

٤ - أن تقليد أسرى بالآل (أبو أحمد) يقضى في الغالب بـدفن أفراد الأسرة في كربلاء ، فقد دفن والد الشريفين النقيب (أبو أحمد) (٢) في داره ثم دفن بعد نقله إلى مشهد الحسين بكربلاء (٣) ، وأن زوجة الشريف المرتضى (٤) ماتت ببغداد ونقل جثمانها إلى كربلاء ، وأن أختا للشريفين نقل جثمانها إلى كربلاء (٥)

فالملاحظ أن تقاليد هذه الأسرة أن تتخذ من مرقـد
الإمام الحسين مدفنا لها .

وقد لاحظت على مؤلفات الشريف المرتضى المختلفة أنه كان في شيخوخته كما هو الشأن في شبابه ، ورعا ، تقيا ، يمتاز بالحلم والعلماء ، وكان له أصدقاؤه ورفاقه وأصحابه الكثر من أمراء الدولة ووجهاء البلاد والصدور والأعيان والأئمة في مختلف العلوم والفنون ، وكان زاهدا يقول الشعر وهو غنى عن الاسترقاد أو الاستجداء بشعره . وله في الزهد قصائد عديدة تتم عن مدى شفافيته ، من تلك القصائد المعديدة قوله (١) .

-
- (١) ممن دفن بها عيد الجيوش أستاذ هرمز بأمر من الشريف الرضى . المنتظم حوادث ٤٠١ ، ٤٠٣ والملك معز الدولة ينقل من قبره ليدفن بمقابر قریش حوادث ٣٥٧ .
(٢) (٣) المصدر السابق حوادث ٤٠٠ .
(٤) ديوان المرتضى مخطوط ج ١ ص ٩٤ .
(٥) ديوان الرضى ج ١ ص ١٣٩ ط بيروت .
(١) الديوان ج ٣ ص ٩٤ .

يَارَبِّ لَا تَجْمَلُ الْمَنْظُورَ مِنْ أَجْلِ
يَلْقَاكَ بِالسَّيِّئِ الْمَكْرُوهِ مِنْ عَمَلِي
وَأَجْمَلُ مَسِيرِي إِلَى لِقَاكَ يَوْمَ تَرَى
حَشَرَ الْأَنْفَامِ عَلَى نَهْجٍ مِنْ السَّبِيلِ

...

وقال في الآداب : (١)

دَعِ رَجَالًا يُنَازِعُونَ عَلَى الْمَالِ
لِئَلَّا تَحْفَلَنَ بِجَمْعِ الْمَالِ
خَيْرُ مَا لَيْسَ مَا سَدَدَتْ بِهِ الْحَا
جَةَ أَوْ مَا بَذَلْتَهُ لِنَوَالِ
وَالْفَنَى الَّذِي لَهُ الْمَنُّ الْفُتُورُ
جُثُومًا عَلَى رِقَابِ الرِّجَالِ
وَاللَّيَالِي يَحْمَلْنَ أَنْسَى فِيهِمْ
مَنْ كَصَبَحَ مَحَا سَوَادَ اللَّيَالِي

...

وقال في التوكل على الله : (٢)

إِذَا مَا حَذَرْتَ الْأَمْرَ فَاجْعَلْ إِزَامَهُ
رَجُوعًا إِلَى رَبِّ يَقْبِكَ الْمَحَادَرَا
وَلَا تَخْشَ أَمْرًا أَنْتَ فِيهِ مَفْضُوزٌ
إِلَى اللَّهِ غَايَاتُ لَهُ وَمَصَادَرَا

(١) الديوان ج ٣ ص ١١٦ •

(٢) الديوان ج ٢ ص ٦١ •

وَلَا تُنْهَضَنَّ فِي الْأَمْرِ قَوْمًا أَذَلَّةً
إِذَا قَامُوا جُنُبًا أَتَمُّوا السَّامِرًا
وَكُنْ لِلَّذِي يَقْضِي بِهِ اللَّهُ وَحْدَهُ
وَأَنْ لَمْ تَوَافِقْهُ الْأُمَانِيُّ شَاكِرًا
وَلَا تَفْخَرَنَّ إِلَّا بِشُوبِ صَيَانَةٍ
إِذَا كُنْتَ يَوْمًا بِالْفَضِيلَةِ فَآخِرًا
وَإِنِّي كَهَيْلِ النَّجَاءِ مِنَ الْأَذَى
لَمَنْ لَمْ يَتَّيِدْ يَدْعُو سِوَى اللَّهِ نَاصِرًا

...

وقد أوردت بعضاً من نماذج شعر الشريف المرتضى حتى تتبين أنه
لحلمه الرصين ، وتعمقه في الفقه ، ودراساته الأدبية واللغوية ، ومكانته بين
معاصريه ، وشرامه الواسع ، لم ينس آخرته بدنياً ، كما أن شعره لم يكن إلا
ترجمة حقيقية لمنهجه في الحياة ، فلم يتنذل القول ، وكأنه وهو يقول الشعر
لا ينسى مكانته الدينية والفقهية في عصره (كما سيتبين فيما بعد عند
دراسة أغراض شعره) *

رابعاً : الأسرة الصغيرة

على الرغم من كثرة ما كتب عن الشريف المرتضى ، لم أجد شيئاً يذكر عن زوجه أم فتاه (أبي محمد) ، إلا أن رثاء المتعدد لها ، يعطينا صورة رقيقة لمشاعره العرفقة نحوها :

ألا هـل أناها كيف حزني بعدها
وأن دموعي لست أملك ردها
وما شجاني أنسي لم أجد لها
ن على خبرتي شيئاً يهون فقدّها
وأنّي لما أقضى الله هلكها
على قلبي المحزون بقيت بعدها
حرام - وقد غيبت عني - أن أرى
من الخلق إلا ((نظرة لن أودها))
وسيان عندي أن حبتني خريده
بوصل، يرجى أوحبتي صدها
ومن أين لي في غيرها عرض بها
وقد أحرزت سبل الفضائل وحدها ؟
أسام التسلى ، وهو غنى بممزل
وكيف تُسلم النفس ما ليس عندها ؟
وودى بأن الله يوم اخترامها
تخرم من جنبي ما حاز ودّها
وأنّي لما نالها الموت غالسي
فبعدا لنفسي ، إذ قضى الله بعدها

ولله منها حفرةٌ جئتُ طائعا
فأودعتُ ديني ثم دنياي لَحْدَهَا
ووليتُ عنها أنفضُ الترابَ عن يدي
نفضتُ ترابَ القبرِ عنها وزندَهَا^(١)

...

وقال في المعنى نفسه ^(٢) من قصيدة مطلعها :

يا حارِى الألمانِ عـــــــج
بى هديتِ الى الطُفوفِ^(٣)

...

ومتى رأيتَ مــــدامــــى
تنهلُ بالدمعِ الوكِيفِ^(٤)
فعلَى التى ولتَ بهــــا
عن ساحتى أيدى الحُتوفِ^(٥)
وسقيــــننى بفراقها
كأساً من السّمِّ المدوفِ^(٦)
وكأننى لــــما سمعتُ
نعيها مثلُ النزيفِ^(٧)

(١) الديوان ج ١ ص ٢٤٨ •

(٢) الديوان ج ٢ ص ٢٧٢ •

(٣) الوكيف : المتقاطر •

(٤) الحتوف : جمع أحتف وهو الموت والهلاك •

(٥) المدوف من السموم : المذاب في الماء •

(٦) النزيف : السكران •

- أَوْ مُعْجَلٌ دَامِيَ الْقَرَا
 (١) وَالصَّدرُ مَنْقُصٌ الْوُظَيْفِ
 أَوْ أَعْزَلٌ نَبْذُ الزَّمَانِ
 (٢) بِهِ إِلَى الشَّقِّ الْمَخُوفِ

...

وقال في معنى القصيدتين السابقتين : (٣)

إِذَا شَتَّمَا أَنْ تَكِيَانِي صَبَابَةً
 فَكَّرَا عَلَى قَلْبِي حَدِيثًا تَقَدَّمَا
 تَصَرَّمَا غَيًّا رَغْمَ أَنْفِي وَذِكْرُهُ
 عَلَى الْقَلْبِ مِنْ جَائِئٍ مَا تَصَرَّمَا (٤)
 تَرَثَ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ وَأَنَا
 يَزِيدُ عَلَيْهَا جِدَّةً وَتَصَرَّمَا
 وَلَا تَعْجِبَا مِنْ دَمْعَتِي وَتَعْجِبَا
 لِمَعْنِي إِنْ لَمْ تَجِرْ مِنْ بَعْدِهَا دَمَا

...

رزق المرتضى ولدا كناه (أبا محمد) وكان حريصا على تربيته تربية
 عالية (٥) ولكنه - على ما ظهر لي - لم يكن على شيء من العلم ، لأنه لم يذكر
 في تراجم أعلام الإمامية ، وقد ذكره (ابن خلكان) بين المتوفين في

-
- (١) الوظيف : مستدق الذراع من الساق من الخيل والابل .
 (٢) الأعزل : العاري من السلاح ، والشق (بالفتح والكسر) الوادي والجانب
 (٣) الديوان : ج ٣ ص ٢١٠ .
 (٤) تصرم : انقطع وذهب .
 (٥) إذ قام على تاديه أبا الفتح النيسابوري النحوي .

حوادث ٤٤٣ تزوج (أبو محمد) هذا في حياة أبيه فأعقب ولدا ، وظل
عقب المرتضى يطرد من أبنه هذا حتى وصل الى (أبي القاسم) النسابة
صاحب كتاب (ديوان النسب) •

رزق من الاناث زينب وخديجة (١) •

ومن الجائز أن تكون له بنت ثالثة هي التي بقيت حية وروت عن
عنها الرضى كتاب نهج البلاغة (٢) •

* * *

(١) رياض الجنات نقلا عن كتاب أنساب الطالبين •
(٢) ادب المرتضى ص ٧ •

خامسا : الأسرة الكبيرة

حينما ينسب الشريف المرتضى ، فانه ينسب الى شرف رفيع ، ومحتد كريم فهو أبو القاسم علي ^(١) بن الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى (الأبرش) ^(٢) بن ابراهيم بن موسى (الكاظم) بن جعفر (الصادق) بن (الباقر) بن علي (زين العابدين) بن الحسين بن علي بن أبي ^(٣) طالب طيب الله ثراه وقد ينسب الى جده موسى الكاظم فيقال (الموسوي) .

وقد أجمعت المصادر على أن اسمه علي وأخاه محمد ، الا أن ابن خلدون زعم أنه هو وأخاه كلا منهما يدعى عليا ^(٤) .

وليس قوله بشي * مع توافر الروايات على غيره .

اذن ولد صاحبنا - الشريف المرتضى - كما توضح هذه السلسلة بين أحضان أسرة تنتمي الى النبي صلى الله عليه وسلم .

أما أبوه فقد حلاه المؤرخون بألقاب كثيرة ، فهو الأجل الطاهر الأوحد ^(٥) ذو المناقب .

وكانت أسرة لها مفاخرها وسوددها وجاهلها في المجتمع الاسلامي

(١) مقدمة شرح الديوان للدكتور مصطفى جواد ج ١ ص ٢١ ، تحقيق رشيد

الصقار المحامي ، القاهرة ١٩٥٨ .

(٢) روضات الجنات ٥٤٦ .

(٣) ابن خلكان ٤٤/٢ ، واليتيمة ١٣٦/٣ والمنتظم ٢٧٩/٧ ، وشهداد

٢٤٦/٢ والأنساب ٦٣/٥٩ .

(٤) ابن خلدون ٢٥٠/٤ .

(٥) ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٠ ، ورياض العلماء ص ١٨٢ .

وقال السيد المرتضى يذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام : (١)

يا آلَ خيرِ عبادِ الله كلِّهم
 ومن لهم فوق أعناق الوي من (٢)
 كم تلمسون بأيدي الناس كلهم
 وكم تهرس فيكم دهرها المحن (٣)
 وكم يذودكم عن حقكم خنقا
 مملا الصدر بالأحقاد مضطفن
 إن الذين نضوا عنكم تراثكم
 لم يغبنوكم ولكن ديفهم غنوا (٤)
 باعوا الجنان بدار لابقاء لها
 وليس لله فيما باعه ثمن
 أجبكم والذي صلى الجميع له
 عند البناء الذي تهدى له البدن (٥)

...

ومنها قوله :

وما أبالي إذا ما كنتم وشحا
 لنا طرىء الضياء الخلق أم دجنوا (١)

-
- (١) هذه القطعة أوردها ابن شهر آشوب في المناقب ج ٤ ص ٥٨ ، ٥٩ ،
 والديوان ج ٣ ص ٢٦٦ .
 (٢) في المناقب (ولم له بك) بدل ومن لهم فوق كما وردت بالجزء الثالث .
 (٣) تهرس : تقيم من التعرير وهو نزول المسافر للاستراحة .
 (٤) نضوا : نزعوا .
 (٥) البدن : جمع بدنة (بفتحتين) وهي الناقة المسمنة تهدى للبيت
 الحرام .
 (١) الوضع (بالتحريك) : الضياء ، ودجنوا : أظلموا من الدجنة وهي الظلمة .

وانتم يوم أرمي ساعدي ويسدي
وانتم يوم يرميني العدا الجن (١)

...

وقد كان العلويون كفة خاصة لهم نظام خاص يتمثل في هيئة تسمى (النقابة) وهذه النقابة تقيم فيهم الحدود والنظام ، وتحل مشكلاتهم وتطالب بحقوقهم ، وكان آباء الشريف يتوارثونها كابرا عن كابر ، وكان من أبرز آباء الأقربين أبوه أبو أحمد وهو ابن رجل كثير النسل ، فقد كان له ثلاثون أخا من أبيه موسى (٢) .

وكان رجل النقابة في عصره ، وسيد الطالبين غير مدافع ، إضافة الى أنه كان ذا شأن في تصريف أمور الدولة ، فهو كثيرا ما كان حماية السلام في الخلافات التي كانت تقع بين بني بويه أو بين السنة والشيعة . وقد وصفه لنا ابنه الشريف المرتضى بعبارة قصائد يفتخر فيها بأبيه عموما ثم بأبيه الأدنى خصوصا من هذه القصائد قوله ضمن قصيدة يهني فيها آباء حميد النحر وهي من أوائل قوله : (٣)

حَسْبُ الْمَعَالِي بَأْنِي نَلْتُ غَايَتَهَا
وَأَنْتَ زِيْرُهَا مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ (٤)
وَكَيْفَ لَا تُلْهِبُ الْأَفْلاكَ هَاجِرَتِي
وَمِنْ زِنَادِ ابْنِ مُوسَى يَحْتَلِي ضَوْصَى ؟ (٥)

- (١) الجنن : الدروع ومفردها الجنة (بضم الجيم وتشديد النون) .
(٢) شرح النهج ٤٧/١ . (٣) الديوان ج ٣ ص ٢٢٥ .
(٤) الزير : الدقيق من الأوتار ، والمحبة لمحادثة النساء ، والمقصود هنا المحبة لمعالي الأمور وشريف النهايات .
(٥) الهاجرة : شدة الحر ، وابن موسى : يعني الشريف آباء الحسين بن موسى ، والضم : لهيب النار .

المحرر
١٤٢٥ هـ

فَرَعُ قَفَا إِثْرَ أَوْلَاهُ فَأَدْرَكَهَا
 كَمَا قَفَتِ طَلْعَةُ الْإِصْبَاحِ لِلظَّلَمِ
 مَن (كَالْحُسَيْنِ) إِذَا مَا الْخَيْلُ أَطْرَبَهَا
 قَرَعُ الْفَوَارِمِ بِالْهِنْدِيَّةِ الْخِذْمِ (١)
 هَلْ يَنْسَبُ النَّاسُ عَضْبًا لَا تَحْكُمُهُ
 فِي شَاهِقَاتِ الطَّلَى إِلَّا إِلَى الْبِهِمِ (٢)
 لَهَا نَ خَطْبُ لِيُوْثِ النَّابِ مَارَضِيَتْ
 تَأْبَدًا فِي بَطُونِ الْغَيْلِ وَالْأَجْمِ (٣)
 يَا بَى لَكَ اللَّهُ إِلَّا مِثْلَ عَادَتِهِ
 فِي حَاسِدِيكَ قَدَمٌ فِي شُكْرَهَا تَدُمُ

...

وقال من قصيدة أخرى مدح بها أباه وقومه :

مَلَانِي فَخْرًا أَنْكَ الْيَوْمَ وَالْدَى
 وَأَنْكَ طَوْدَى وَالْأَنْثَامِ شِعَابُ (٤)
 أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ إِذَا دَنَوْا
 لِحَرْبٍ تَدَانَتْ أَرْؤُسُ وَرَقَابُ ؟
 سِيُوفُهُمُ الْحَاطِلُهمْ وَقَتْنَانُهُمُ
 سَوَاعِدُهُمُ مَهْمَا اسْتَحَرَّ ضِرَابُ

...

-
- (١) الحسين : يعنى والده ، الخدم : من السيوف المقاطعة .
 (٢) الطلى : الرقاب مفردة طلية .
 (٣) الغيل (بالكسر) : مأوى الأسد ، والأجم (بالتحريك) : جمع الأجمة
 (٤) الطود : الجبل الأشم ، والشعاب جمع الشعب (بالكسر) وهو الطريق
 فى الجبل ووطن الوادى ، الديوان ج ١ ص ٥١ .

وحين ولى عند الدولة المراق ، رأى نفوذه وقوته ، فسجنه فسى فارس عام ٣٢٠ هـ ولكنه عاد بعد موت العضد عام ٣٧٦ هـ الى بغداد ، وتابع بعد ذلك اعادة جميع مناصبه ، وأملاكه اليه ، وقد انفل الشريف المرتضى بعودة أبيه حتى أنه قال يخاطبه عند رجوع النقابة اليه بعد عودته من فارس (١) :

ضَمِنْتَ مَجْدَكَ الْعَلَا وَالْمَسَايَ
 وَضَمَانَ الْعَلَا • حَرْبُ الضَّيَاعِ (١)
 أَنْ أَنْ تَقْتَضِيَ حَقَّقُ تَرَاخَتْ
 أَذْنَتْ بَعْدَ فُرْقَةٍ بِاجْتِمَاعِ (٢)
 زَاوَلُوهَا وَأَنْتَ تَرْغِبُ عَنْهَا
 وَالْأَحَاطِي نَتَائِجُ الْإِمْتِنَاعِ (٣)
 ظَمِنْتَ لَمْ يُرَاعِهَا بِاشْتِيَاقِ
 وَأَنَا بَيْتٌ لَمْ تَدْعُهَا بِزِمَاعِ (٤)
 رَجَعْتَ مِنْ نَقَضَتْ كَفَّكَ مِنْهَا
 بَيْنَ حَقِّ ثَاوٍ وَحَقِّ مَضَاعِ (٥)

...

وقد حظى بمناصب وتقديرات من الحكام تناسب مقامه الرفيع ، فقد

-
- | | |
|-----|---|
| (١) | الديوان ج ٢ ص ٢١٢ • |
| (٢) | الضياع (يفتح الضاد) : الهلاك • |
| (٣) | أذنت : أعلمت وأندرت • |
| (٤) | الأحاطي : جمع الحظوة (بضم الحاد وكسر ها) وهي المنزلة والمكانة • |
| (٥) | ظمنت : رحلت وذهبت ، وأنابت : رجعت ، والزماع : المضاع في الأمر والمزعم • |
| (٦) | رجعت : أُنَامت ، والثاوي : المقيم • |

ولاه البهاء قضاء القضاة والحج والمظالم ، وجعله نقيب نقباء الطالبين ،
وحج بالناس أميرا على الموسم ثمانى مرات ، وسمى ذى المنقبتين ولم يكن ذلك
لنقيب من قبله (١) .

وكان حليما كريما شجاعا عاقلا وذا قرارات حكيمة فى حل المشكلات ،
وذا مكانة عالية بين قومه ، ولعل ما يصوره لنا أحسن تصوير قول ابنه الشريف
المرتضى من قصيدة مدح بها أباه (٢) ومطلعها :

لقد ضلَّ من يَسْتَرْقُّ الهوى
وبعدُ الخرام طویل الشقا (٣)

...

ومنها قوله :

سقى الله منزلنا بالكثير
بكفَّ السحاب غمر الحيا (٤)
محلَّ الخيوط وموئى الليوث وماوى
وبحر الندى ومكان الشنى
فكم قد نعمت به ما أشتهيت
ست مشتملا بأزار الصبا
تعايننى منه أيدى الشمال
ويلثم خدى نسيم الصبا

-
- (١) روضات الجنات ٥٤٥ . فى هوان على السوادى المحرر البهائى طوزان
(٢) الديوان ج ١ ص ٦ .
(٣) يسترى : يستعبد .
(٤) الغمر : الكثير ، والحيا (بالقصر) المطر .

- وكم وردته ركبُ المَفَاةِ
 فأصدرتها بيلوغ المَنَى (١)
 إذا ما طمّت بى أشواقه ^{مُطَامِنٌ}
 دعوتُ (الحسين) ففاض الأَسَى (٢)
 فتى لا تحشّر آراءه
 بطرق المكان صمّ الصفا (٣)
 يجود بما عزّ من ماله
 فإن سئل أدنى علامه أبى (٤)
 وبوماء فى النخر مُستيقنان
 فيومُ العطاءِ ويومُ الوغى (٥)
 يفيض بهذا جزيل الجاءِ
 ويقرى بهذا القنا فى القرا (٦)
 تعرّف فى الخلق بالمكرّمات
 فأغتنمه من رائقات الكنى
 وأخبر من با لمجد قول المِدة
 وأنطق خرم اللها باللها (٧)

-
- (١) المفاة : جمع الحافى والمحتفى وهو طالب المعروف .
 (٢) الحسين : يعنى أباه .
 (٣) الصفا : جمع الصفاة وهى الحجر الصلب .
 (٤) يجود بأفضل ما عنده وأن سئل الأدنى أبى .
 (٥) يقصد كل أيامه موزعة بين الكرم والجود وبين النزلقى ساحة القتال .
 (٦) الجاء : العطاء ، ويقرى : يضيف ، والقرا (بالفتح) و (القصر)
 الظاهر .
 (٧) المدة : الأعداء ، واللها : (بالفتح) اللحمة المشرفة على الحلق
 والبلعوم وتطلق على اللسان وبالضم جمع اللهوة والهيئة وهى العطية .

ومنها قوله :

ولولا علوك^٢ عن قدرهم
 لحكمت فيهم طوال القنبا
 وألحظت أعينهم غيرة^٣
 تفارق منها الجسم الطلي^١ (١)
 لقد عشتهم سفاهاتهم^٤
 وكهف السفاهة بشم الحي

...

ومنها أيضا قوله في معرض تهنئته بشهر رمضان المبارك ، وشبهه أباه
 بالشهر الفضيل :

تهنأ^٥ بشهر تهنأ^٦ منك
 بصدق اليقين ، وصدق التقى
 فهذا به تستضيء^٧ السنون
 وأنت بمجدك فخر الورى
 ولو فطن الناس كنت السوا
 د من كل طرف مكان المقبا^٨ (٢)
 فعش عشة الدهر يا طرفة
 عيم المكان ، ماض الشبا^٩ (٣)

-
- (١) الطلي : جمع الطلية وهي الرقبة .
 (٢) المقبا : جمع المثبة (بضم الميم) وهي المايق ، والموقي ، وهو مؤخر
 الحين ما يلي الأنف .
 (٣) الشبا : (بالفتح) الحد .

ولا يصبرنك هذا الزَّمان
وأنت المطأ ، والآنم الصلا (١)

...

وكان المرتضى يجلسه كثيرا ، ويحترمه ويفتخر به في
كل مناسبة حتى جعل منه رجلا كالملك يهني في المناسبات والأعياد ،

قال يهني : أباه بعيد النحر من قصيدة مطلعها : (٢)

هل الهوى يهفو به المذل
ويغض من جمحانه الملل (٣)

...

ويقول فيها أيضا :

وإذا وصلتُ إلى (الحسين) فدى
وصلى له الخلان والخلل (٤)
ذاك الذي جمع الولاء له
وتشايحت في حبه الملل
في كل عارفة له قسم
ولكل مكرمة به مثل

-
- (١) المطأ (بالفتح) : الظهر ، والصلا (بالفتح) : ما انحدر من
الوركين مما يلي الذنب .
(٢) الديوان ج ٣ ص ٥ .
(٣) يهفو : يذهب ، ويغض : ينقص ، والجمحان : ركوب الهوى .
(٤) الحسين : يعني أباه ، والخلل : جمع الخلعة (بالضم) أى الخليل .

سَيْطُ الْأَنَامِلِ وَلَهُ دِيَسَمُ
(١) للمعتفين وورده عَسَلُ
والجودُ حيثُ الوعدُ مُتَقَدُّ
والقولُ معقودٌ به الحَمَلُ

ومنها أيضا :

وَلَا نَتَّ أَنْ عَدَّ أَمْرُ سَلَفَا
(٢) من معشرٍ إِنْ فَوَضِلُوا فَضَلُوا
المفضِلون إذا الوري بخلوا
والمقدمون إذا هم نَكَلُوا
والمعجلو الجرد الحِثاق ولا ال
(٣) أَرْسَانُ تَمْسِكُهَا وَلَا الْجَدُلُ
غلبوا على خطط العلاء وكم
قد رامها قومٌ فما وصلوا

...

وقال أيضا في قصيدة أخرى يهني * أباه فيها بعيد الفطر مثلما كان
يفعل مع الملوك : (٤)

-
- (١) الويل : المطر الشديد ، والديم : جمع الديمة (بالكسر) وهو
المطر الدائم بلا رعدا وبرق ، والمعتفون : جمع المعتفى وهو طالب
المعروف ، والعسل : الشرب الثاني .
(٢) السلف : الأصل .
(٣) الجدول : جمع الجدِيل وهو الزمام المجدول أى المقتول .
(٤) الديوان ج ١ ص ٢٣٦ .

لقد أَلصَقْتَنِي (بالحسين) خلائقُ
 أَعَدَّنَ قديمَ المجدِ غُصَّاءَ مجدِّدا
 هو المرءُ إنَّ قلَّ التقدُّمُ مُقْسِمٌ
 وإنَّ عَزَّ زادٌ في العشيرةِ زوداً
 أَيْ على قولِ العواذلِ سمعُ
 (١) إذا أَمْرُضُوا دونَ الحفيظةِ والنِّدا
 وأَرُوغَ من آلِ النَّبِيِّ إذا اتَّمسَى
 (٢) أصابَ علياً والدَّاءَ وَحَمَّداً

...

وكان قد أسن وأضر في أخريات حياته (٣)، وتوفي وقد أناف على
 (٩٠) التسمين عاماً سنة ٤٠٠ أو ٤٠٣ هـ في جمادى الأولى (٤) وكان قد
 ولد عام ٣٠٢ هـ (٥).

ولما توفي رثاه المرتضى بقصيدة تفيض أسى ولوعة مظلماً : (٦)

الا ياتومُ للقَدَرِ المُنْجَحِ
 وللأَيَّامِ ترغُبُ عن جِراحِ (٧)

(١) الحفيظة : الذمام ، والندا : العطا .

(٢) الأروغ : السيد الحسن الرواس (٣) روضات الجنات ٥٤٩ ، والشذرات ٣/ ١٨٢ .

(٤) ابن خلكان ٤٨/ ٢ ، والوافي ٣٢٨/ ٢ ، وروضات الجنات ٥٤٩ ،

والشذرات ٣/ ١٨٢ ، وشرح النهج ويذكر رواية ٤٠٠ فقط ٤٧/ ١ .

(٥) ابن خلكان ٤٨/ ٢ ، وفي شرح النهج أنها ٤٠٣ راجع ٤٧/ ١ .

(٦) الديوان ج ١ ص ٢٠٠ .

(٧) المتاح : المقدر .

وقد وصفه فيها بأنه كان من الذاكرين لله حين قال أنه :

(مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ لَهُمْ قُلُوبٌ
يَذْكُرُ اللَّهُ عَامِرَةَ النَّوَاحِي)

ومنها قوله :

أَلَا قُلْ لِلْآخِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ
وَسُكَّانِ الظُّوَاهِرِ وَالْبَاطِحِ
هُوَ مِنْ بَيْنَكُمْ جَبَلُ الْمَعَالِي
(١) وَعُرْنَيْنِ الْمَكَامِ وَالسَّمَاحِ
وَجَبَّ اللَّهُ غَارَكُمْ فَكُونُوا
(٢) كَذَّالِمَةَ تَحِيدُ مِنَ الْمَرَّاحِ
يُدْفَعُهَا مَسَوِّفَهَا الْمُعَسِّنِي
(٣) وَقَدْ شَحَطَ الْكَلَالُ عَنِ الْبُرَّاحِ
(٤)

...

ومنها أيضا تساؤلاته :

فَمَنْ لِلْخَيْلِ يَقْدِمُهَا مُخِذًا
(٤) يُنَازِعَنَّ الْأَعْنَةَ كَالْقِدَاحِ

-
- | | |
|-----|---|
| (١) | المرنين : الأنف . |
| (٢) | جب : قطع ، والنارب : الكاهل ، والطارعة : المراجعة والمراح :
(بالفتح) : الموضع الذي يراح منه أو إليه ، وبالضم مأوى الأبل
والنم ومحل راحتها . |
| (٣) | شحط : بعد ، والكلال : التعب ، والبراح : التحول والمكان
الذي لا زرع فيه . |
| (٤) | مخذا نحاتا وسرعا ، والأعنة : جمع العنان ، وهو الزمام ، والقдах
السهم . |

وَمَنْ لِلْبَيْتِ يُولُغُهَا نَجِيمًا
 (١) مَنْ الْأَعْدَاءُ فِي يَوْمِ الْكِفَاحِ ؟
 وَمَنْ لِلْحَرْبِ يُوقِدُ فِي لَنَاهَا
 إِذَا احْتَدَمَتْ أَنْابِيبَ الرِّيحِ
 وَمَنْ لِمَسْرُئِلٍ فِي الْقَدِّ عَانِ
 (٢) عَلَى وَجَلٍ يُذَادُ عَنِ السَّرَاحِ

...

ومن شدة تأثره بالمصاب الجلل يقول - وهو الذي يفاخر بنفسه في
 القراع ، والقيادة : ^{ورؤوني}

وَرُؤُونِي وَلَا تَخْشَوْا قِرَاعِي
 فَقَدْ أَصْبَحْتُ مُسْتَلَبَ السَّلَاحِ
 وَقُودُونِي فَمَا أَنَا فِي يَدَيْكُمْ
 عَلَى مَا تَعْمِدُونَ مِنَ الْجِمَاحِ
 وَلَا تَنْتَظَرُوا مِنِّي ارْتِيَا حَا
 فَقَدْ ذَهَبَ ابْنُ مُوسَى بَارْتِيَا حِي
 فَلِلسَّبَبِ الَّذِي يَشْجِي التَّرَامِي
 (٣) وَلِلسَّبَبِ الَّذِي يُسْلِي أَطْرَاحِي

-
- (١) يولغها : يلحقها ، والنجيع : الدم وقيل دم الجوف خاصة .
 (٢) المسريل : لابس السربال ، وهو القمص والدرع ونحوه ، والقصد :
 القيد من الجلد ، والعماني : الأسير ، ويذاد : يطرد ، والسراح
 والتسريح بمعنى واحد .
 (٣) الأطراح : الأيماد .

أما أمه فهي من بيت علوى شريف أيضا فهي : فاطمة بنت الحسين
ابن أحمد بن الناصر (الأصم) صاحب الديلم ، والناصر هو ابن علي بن الحسن
ابن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (١) كرم الله وجهه .

ويبدو أن أثرها في حياة الشريف المرتضى كبير جدا ، فهي التي علمته
مع أخيه الشريف الرضى ، وأخذت بيدهما إلى الدرس والتحصيل ، وأنستهمما
حين أودع والدهما السجن وانفقت عليهما من مالها .

فقد ذهبت بهما أمهما - وهما طفلان - إلى الشيخ محمد بن محمد بن محمد
النعمان المعروف بالمفيد وهو بالمسجد يتلقيان عنه الفقه والأصول ، وكان فقيه
الشيعة التي انتهت إليه رئاسة الإمامية وحفظت تأليفه آراءهم وتأويلاتهم (٢) .

ويبدو ذلك في قول الشريف (الرضى) : (٣)

ومن المول لى اذا ضاقت يدى
ومن الممل لى من الأدواء
ومن الذى ان ساورتنى نكبة
كان الموقى لى من الأسواء

...

ومن قصائده السائرة في مدح خاله الشريف أبي الحسين أحمد بن
الحسن الناصر ، قصيدة مطلعها : (٤)

-
- | | |
|-----|---|
| (١) | شرح النهج ٤٨/١ . |
| (٢) | طيف الخيال ، ص ١٤ . |
| (٣) | ديوان الشريف الرضى ج ١ / ٢٨ ط بيروت . |
| (٤) | سيرة المرتضى من شعر مقدمة الديوان ، الديوان ج ١ ص ١٣ -
المقدمة . |

ما رأيتني عيناك يوم الفراق
أخدع القلب بأدكار التلاقى

...

ومن هذه الأبيات المفحمة بالركة والمندومة :

يا خليلي من ذؤابة قيسي
في التصابي رياضة الأخلاق
غنياني بذكرهم تطرباني
واسقياني دمي بكأس دهاق
وهذا النوم من جفوني فاني
قد خلعت الكرى على المشاق

...

واشتهر من بين اخوته أبو المحسن أحمد الرضى وهو شقيقه ، وكان
رجل علم وأدب ، وابتدأ يقول الشعر وهو ابن عشر سنوات ^(١) ، وتولى النقابة وهو
لا يزال في عمر الشباب ، وله ديوان ضخيم ، ومؤلفات كثيرة .

يقول فيه الدكتور زكي مبارك : " ان الشريف الرضى من أفصل
الشعراء " ^(٢) ، والدكتور شوقي ضيف يضعه في مرتبة متخلقة عن مرتبة المتنبي ^(٣)
وكان يشمر بالتفوق على الآخرين ، ويأنف حينما ينسب الى الشعراء ويرى أنه
فوقهم أجمعين وفوق كل مرتبة للشعر فيقول : ^(٤)

-
- (١) روضات الجنات ٥٤٧ ، والشذرات ٣ / ١٨٢ .
(٢) بقرية الشريف الرضى ، زكي مبارك ج ١ / ١٥ ط بيروت .
(٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ٣٥٤ .
(٤) ديوان الرضى ج ١ / ٣٣١ ط بيروت .

وما الشعر فخرى ولكنما
أطول به همة الفاخر
وأنى وان كنت من أهله
فتكرنى حرفة الشاعر

...

* * *

سادسا : أثرهما فى الشعر

~~~~~

كما لاحظت على الصليبيات السابقين ، كانت أسرته الكريمة والصغيرة لهما الآثار الواضحة فى شعر الشريف المرتضى وخاصة آباؤه الذين كان يفتخر بهم دائما ، وذكرهم فى العديد من قصائده ، وأذكر من بينها قوله (١) :

- أما الطريفُ من الفخار فعندنا  
ولنا من المجد التلبد سنامُه (٢)  
ولنا من البيت المحرم كلما  
طافت به فى موسم أقدامه  
ولنا الحطيم وزمزم وتراثنا  
نعم التراث عن الخليل مقامه (٣)  
ولنا المشاعر والمواقف والذى  
تهدى إليه من منى أنعامه (٤)  
وبجدنا وبصنوه دحيث عن الـ  
بيت الحرام وزعزعت أصنامُه (٥)

(١) الديوان ج ٣ ص ١٦٤ .

(٢) الطريف : من المال المكتسب ، ويقابله : التلبد وهو الموروث .

(٣) الحطيم وزمزم والمقام : مواضع مقدسة فى المسجد الحرام .

(٤) المشاعر : مواضع مناسك الحج .

(٥) الصنو : الشقيق وابن العم ويريد به هنا على بن أبى طالب عليه السلام

حيث كان جد الشاعر وكان صنوا للنبي صلى الله عليه وسلم .

وهما علينا أطلعا شمس الهدى  
 حتى استنار حلاله وحرامه  
 وأبى الذى تبدو على رغم العدا  
 غرا محجلة لنا أيامه  
 كالهدر يكسوا لليل اثواب الضحى  
 والفجر شب على الظلام ضرامه  
 وهو الذى لا يقتضى فى موقف  
 (١) أقدامه نكص به أقدامه  
 حتى كان حياته هى حتفه  
 ووراءه مما يخاف أمامه  
 ووقى الرسول على الفراش بنفسه  
 (٢) لما أراد حمامه أقوامه  
 ثابته فى كل الأمور وحصنه  
 فى النائبات وركبه ودعاه

...

وقال قصيدة أخرى يمدح بها آل الرسول ويفتخر بهم منها (٣) :  
 لأنتم آل خير الناس كلهم  
 المنهل العذب والمستورد الفدى (٤)  
 وليس لله دين غير حبكم  
 ولا إليه سواكم وحدكم طرقي

- 
- (١) نكص : راجعه القهقرى .  
 (٢) يشير الى مهيت على عليه السلام على فراش النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة .  
 (٣) الديوان ج ٢ ص ٢٩٤ .  
 (٤) الفدى بفتحين : الكثير .

وَأَنْ يَكُنْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ غَيْرِكُمْ  
 سوى الوجود فأنتم عنده الحديق  
 رَزَقْتُمُ الشَّرَفَ الْأَعْلَى وَقَوْمَكُمُ  
 فيهم غُضَابٌ عَلَيْكُمْ كيف ما رَزَقُوا ؟  
 وأنتم في شَدِيدَاتِ الْوَرَى عَصَرُ  
 وفي سواد الدِّيَا جِي أَنْتُمْ الْفَلَقُ (١)  
 ما لِلرَّسُولِ سوى أولادكم وَلَدُ  
 ولا لِنَشْرِهٖ إِلَّا بِكُمْ عَبَقُ (٢)  
 ...

وكنضم أجزاء ديوان الشريف المرتضى قصائد أخرى كثيرة لاحظت من فحصها  
 انه معتز بنسبه اعتزازا شديدا ، فهو يفتخر به ، ويحاول دائما أن يسير على  
 نفس النهج ، ويرتسم نفس الخطوات .

ومن ناحية أخرى ، لاحظت أنه يذكر جده الحسين بن علي بن أبي طالب  
 كثيرا في شعره ، ويرثيه في عاشوراء ، ومن هذه القصائد اخترت قوله (٣) :

يَا يَوْمَ أَيْ شَجَى بِمِثْلِكَ ذَاقَهُ  
 عَصَبُ الرَّسُولِ وَصَفْوَةُ الرَّحْمَانِ  
 جَرَعَتْهُمْ غُصَصَ الرَّدَى حَتَّى أَرْتَوَوْا  
 وَلَدَعَتْهُمْ بِلَوْدَعِ النَّبِيرَانِ  
 وَطَوَّحَتْهُمْ بِمَدَدِ بَأْجَوِزِ الْفَلَا  
 لِلذَّبِّ أَوْ نَسَةِ وَلِلْمِقْبَانِ (٤)

- 
- (١) الدياجي : الظلمات ، والفلق : الصبح .  
 (٢) النشر : رائحة الطيب وتضوؤه والعبق مثلها .  
 (٣) الديوان ج ٣ ص ٣٤٢ .  
 (٤) العقبان : جمع العقاب ( بالضم ) وهو من الطيور الجوارح .

عافوا القرارَ وليس غيرَ قرارهم  
 أو يحدّهم موتاً بحدّ طمّانٍ  
 منمّوا الفراتَ وصرعوا من حوليه  
 من تائقٍ للوردِ أو ظمّانٍ (١)

ومنها قوله :

أو ما رأيتَ قراعهم ودفاعهم  
 قدماً وقد أعبروا من الأعوانِ  
 متزاحمين على الردى في موقفٍ  
 حثي سقى الظبا وأسنة الممرانِ (٢)  
 ما إن به إلا الشّجاعُ وطائرٌ  
 عنه حذار الموتِ كلّ جبانٍ  
 يومٌ أدلّ جما جماً من هاشمٍ  
 وسرى إلى عدنانٍ أو قحطانٍ  
 ...

وقال أيضاً يرثيه في قصيدة أخرى (٣) :

حلفتُ بمن لا ذنّ قرشيٍّ ببيتيه  
 وطاقوا به يوم الطواف وكبّروا  
 بالحُصياتِ اللاتِ يقذفن في منى  
 وقد أمّ نحو الجمرة المتجمّرة (٤)

(١) الفرات : نهر في العراق ، والتائق المشتاق .

(٢) أسنة الممران : الرماح اللدنة .

(٣) الديوان ج ٢ ص ٢٨ .

(٤) الجمرة : واحدة جمرات المناسك في الحج .

وَوَادٍ تَذُوقُ الْبُزْلُ فِيهِ حِمَامَهَا<sup>١</sup> <sup>المعفر</sup>  
 فَلَيْسَ بِهِ إِلَّا الْهَدْيُ الْمَعْفَرُ<sup>(١)</sup>  
 وَجَمْعٌ وَقَدْ حَطَّتْ إِلَيْهِ كَلَاكِلُ<sup>٢</sup>  
 طَلَائِحُ<sup>٣</sup> أَصْنَتِهَا التَّنَائِفُ<sup>٤</sup> ضَمَرُ<sup>(٥)</sup>  
 يَخْلُنَ عَلَيْهِنَّ الْهَوَادِجُ فِي الضَّحَى<sup>٥</sup>  
 سَفَائِنَ فِي بَحْرِ مِنَ الْآلِ يَزْخَرُ<sup>(٦)</sup>  
 وَيَوْمَ وَقُوفِ الْمُحْرَمِينَ عَلَى ثُبُرَى<sup>٦</sup>  
 تَطْلُحُ بِهِ الزَّلَّاتُ مِنْهُمْ وَتُخْفَرُ<sup>٦</sup>  
 اتَوْهُ أَسَارَى الْمَوْقِفَاتِ وَوَدَّعُوا<sup>٦</sup>  
 وَمَا فِيهِمْ إِلَّا الطَّلِيقُ الْمَحْرَرُ<sup>٦</sup>  
 لَقَدْ كُفِّرَتْ لِلدِّينِ فِي يَوْمِ كَرِيحِ<sup>٦</sup>  
 كَسَائِرُ لَا تَوْسَى وَلَا هِيَ تَجْبَرُ<sup>٦</sup>  
 ...

وليس أدل على فخره واعتزازه من قصيدته النونية التي جمع في بعض أبياتها كل الفخر لكل أبائه<sup>(٤)</sup> :

نَحْنُ أَنَاسٌ مَا لَنَا مَحَلَّةٌ<sup>٧</sup>  
 إِلَّا قِلَالُ الرَّاسِيَّاتِ وَالْقَنِينِ<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) البزل : جمع البازل والبزلاء من الابل ما بزل نابه ، والهدى : ما يهدى وينحر لوجه الله تعالى .  
 (٢) جمع : موضح بمعنى ( المزدلفة ) ، والكلاكل : الصدور ، والطلائح : المعية من التعب أو الهزال والتنائف : المفاوز ، وضمـ : جمع ضامر وضامرة من الابل الهزيل .  
 (٣) الآل : السراب .  
 (٤) الديوان ج ٣ ص ٣٤٧ .  
 (٥) القلال : جمع القلة وهي كالقنة ، والراسيات : الجبال .

مَا نَقَتْنِي إِلَّا لِهَبَّاتِ الْوَغَى  
 سَمَرِ الرَّيَاحِ وَالصَّفَاحِ وَالْحَصْنِ  
 مَنَا التَّبَى وَالْوَصَى صَنَمُوهُ  
 ثُمَّ الْبَتُولُ وَالْحَسَنُ وَالْحَسَنُ  
 وَعَيْنَا الْعَبَّاسُ مِنْ كَهْمَنِيَا ؟  
 أَبْنَاؤُهُ الْفَرَّصَابِيحُ الزَّمَنُ

...

أما تأثير أبيه على شعره فواضح أيضا أشد الوضح ، فصاحبنا دائم المدح فيه والتهنئة له ، وذلك في كافة المناسبات التي جرى العرف أن يمدح فيها الشعراء الملوك والأمراء والوزراء ، الأمر الذي استدلت منه على مدى اعتزاز الشريف المرتضى بوالده وتقديره له ، فقد هنأ بحلول شهر رمضان ، وبعيد الفطر وعيد النحر كما فعل مع الملوك ، والأمراء والوزراء .

وله شعر في أخيه كثير ، فقد كتب إليه بعد قطيعة عرضت وعوتب بشأنها عتابا أورث الرضا (١) :

تَكْشَفُ ظِلَّ الْعَتَبِ عَنْ غُرَةِ الْمَهْدِ  
 وَأَعْدَى اقْتِرَابِ الْوَصْلِ مَنَا عَلَى الْبَعْدِ  
 تَجَنَّبَنِي مِنْ لَمَسٍ عَنْ بَعْضِ هَجَرِهِ  
 صَفُوحًا وَلَا عَنْ قَسْوَةٍ مِنْهُ بِالْجَلْدِ  
 نَهْنَهَ يَدُ الْأَعْتَابِ عَمَّا سَخِطْتَهُ  
 كَمَا يَنْتَضِي الْمَضْبُ الْجَرَّازُ مِنَ الْفُتْدِ (٢)

(١) الديوان الجزء الأول ص ٢٥٥ .

(٢) المضب : السيف ، والجراز : القاطع .

وَكُنْتُ عَلَى مَا جَرَّ الْهَجْرُ مُسْكَاً  
 بِحَبْلِ وِفَاءٍ غَيْرِ مَنْصَمِ الْعَقْدِ  
 أَمِينَ نَوَاحِي السَّرِّ لَمْ تَسْرِ غَدْرَةً  
 بِيَالِي وَلَمْ أَحْفَلْ بِدَاعِيَةِ الصَّدِّ  
 تَلِينَ عَلَى مَنِّ الْأَخْيَاءِ مَضَارِيسِي  
 وَإِنْ كُنْتُ فِي الْأَقْوَامِ مُسْتَخْشَنَ الْحَدِّ  
 ...

وقد أجابه الشريف الرضي بقصيدة على الوزن والقافية أولها :  
 عجبت من الأيام انجازها وعدي  
 وتقريبها ما كان مني على بعد  
 ...

وقال يرثي أخاه الرضي وقد توفي في محرم ( سنة ٤٠٦ ) ، وقد جزع  
 المرتضى فذهب الى الكاظميين لئلا ينظر أخاه في السياق (١) :  
 يَا صَاحِبِي هَلْ نَابَ سَمْعَكَ مَثَلِيهَا  
 قَدْ نَابَنِي نَهَا أَطَارُ نَعَاسِي  
 لَا أَرْتَضِي مِنْهُ وَضُوحَ يَقِينِيهِ  
 وَأَوْدُ أَنِّي مِنْهُ فِي الْهِسَابِ  
 أَنَحَى عَلَى كَيْدِي بَوْشَكَ سَمَاعِيهِ  
 نَاراً تَحْزُ جُنُوبَهَا بِمَوَاسِي (٢)

(١) الديوان ج ٢ ص ١٣١ .

(٢) أنحى عليه : أقبل عليه ضرباً ، والمعنى هنا صب على كيدي وأفرغ .

مَنْ كَانَ يَأْبَىٰ فَضْلَهُ الْعَالَى الذُّرَا  
 مِنْ أَنْ يُقَاسَ إِلَى الْوَرَى بِقِيَاسِ  
 مَنْ كَانَ طَلَّقَ الْوَجْهَ يَوْمَ طَلَاقِيَّةٍ  
 وَمَعْبَسًا شَرَسًا عَلَى الْأَشْرَاسِ  
 ذَاكَ الَّذِي جَمَعَ الْفَخَارَ فَخَارُهُ  
 سَبَقًا إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ  
 إِنَّ الْفَضَائِلَ بَعْدَ فَقْدِ مُحَمَّدٍ  
 دَرَسَتْ مَعَالِمَهَا مَعَ الْأُدْرَاسِ  
 فَالآنَ هُنَّ كَشَنِيَّةٌ مِنْبُودَةٌ  
 (١) أَوْ حِلْسٌ مُسْتَفْنٍ عَنِ الْأُخْلَاسِ  
 وَاهَا لِعُمُرِكَ مِنْ قَصِيرٍ طَاهِرٍ  
 (٢) وَلِرَبِّ عُمُرٍ طَالٍ بِالْأَرْجَاسِ  
 ...

وقال وكتب بها الى الشريف أبي الحسين أحمد بن الحسن الناصر  
 خاله يعزيه عن بنت له توفيت ، وهى من أوائل قوله ، وتد لنا على مدى مشاركته  
 لعائلته فى كل المناسبات (٣) ومنها قوله :

يَسْمَى الْفَتَى وَخِيُولُ الْمَوْتِ تَطْلُبُهُ  
 وَإِنْ نَوَى وَقْفَةً فَالْمَوْتُ مَا يَقِفُ  
 نَلْقَى مِنَ الدَّهْرِ مَا يُدِى حَاجِرَنَا  
 وَمَا لَنَا عَنْ هَوَى رُوِيَاءٍ مُنْصَرِفُ

- 
- (١) الشنة : القرية الصغيرة البالية ، والحلس : غشاء يوضع تحت سرج الدابة .  
 (٢) الأرجاس : مفرد ما رجسوهى الآثام .  
 (٣) الديوان ج ٢ ص ٢٤٩ .

ومنها قوله في نهاية القصيدة ، وتنحكن فيه نفسه الشفافة ، ورقة شعوره ،  
وقدر المشاركة التي كان يلقاها منه أقرباءه ، وزهد ، :

يُهدى العزاء إلى المفقود مُفْتَقِدٌ  
مُوَزَّرٌ بشباب الموت ملتحفٌ  
ويصرف الهمَّ عن قلب أطاف به  
من قلبه لتواصي الهمَّ مكثفٌ  
إن التي أضرمت أحشاءنا جزعاً  
تلاق منها غداً في الجنة الزلف  
ولن يُذكرَك المسلمون موعظةً  
وأنت تعلم منها فوق ما وصفوا  
....

وقال قصيدة يرثي بها اختا له توفيت مطلعها (١) :  
أفنى كل يومٍ لي حميمٌ أفارقُهُ  
وخلٌّ نأني ما نبت بي خلائقُهُ  
وينهيها بقوله :

ولو أنني أنصفتها من رعايتي  
وقابلته رزاً بما هو لائقه  
لأكرعتُ نفسي بعدها مكرع الردى  
تصاحبه حزناً لها وتغابقه  
سقى جدّاً أصبحت فيه مجلجلٌ  
رواعده ما تنجلجلى وبوارقه (٢)

(١) الديوان ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٢) الجدث : القبر ، والمجلجل : السحاب الراعد .

وَرَكْرَدِي

يَطْبِيعُ الصَّادَا الدَّقَّاعُ مِنْهُ وَتَرْتَرُوهِي  
مُخَارِبُهُ مِنْ فَيْضِهِ وَمُشَارِقُهُ (١)  
لِئِنْ غَبَتِ عَنْ عَيْنِي فَرُبُّ مُغَيَّبٍ  
يَرْجُ وَأَبْصَارُ الْقُلُوبِ رَوَاقُهُ

...

وقال من قصيدة مطولة كتبها الى الشريف أبي الحسين أحمد بن الحسن  
الناصر ، خاله ، وهي من أوائل قوله يهنئ به بعيد الفطر (٢) :

جاءك العيد ضامنا رى آمنا  
لك من منهبل له رقرق  
فالقه بالمنى وناشده شمرى  
تجدنه الهه بالأشواق

...

وقال ضمن قصيدة يرثى أختا له أسنت قبلت من العمر نيفا وتسعين  
سنة وكانت وفاتها في أواخر شعبان من سنة ٤١٩ (٣) :

يَا رَيْةَ الْبَيْتِ الْحَرَمِ تَرْبُهُ  
عَنْ أَنْ يَلْمَ بِهِ فَمَالٌ بِحَرَمِ  
قَطَنَ الْعَقَافُ بِهِ وَعَرَسَ غَنْدُهُ  
كَمْ كَمَرِ الدَّهْرِ لَا يَتَلَمَّ  
مَا أَنْ بِهِ صَبْحًا وَكُلَّ عَشِيَّةٍ  
خَشَنَاءَ إِلَّا صُورُ أَوْ قُورُ

(١) الصدى : المطش .

(٢) الديوان ج ٢ ص ٣٤٢ .

(٣) الديوان ج ٣ ص ١٨٦ .

ومسددون كأننا حسناتهم  
في ليهم ذاك البهيم الأنجم  
...

ومنها قوله : <sup>ابنهما الى</sup> <sup>جنته</sup> <sup>فإذا</sup> <sup>رمى</sup>  
كان ابتها لك جنة فإذا روى  
جهتي العدا تزور عني الأسهم (١)

ومنها أيضا :  
لك جنة ما هولولة فاستبشري  
بدخولها ، فلآخرين جهنم  
وإذا وصلت الى النعيم فهين  
من قبله ذاك البلاء الأعظم  
...

وهناك الكثير من النماذج الاخرى بديوانه ، والتي كتبها لأسرته ، أو في  
أسرته ، وله قصائد تتعلق بالشريف الرضي - سيأتي ذكرها ان شاء الله في موضوعها  
من هذا البحث وكلها تدل على ان اعتزازه بنفسه جعله كثير الافتخار بأبائه ، والمشاركة  
لأقربائه في المناسبات المختلفة ، بقصائده التي تفيض رقة وإخلاصا ، كما أرى أن  
طول عمره - بالمقارنة بأخيه الشريف الرضي جعله يشارك في التهنئة والرشاء  
لمختلف أقربائه .

\* \* \*

---

(١) الجنة ( بالضم ) : الدرع .

سابعاً : شخصيته وصفاتها الجسمية والنفسية والاجتماعية



لكل شخصية ثلاثة جوانب منها الصفات الجسمية ، ومنها الصفات النفسية والعقلية ، ومنها الصفات الاجتماعية .

وقد كان للشريف المرتضى نصيب وافر من هذه الصفات ، فكان نحيف الجسم ، حسن الصورة ، فصيح اللسان ، وكان يتوقد ذكاءً ، وكان رقيق الشعور حتى أنه لم يستطع أن يشهد جنازة أخيه ، ومن رقة شعوره كذلك من أن الناس أصابهم في بعض السنين قحط شديد ، فاحتال رجل يهودى على تحصيل قسوت يحفظ نفسه ، فحضر يوماً مجلس المرتضى ، فاستأذنه أن يقرأ عليه شيئاً من علم النجوم ، فأذن له وأمر له بجائزة تجرى عليه كل يوم ، فقرأ عليه برهة ، ثم أسلم على يده (١) .

وأجد لزاماً على أن أوضح أن نحافة جسمه ليست عن هزال أو ضعف ، إلا أن يكون ذلك الوصف له في أيام شيخوخته ، فاني لم أعهد الشريف شاكباً مرضاً أو علة طوال أيام حياته ، وإن أسفاره المتعددة إلى مكة أميراً للحج لتتطلب قوة جسمية عظيمة وخصوصاً أن السفر في تلك الأيام كان فيه من المشاق والمخاطر ، ما لا يقوى عليه إلا رجل قوى البنية ، وإن قيامه بأعمال نقابة النقباء ، وقضاء القضاة - وقد ضاع بها أبوه وأخوه الرضى (٢) وطلبها الاغناء منها مدة

(١) طيف الخيال ص ١٦ .

(٢) ابن الأثير والمنتظم حوادث ٤٠٠ ، وديوان الرضى ط بيروت . ج ١

ص ١٢٥ ، ج ٢ ص ١٤٦ .

ثلاثين عاما لتستدعي قوة جسمية وعقلية

وكان رفيق المشاعر ، يتأثر بما ينزل باخوانه ، ويأسى لأساهم ، فلا  
لصيب أحدهم هصيبة الا بادرا الى الواساة ، معزيا في قصيدة ، وفي الظروف  
السعيدة يهنئ بأبيات ، مع العلم أن بين اخوانه من لا شأن له في الدولة  
ولا نصيب له من جاء المال .

كما أنه كان يتصف بالحلم كظوما للفيظ ، ويلقى من أبناء عومته العلويين  
من الكيد والحسد الشيء الكثير ، ولكن ما علمته قابل أحدا منهم بالسوء . بل  
كان يلجأ الى قول الشعر ينفسيه عن نفسه ، ويلاطف من حدثه ، ويشير الى  
ما يلقاه من أذى ، وما يلقاهم به من لطف (١) .

وقد علمته ميالا الى الزهد في الدنيا تاركا زخرفها ، راغبا عنها  
ذا مالها داعيا الى الاعتبار فيها ، سالكا سبيل أجداده الكرام ، والصحابه  
المظام ، من جعلها مجازا للآخوة ، ومزادا لدار القرار ، لذا نجده في  
ديوانه يفيض في القصائد في ذم الدنيا والحث على الزهد فيها والاعتبار بتقلب  
أحوالها ، وفناء ما يحتبر في عرف أهلها من نعمها ، ثم هو يصف مقابرها ، ويرثي  
مقبورتيها ، ويدعو كذلك الى تكميل النفس وتهذيبها ، وغرس مواد العزة فيها بنسب  
الحرص ، وترك الطمع ، والتخلي بجميل الخصال .

---

(١) أدب المرتضى ص ٧٠ ، ٧١ .





ومن ذلك قوله في ذم الدنيا والحث على الزهد فيها (١)

- ولم أرَ كالدنيا تصدّ عن الذي  
يودُّ محبوبها فيحسن صدّها  
وتسقيهم منها الأجاج مَصْرَدًا  
وكيف بها لو طاب للقيوم عدها (٢)
- ومنها أيضا :  
وحبُّ بني الدنيا الحياةَ سيئةً  
بهم ثلثة بالنفس أعوز سدها (٣)
- ومنها كذلك :  
سقى الله قلباً لم يبت في ضلوعه  
هواها ولم يطرق نواحيه وجدها (٤)
- ولم يخش منها نحسها فيبيتها  
على ظمأ ، إلا محيّا سعدّها  
تخفف من أزوادها ملّ طوقه  
فهان عليه عند ذلك فقدّها (٥)

(١) الديوان ج ١ ص ٢٣٤ .

يسوء نظره ليلا .

(٢) الأجاج : الطع المرء والمصد : القليل ، والمد (بالكسر) : الماء الكثير .

(٣) أعوز : تعذر .

(٤) وجدها : شوقها وهواها .

(٥) الطوق : الطاقة والوسع

وقال في الموعظة والاعتبار، وهي قصيدة طويلة نذكر منها (١) :

وأجعلُ صلاحَكَ سَرمَداً  
فأصلِّحَكَ الباقِياتُ  
في هذه الدُّنيا وَمِنْ  
فِيهَا لَنَا أَبداً عِظَاتُ  
أما صُروفٌ مَقْبِلًا  
تُ أو صُروفٌ مَدْبِرَاتُ  
وحوادثُ الأَيَّامِ فِيمَا  
نَا آخِذَاتُ مُعْطِيَاتُ  
وَالذُّلُّ مَوْتٌ لِلْفِتَى  
وَالعِزُّ فِي الدُّنْيَا الْحَيَاةُ  
وَالذَّخْرُ فِي الدَّارَيْنِ إِمَّا  
إِطَاعَةٌ أَوْ مَأْثَرَاتُ  
يَا ضَيْعَةً لِلْمَرُءِ تَدْعُو  
هُ إِلَى الْهَلِكِ الدَّعَاةُ  
تَنْسِتُهُ حَتَّى يَنْزُو  
رَ شِعَابَهُنَّ الطَّيِّبَاتُ  
عَبْرٌ تَمَرُّ وَمَا لَهَا  
مِنَّا عَمُونَ مَصْرَاتُ

(١) الديوان، ج ١ ص ١٢٥ .

وقد اشتهر الشريف المرتضى بالبذل والسخاء ، والاغضاء عن الحساد  
والأعداء ، وقد منى بكثير من هؤلاء ، وديوانه طافح بالشكوى منهم ، والايصاء  
بالتجاوز عنهم والكف عن مقارعتهم (١) :

تجاف عن الأعداء بقياً فرماً  
كُفيت فلم تجرح بناب ولا ظفر  
ولا تبر منهم كل عود تخافه  
فان الأعداء ينبتون مع الدهر (٢)

...

الا أن أعداءه ومناوئيه ، وحاسدى نعمته ، وصموة بالبخل وقلة الانفاق  
بهتانا وحسدا ، وكل ذى نعمة محسود وانا لم نجد فيما كتب عنه فى التراجم  
من وصفه بهذه الصفة المنزه عنها ، الا ما نقله بعض المؤرخين بروايات متضاربة  
وأسانيد مضطربة .

فكان المرتضى فى سعة عن التوسل بالوسائل الركيكة التى لا تناسب مقامه  
ومنزله لدى الوزراء والخلفاء أنفسهم ، وذلك لما رزق من عزة النفس ، وحفظ  
وافر من الجاه زيادة على النعمة والثراء الصحويين بالبذل والسخاء السدى  
دلنا عليه سيرته الحميدة ، وكرمه المعروف ، وبذله الفذ حتى ليم على

- 
- (١) الديوان - ترجمة الشريف المرتضى - رشيد الصغار ج ١ ص ٤٨ .  
(٢) أورد هذين البيتين ياقوت فى معجم الأدباء ( ج ١٣ ص ٢٥٧ ) وفيه  
( بخيا ) مصحفة عن ( بخيا ) ، كما أورد هما الخونسارى فى الروضات  
( ص ٣٨٢ ) وفيها ( بنان ) مصحفة عن ( بناب ) .

كثرة الانفاق والعطاء مرارا ، فقال في ذلك الغرض لبعض أصحابه وقد لاموه على  
كثرة الانفاق والعطاء قصيدة حسنة جدا ، وكأنه يريد بها كهد الحاسديين  
والناكبين لكرمه (١) :

يقول مطلع القصيدة :

دعى منظرى إن لم أكن لك رائعا  
ولا تنظرى إلا إلى حسن مخبرى  
...

ومنها قوله :

وأعلم أن الدهر يثبت صرفه  
بما شاء من مال البخيل القتر  
فإن الردى دين علينا قضاؤه  
فبين مسقى كأسه وموخر  
وليس كدوى في شدى وساحية  
ولا مشر في يوم ربح كمشرى  
هم ضربوا للطارقين خيامهم  
وهم رفعوا النيران للقتور  
وهم كشفوا رسوم الوغى طخيات  
بكل طويل الساعدين عشنزر (٢)

(١) الديوان ج ٢ ص ٨٩ .

(٢) طخياته : ظلماته ، وفرد الطخيات ، طخية ، والعشنزر : الشديد  
الخلق العظيم .

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي بِأَسَى وَنَجْدَتِي  
 (١) فَقَوِيَ اسْأَلِي عَنْ نَجْدَتِي كُلِّ غَشِيرٍ  
 وَكُلِّ صَفِيحٍ بِالضَّرَابِ مِثْلِي  
 (٢) وَكُلِّ وَشِيحٍ بِالطَّمَّانِ مَكْسَرٍ  
 وَأَيْنُ مَقَامِي إِنْ جَهَلْتُ إِقَامَتِي  
 (٣) وَجَدَّكَ إِلَّا فِي قَطَا كُلِّ ضَمَرٍ  
 وَيَأْتِي إِلَى بَيْتِ الْقَصِيدِ وَيَقُولُ :

عَذَلْتُ عَلَى تَبْذِيرِ مَا لِي وَهَلْ تَرَى  
 نَجْمٌ إِلَّا لِلْجَوَّارِ الْمَسْذُورِ ؟  
 أَفَرَّقَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ حَالَ دُونَهُ  
 رَحِيلِي عَنْهُ بِالْحِمَامِ الْمَقْدَرِ  
 وَمَنْ قَبْلَ أَنْ أَذِلِّي بِمِلْسَاءَ قَفَرَةٍ  
 (٤) إِلَى جَدَّتِ ضَنْكَ الْجَوَانِبِ أَغْبِرُ  
 مَضَى قَيْصَرٌ مِنْ بَعْدِ كَسْرِي وَخَلِيَا النَّ  
 وَخَلِيَا  
 لَاعِبٍ فِي أَمْوَالِ كَسْرِي وَقَيْصَرِ

- 
- (١) النجدة : الشجاعة والشدة ، والعنير : الترابية يقصد به غمار الحرب .  
 (٢) الصفيح : السيف ، والوشيح : قصب الرماح .  
 (٣) وجدك : أى قسما بحظك ، والقطاة من الفرس : مقعد الرديف  
 والضمر : الضامرات والمقتضى أن يسبق الاستثناء هنا نفى كل من فسى  
 موضع وأين .  
 (٤) الجدث ( بالتحريك ) : القبر .

وجال الردى في دور آل محرق  
 وزال بأجبال لأبناء منذر  
 ودوا لم يجاروا من حمام سطا بهم  
 بجال عريض أو عديد مجهم  
 فبين كريم المشرقين متوج  
 وبين محلي المعصمين مسور  
 ...

وقد استفاض عنه اتفاقه على مدرسته العلمية التي تعهد بكفاية طلابها مؤونة ومساها حتى أنه وقف قرية من قراءه تصرف مواردها على قراطين الفقهاء والتلاميذ وكان يجري الجرايات والمجاهرات الكافية على تلامذته وملازمي درسه ، مثل الشيخ الطوسي ، فقد كان يعطيه اثني عشر ديناراً في الشهر ، ويعطى للقاضي عبد العزيز بن البراج ثمانية عشر ديناراً وغيرهما وذلك بفضل ما يرد إليه من أملاكه الخاصة الذي قدر بأربعة وعشرين ألف دينار بالسنة ، ولما يمتلكه من قرى وضياح (١) .

وأهم ما يلفت النظر في شخصية الشريف المرتضى كلها هو زهده وميليه للحلم وبعده عن المناصب ، وكرمه وجوده ، وافتخاره بآبائه واجداده .  
 وكان يقول الحكمة في شعره مثل قوله (٢) :

كلّ امرئ ناله جَدٌّ فأسمده  
 وإن أساء إلى الأقوام معذور (٣)

- 
- (١) الديوان ، المدة ترجمة الشريف المرتضى ص ٥٠ - ٥١ .  
 (٢) الديوان ج ٢ ص ٢٧ .  
 (٣) الجد (بالفتح) : الحظ والمهت ، وكان المرتضى من قول جده على حيث يقول : ( عيبك مستور ما أسعدك جدك )

وَيْلٌ أَمْ مَنْ فِي الْوَرَى أَكْدَتْ مَطَالِبُهُ  
فَإِنَّهُ بِسَحَابِ اللَّيْثِ مَهْطُورٌ (١)  
وَكَيْفَ يُعْزَى إِلَى عَجْزٍ وَلَيْسَ بِهِ  
مَنْ خَابَ سَحِيحاً وَخَانَتْهُ الْمَقَادِيرُ  
...

وقال في التوكل على الله : (٢)

فَالْيَنِّ وَأَحْوَالُ الرَّجَالِ شَتَاءَتْ  
مَقَامٌ عَزِيزٌ مِنْ مَقَامٍ ذَلِيلٍ ؟  
فَسَلْ خَالِقاً فَضْلَ الْعَطِيَّةِ مَجْزِلاً  
فَإِنَّ عَطَاءَ الْخَلْقِ غَيْرُ جَزِيلٍ  
...

وكان كبير الاعتزاز بكرامته ، حتى في طلب العز ، وأتى ذلك في قصيدة  
قال فيها (٣) :

وَمَا لِي وَأَبْوَابَ الْمُلُوكِ وَمَوْضِعِي  
مِنَ الْفَضْلِ وَالتَّجَرُّبِ وَالْفَضْلِ مَوْضِعِي ؟  
...

وهكذا نلاحظ أن شخصية الشريف المرتضى بما تشتمل عليه من صفات  
جسمية ونفسية واجتماعية ، قد تضافرت على تشكيلها عدة عوامل ، منها نمبه الذي

- 
- (١) أكادت مطالبه : فشلت وقتل خيرها .  
(٢) الديوان ج ٣ ص ١٣٥ .  
(٣) الديوان ج ٢ ص ٢٢٠ .

كان دائم الاعتزاز به ، وميله الى الزهد واقباله على العلم ، وكان واسع  
الاطلاع تدل على ذلك مؤلفاته الحديدة المتنوعة ( سياى بياها فى حينه )  
كما كان صاحبنا شديد الاعتزاز بنفسه وبكرامته فى غير كبر أو خيلاء ، وسياى  
بيان ذلك عند التحدث عن شعره .

\*\*\*

## ثامنا : أساتذته



تتلمذ المرتضى على كثير من علماء عصره في مختلف العلوم والفنون ، وقد  
عد المؤرخون جماعة من أعلام القرن الرابع الهجرى لعلوم وفنون مختلفة تتلمذ لهم  
المرتضى أو روى عنهم .

وقد درس اللغة <sup>مبادئ</sup> المبادئ مع أخيه الشريف الرضى على الأديب الشاعر  
ابن نباتة السعدي ، وقرأ كلاهما الفقه والأصول على الشيخ الجليل محمد بن  
محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد ، وتتلمذ المرتضى في الشعر والأدب  
على أبي عبيد الله المرزباني ، وأكثر رواياته في كتابه الأمالي عنه ، ويروى كذلك  
فيه عن أبي القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا الدقاق ، وأبي الحسن  
على بن محمد الكاتب .

وله اساتذة وشيوخ غير هؤلاء أخذ عنهم الحديث والفقه وغيرهما ، منهم  
المحدث الجليل الحسين بن علي بن بابويه القمي أخو الشيخ الصدوق ، وسهل  
ابن أحمد الديباجي ، وأبو الحسن الجندی وأحمد بن محمد بن عمران الكاتب  
وغيرهم .

## ١ - ابن نباتة (١) :

هو أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة السعدي ولد سنة ٣٢٧ هـ وتوفي ٤٠٥ للهجرة هـ شاعر مشهور هـ طاف البلاد هـ ومدح الملوك والوزراء والرؤساء هـ وله في سيف الدولة بن حمدان القصائد والنخب من المدائح هـ وكان قد أعطاه فرسا أدهم محجلا هـ له ديوان شعر كبير هـ تلمذ له المرتضى وأخوه الرضى وهما طفلان هـ ومن شعره المأثور :

لم يبق جودك لي شيئا أو مله  
تركني اصحب الدنيا بلا أمل

...

وقوله المشهور أيضا :

ومن لم يمّت بالسيف مات بغيره  
تنوعت الأسباب والموت واحد

...

## ٢ - الشيخ الفيد :

هو محمد بن محمد بن عبد السلام العكبري البغدادي هـ المكنى بأبي عبد الله وابن المعلم هـ الملقب بالشيخ الفيد هـ لقبه بذلك أستاذه علي ابن عيسى الرماني (٢) العالم المتكلم المشهور هـ وذلك لجليل افادته وكثرة علمه هـ

---

(١) راجع المنتظم لابن الجوزي (ج ٧ ص ٢٧٤) والكنى والألقاب للشيخ

عباس القمي ط صيدا (ج ١ ص ٤٢٤) هـ

(٢) ولد الرماني سنة ٢٩٦ وتوفي سنة ٣٨٤ وحدث عن ابن دريد هـ وكانت له يد في النحو والفقه والكلام والمنطق هـ

ولد سنة ٣٣٦ وتوفي ببغداد سنة ٤١٣ ، هو زعيم الامامية ومتكلمهم  
ونقيبهم وشيخهم الجليل ، ذكر له النجاشي في رجاله ١٧٤ كتابا ، والطوسي  
في فهرسته ما يقرب من مائتي مؤلف . وله عدة مجالس ومساائل ومناظرات مع  
أكابر علماء عصره من مختلف المذاهب ، كالقاضي عبد الجبار بن أحمد الشافعي  
المعتزلي وأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني الاشعري ، وكان مجلسه يحضره  
كافة العلماء (١) .

وقد تتلمذ عليه كثير من العلماء الأفاضل مثل الشريف المرتضى وأخيه  
الرضي والشيخ أبي الفتح الكراكي والشيخ الطوسي ، وأبي العباس النجاشي  
وسالار بن عبد العزيز الديلمي ، وجعفر بن محمد الدورستي ، وأحمد بن  
علي المعروف بابن الكوفي وأبي يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفري وغير  
هؤلاء كثير .

وكان يوم وفاته يوما عظيما مشهودا ، وصلى عليه الشريف المرتضى ،  
ورثاه بقصيدة رائعة مطلعها : (٢)

مَنْ عَلَى هَذِهِ الدِّيَارِ أَقَامَا  
أَوْ ضَافَا مَلَبَسٌ عَلَيْهِ وَدَامَا ؟

...

ومنها قوله :

أَيُّهَا الْمَوْتُ كَمْ حَطَّطْتَ عَلَيَّ  
سَاقِ الطَّرْفِ أَوْ جَبَّيْتُ سَنَامَا ؟ (٣)

(١) المنتظم لابن الجوزي ( ج ٨ ص ١١ ) .

(٢) الديوان ج ٣ ص ٢٠٤ .

(٣) جببت : قطعت .

وفيهما أيضا يقول :

فخذ اليومَ من دموعى وقد كـ  
نَّ جموداً على المصابِ سجاما  
إنَّ شيخَ الإسلامِ والدينِ والمِلَّةِ  
م تولى فأزعج الإسلاما

...

ويتساءل ، معترفا بفضل استاذہ ومكانته : <sup>جيباً</sup>

من لفضلٍ أخرجت منه خبيثاً  
ومعانٍ فضضت عنها ختاماً ؟  
من لسوءٍ ميّزت عنه جميلاً  
وحلالٍ خلصت منه حراماً ؟  
من يُنيرُ العقولَ من بعد ما كـ  
نَّ هموداً وينتجُ الأفهاما ؟  
من يُعيرُ الصّدّيقَ رأياً إذا ما  
سلّه في الخطوب كان حساماً ؟

...

٣ - المرزبانى :

هو أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله الكاتب المصروف  
بالمرزبانى ، كان راوية للأخبار والآداب والشعر ، وأكثر ما يرويه الشريف  
المرتضى فى كتابه الأمالى من اللغة والشعر والأخبار عنه ، وكان أشياخه  
يحضرون عنده فى داره فيسمعون منه ويسمع منهم ، وتوفى ببخداد سنة ٣٨٤ هـ (١)

(١) المنتظم لابن الجوزى ج ٧ ص ١٧٧ .

#### ٤ — ابن جنينا :

هو أبو القاسم بن عبد الله بن عثمان بن يحيى الدقاق ، المعروف بـ ابن جنينا ، كان صحيح السماع ثبت الرواية . قال محمد بن أبي الفوارس : كان ثقة مأمونا حسن الخلق ما رأينا مثله في معناه ، وتوفي في رجب سنة ٣٩٠ (١) . وقد روى عنه الشريف المرتضى كثيرا في كتابه ( الفرر والدرر ) (٢)

#### ٥ — أبو عبد الله القمي :

هو الحسين بن علي بن الحسين بن بابويه ، أخو الشيخ الصدوق شيخ المحدثين ، كان جليل القدر ، عظيم الشأن في الحديث ، يروى عن أبيه وأخيه ، ويروى عنه الشريف المرتضى بلا واسطة ، وقد وثقه أصحاب التراجم وأخباره مشهورة في كتبهم .

#### ٦ — الوزير المغربي :

هو الحسين بن علي بن يوسف الوزير المغربي ( ٣٧٠ — ٤١٨ ) ، له كتب منها : خصائص علم القرآن ، اختصار علم المنطق ، اختصار غريب المصنف ، اختيار شعر أبي تمام والطعن عليه (٣) ، وله ألف الشريف المرتضى رسالته ( الولاية من قبل الظالمين ) .

(١) المنتظم : لابن الجوزي ج ٧ ص ٢١٠ .

(٢) أدب المرتضى ص ١١٧ .

(٣) روضات الجنات حرف العين ، والخلاصة للعلامة ص ٢٧ .

٧ — الديباجى :

هو سهل بن أحمد الديباجى (٢٨٦ — ٣٨٠) من رواة القرن الرابع  
اثبت الخطيب البغدادي ، وصاحب رياض العلماء للمرتضى رواية عنه (١) .

٨ — أبو الحسن الكاتب :

هو أبو الحسن ( على بن حشر الكاتب ) من الخاصة ، روى عنه التلعكبرى  
وسمع منه ، وروى عنه الشيخ المفيد والشريف المرتضى (٢) . وذكر الشيخ الطوسى  
له كتاب ( الهدايا ) .

هذا وللمرتضى أساتذة آخرون ، عبرت بهم أثناء قرائتى ودراستى لكسب  
الرجال وبخاصة كتاب ( رياض العلماء ) أمثال :

أبو على الفارسى ( النحوى ) ، وأبو عبد الله ( الحسين بن على ) بن  
شيبان القزوينى ، والتلعكبرى ، وأبو الحسن الجندى أحمد بن محمد بن عمران  
النهشلى ، وأبو الحسن ( على بن محمد ) بن إبراهيم بن الحسن الطيب المصرى  
المعروف بأبى التحف ، وغيرهم .

ونرى ان تعدد أساتذة الشريف المرتضى ، وتنوع معارفهم وتخصصاتهم  
وكثرة مؤلفاتهم ، وانعقاد مجالس العلم لديهم ، قد ساعد صاحبنا على صقل  
مواهبه وتوقيره للعلماء ، وتشجيعه للعلم والتعلم ، وسعة افقه لما كان يسمعه من  
أساتذته ويرويه عنهم فى مؤلفاته العديدة .

---

(١) رياض العلماء مخطوط ص ٤٧١ نقلا عن ابن الأثير الجزرى .

(٢) رجال ( أبى على ) باب ( على ) .

### تاسما : عقيدة



هو فيما أرى شيعى امامى من أسرة هم شيعة امامية ، ولم أطلع على كتاب فيه ما يخالف رأى من خلال بحثى عنه بالكتب التى اطلعت عليها .

فكان الشريف المرتضى يذهب فى أصول عقائده مذهب سائر الشيعة الامامية ولم يكن الشريف معتزليا ولا راسا فى الاعتزال على ما يزعم الخطيب البغدادي ، ولا فيه ميل أو تظاهر فى الاعتزال أو هوداعية اليه على ما يذهب اليه ابن الجوزى وابن حزم .

ويكفينا للدلالة على خلاف ما ذهبوا اليه ، أن نذكر ان للمرتضى نفسه ولشيخه المفيد ، ولتلامذته كالشيخ الطوسي وغيره كتب ومناظرات مع رؤساء المعتزلة وأكابرهم كواصل ابن عطاء ، وابراهيم بن سيار النظام ، والقاضى عبد الجبار بن أحمد وغير هؤلاء (١) .

ويحسن بنا أن نأتى بجملة موجزة للوقوف على مجمل عقيدة المرتضى من بعض كتبه لتكون شاهد صدق على ما ذهب اليه .

---

(١) كتاب أوائل المقالات فى المذاهب المختارات للشيخ المفيد ، وكتاب الفصول المختارة للشريف المرتضى ، وهو تلخيص لكتاب أستاذ الشيخ المفيد المسمى ( الميرون والحاسن ) وهو من الكتب الممتعة حقاً ، وكتاب الشافى فى الامامة للمرتضى فى الرد على كتاب القاضى عبد الجبار ابن أحمد المعتزلى المسمى بالمغنى الكافى ، فهو كاف لايراد الخلاف بين القوم .

يقول في كتابه (( انقاذ البشر من الجبر والقدر )) (١) :

(( فأول ذلك نقول : ان الله ربنا ، ومحمدا نبينا ، والاسلام ديننا ،  
آل الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وصحابته والتابعين لهم  
باحسان سلفنا وقادتنا ، والمتمسكون بهديهم من القرون بعدهم جماعتنا  
وأوليائنا ، نحب من أحب الله ، ونبغض من أبغض الله ، ونوالى من والى  
الله ، ونعمادى من عادى الله )) .

اجتهاد المرتضى :

كان المرتضى رحمه الله من أعرف الناس بالكتاب والسنة ووجوه التأويل  
في الآيات والروايات وسوارد الاستدلال بها ، وأنه لما سد باب العمل بأخبار  
الآحاد - وهي في نظره من الأدلة الظنية التي لا توجب علما ولا عملا -  
اضطر الى استنباط الاحكام الشرعية من الكتاب والأخبار المتواترة المحفوفة  
بقرائن العلم ، وذلك يحتاج الى فضل اطلاع على الأحاديث واحاطة بأصول  
الأصحاب ، ومهارة في علم التفسير وغيرها لاستنباط الأحكام ، بينما يكون  
العامل بأخبار الآحاد في سعة من ذلك (٢) .

وقد أشرعنا أنه أول من فتح أبواب التدقيق والتحقيق ، واستعمل في  
الأدلة النظر الدقيق ، وأوضح طريقة الاجماع واحتج بها في أكثر المسائل (٣) .

---

(١) ص ٣٦ طبعة النجف .

(٢) ، (٣) روضات الجنات ص ٣٨٥ ) .

وقد كان في جميع كتبه ورسائله أصوليا بحثا ومجتهدا صرفا ، قليل التعلل بالأخبار كثير الاستدلال بالأدلة العقلية المتفقة مع الكتاب والسنة ، فلا غرو أن يكون من مجتهدي الفقهاء ، وفقهاء المجتهدين (١) .

أما مسلكه في تحليل الأخبار وتأويلها فيقول :

(( اعلم : ان الممول فيما يعتقد ، على ما تدل الأدلة عليه ، من نفى وإثبات فإذا دلت الأدلة على أمر من الأمور وجب أن ننهي كل وارد من الأخبار إذا كان ظاهرة بخلافه عليه ونسوقه إليه ، ونطابق بينه وبينه ، ونجلى ظاهرا أن كان له ، ونشروط أن كان مطلقا ، ونخصه أن كان عاما ، ونفصله أن كان مجملا ، ونوفق بينه وبين الأدلة من كل طريق اقتضى الموافقة وآل إلى المطابقة .

فإذا كنا نفعل ذلك ولا نتحشمه في ظواهر القرآن المقطوع بصحته ، المعلوم ورود ، فكيف نتوقف عن ذلك في أخبار آحاد لا توجب علما ولا تثمر يقينا ؟

فقد وردت عليك أخبار فاعرضها على هذه الجملة وانها عليها ، وافعل فيها ما حكمت به الأدلة وأوجبت العجج العقلية ، وان تعذر فيها بناء ، وتأويل وتخريج وتزويل ، فليس غير الاطراح لها وترك التصريح عليها (٢) .

---

(١) وليس معنى ذلك أنه كان يذهب إلى تفسير القرآن برأيه أو (( كان من طليحة المفسرين للقرآن الكريم بالرأي )) كما ذهب إلى ذلك الدكتور عبد الرازق محيي الدين في كتابه أدب المرتضى في ( ص ٢ ) من المقدمة وفي مواضع أخرى من الكتاب .

(٢) أمالي المرتضى ( ج ٢ ص ٣٥٠ ) تحقيق أبو الفضل إبراهيم — طبعة الحلبي .

ثم هو يفسر الأحاديث وما جاء من الأحكام فيما يتعلق بالمحلات  
والمحرمات تفسيراً يتفق مع المنطق السليم والعقل القويم ، ذاكراً بأن لكل محرم  
علة ولكل محذور سبباً ، ضارباً ما يقوله الخالية في تحليل بعض الأخبار عرض  
الحائط .

وأما عن شعره الذى دلنا على أن صاحبنا من الشيعة الإمامية ، فنسوق  
فيما يلى أمثلة لذلك :

ليس بينى وبين أول قومى  
غير برٍّ أو مرسَلٍ أو إمام (١)  
...

ويؤكد ذلك فى قوله : (٢)

أحبكم آل النبىِّ ولا أرى  
وإن عذونى عن هواى عديلا  
وقلت لمن يلحى على شفى بكم  
وكم غير ذى نصح يكون عذولا  
روئدكم لا تنحلونى ضاللكم  
فلن ترجلوا منى الغداة ذلولا  
عليكم سلام الله عشا وميتة  
وسفراً تطيعون السنوى وحلولا

(١) الديوان ج ٣ ص ٢٦٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٧ .

فما زاغ قلبى عن هواكم ° وأخصى  
فلا زلَّ عَمَّا تَرْتَضُونَ زليلاً

...

وقال فى يوم التدير وهو ما يظهر تشيحه بوضوح :  
على مثل هذا اليوم تحنى الرواجبُ  
وتطوى بفضل حيز فيه الحقائق (١)  
...

ومنها قوله :  
فلا تذكروا قريى الرسول لتدفعوا  
منازعكم يوماً فنحن الأقارب  
...

ويظهر رأيه بجلاء فى نفس القصيدة حين يقول :  
لنا دونكم (عباسنا) و (عليننا)  
ومن هو نجم فى الدجنة ثاقب (٢)  
...

كما يذكر آل البيت فى قصيدة أخرى يرثى فيها جده الحسين ويستنهض  
المهدى لثأره فى المنام ° ومطلمها : (٣)

قف بالديار المقفـرات  
لعبت بها أيدي الشتات

---

(١) الرواجب : قصب الأصابع واحداها الراجبة .

(٢) الدجنة : الظلمة .

(٣) الديوان ج ١ ص ١٤٥ .

وفيهما يقول :

يا آل أحمد والذبيـــــــــــــــــ  
ن غداً بحبهم نجاتي  
ومنوكتي فسي نصرهم  
أشهى إلي من الحياة  
...

أما موقف صاحبنا من بني أمية وبني العباس ، فهو يختلف فيما اطلعت عليه من خلال بحثي هذا كل الاختلاف عن موقف الشيعة المتخالفين ، فهو لا يعدو أن يشنا بهم فقط ، وان كانت نظرتهم لبني العباس في المرتبة التي تلي بني أمية ، اذ نراه يلج حين التحدث عن بني العباس على العتب والمطاوله وطلب الحق المسلوب ، والشئ الذي أكبره منه انني على كثرة محاولاتي عند البحث في ديوانه على أن أعثر له على شعر يعرض فيه تعرضاً مشيناً لبني أمية أو شعر ينتهك به حرمتهم وأعراضهم كما يفعل المخالون من الشيعة الذين يكفرون بني أمية ( لم أستطع الى ذلك سهلاً ) .

ولنطلع على رأيه في بني العباس نستمع الى قوله (١) :

(( حيث يندد ببعض العباسيين من مدحه أولاً ))

مدحتكم علماً بأن مدائحهم

تضيق وتذري في الرِّساحِ المواصلِ

فلم أك إلا موقداً في ظهيرة

بلا صردٍ أو هاتفاً فسي تنائف (٢)

(١) الديوان ج ٢ ص ٢٨٢ .

(٢) الصرد : البرد ، والتنائف : جمع التنوفة وهي القلاة .

وَأَنَّ لَكُمْ عِنْدِي حَقُّوًا كَثِيرَةً  
أَبَى لِي حِفَاطِي مَحَوَّهَا مِنْ صَحَائِفِي  
جَزَيْتُكُمْ عَنْهَا وَلَمْ تَشْعُرُوا بِهَا  
مَرَارًا بِأَسْبَابِ خِفَاءِ لَطَائِفِ  
وَشَاطَرَتِكُمْ مَنَى الْمَوَدَّةَ كُلَّهَا  
شَطَارِي مَا بَيْنَ الشَّرِيكَ الْمُنَاصِفِ  
فَإِنْ لَمْ تَوْفُوا حَقَّ مَا قِيلَ فَيْكُمْ  
فَلَمْ تُبْتَلُوا إِلَّا بِنَقْصِ الْعَوَارِفِ (١)  
وَلَيْتُكُمْ لَمَّا تَرَكْتُمْ حَقَّقَهَا  
رَجَعْتُمْ إِلَى عِرْفَانِ بَعْضِ الْمَعَارِفِ  
فَمَا ضَرَّ لَوْ أَعْظَمْتُمْ مَا أَتَاكُمْ  
فَلَمْ يَكْ مُلٌ لِلْجَبِيلِ بِآسِفِ ؟  
وَالَا تَجَمَّلْتُمْ عَلَى غَيْرِ خَيْبَةٍ  
فَكَمْ ذَا غَطَى التَّحْسِينَ سَوَاءُ زَائِفِ  
فَإِنْ غَتَّمُ مَا لَمْ تَكُونُوا عَرَفْتُمْ  
فَكَمْ يُلَى الْمَذَبُ الرِّوَاءُ بِعَائِفِ (٢)  
فِيَا ضَيْعَةً لِلطَّالِعَاتِ إِلَيْكُمْ  
طُلُوعَ الْمَطَايَا مِنْ خِلَالِ النَّفَائِفِ (٣)  
أَبَيْتُ أَرْضَ الصَّعْبِ مِنْهَا وَإِنَّهَا  
تَحْيِصُ شِمَاسَ الْمَائِلِ الْمُتَجَانِفِ (٤)

- 
- (١) العوارف : العطايا • (٢) عاف الشيء : تركه •  
(٣) النفائف : جمع النقف وهو كل مهوى بين جبلين •  
(٤) تحييص : تعيل وتعيد ، والشماس : في الخيل وغيرها : صعوبة  
الانقياد ، والمتجانف : المائل •

ومنها قوله :

وكم لي فيكم من صديق كأنه  
 سرابٌ على قيمانٍ بعدِ صفاصِفِ (١)  
 متى يدع يوماً للوغى فهشيمةٌ  
 تصفقها أيدى الرياحِ الرِّفَارِفِ (٢)  
 أودُّ إذا ما سُمْتُ النَّصْرَ أنِّي  
 أبْدَلُ منه بالعدوِّ المكاشِفِ  
 وقد كنتُ أرجو طوعه بنصيحتي  
 فلا خيرَ في نصحِ يُسَاقِ بمانِفِ  
 فيا لك من ودٍّ تعلّقَ منكُمُ  
 سفاهاً بأسبابِ ركاكِ ضعافِ  
 سررتُ به حيناً فلما بلوتُ  
 بكيتُ عليه بالدموعِ الذَّوارِفِ

...

أما بنو أمية فأنى لا أجده يذكرهم الا في مراثى آبائه ، وذكر ما لاقوه  
 منهم ، وهو حين يذكر لنا ذلك يمزج لنا الدمع بالدم والدم أيضاً ، ويخلط  
 الأسى بالأسف ، كما يقول في رثاء الحسين في يوم عاشوراء سنة (٤١٣)  
 مطلعها : (٣)

لك الليل بعد الذاهبين طويلاً  
 ووفد هموم لم يسردن رحيلاً

- 
- (١) الصفاصِف : جمع الصفصِف وهي الأرض المستوية .  
 (٢) الهشيمة : مؤنث الهشيم وهو النبات أو الورق المتكسر اليابس .  
 (٣) الديوان ج ٣ ص ٧٧ .

هَوْنًا

ودمع إذا حبسته عن سبيله  
يمود هتونا في الجفون هطولا  
وفيها يقول :

فقل لبني حرب وآل أمية  
إذا كنت ترضى أن تكون قوهولا  
سلتم على آل النبي سيفه  
مِلْتَن ثلوما في الطلى وقلولا (١)  
وقد تم إلى مهقادكم من ضالكم  
فأخرجكم من واديه خيولا  
ولم تخدروا إلا بمن كان جدّه  
إليكم لتخطوا بالنجاة رسولا  
...

وقال يذكر بني أمية في قصيدة يرثي فيها جده الحسين (٢) :

فقل لبني زياد وآل حرب  
ومن خلطوا بفد رهيم خلطا  
دماؤكم لكم ولهم دماء  
ترويتها سيفكم البلاطا (٣)  
كلوها بعد غيبكم عليها أن  
تهابا وأزد رادا وأستراطا (٤)

- 
- (١) الطلى : جمع الطلية وهي الرقبة ، والقلول : الثلوم مفردا الفل .  
(٢) الديوان ج ٢ ص ١٢٦ .  
(٣) البلاط ( بفتح الباء ) : الأرض المستوية الملساء .  
(٤) استراطا : ابتلاعا .

- فَمَا قَدِّمْتُمْ إِلَّا سَفَاهًا  
 وَلَا أَمَرْتُمْ إِلَّا غِيْلًا  
 وَلَا كَانَتْ مِنَ الزَّمَنِ الْمَلْحَى  
 مَرَاتِبُكُمْ بِهِ إِلَّا سُفَاطًا (١)  
 أَنْحَوْا بَنِي رَسُولِ اللَّهِ فِيكُمْ  
 تَقْدُونَ الْمُسَوِّمَةَ السَّلَاطَا (٢)  
 تُتَارِكُهَا أَثَرَتْ إِلَى مَعِينٍ  
 لَتُكْرَعَ مِنْ جَوَانِبِهِ الْفَطَاطَا (٣)  
 وَمَا أَبَقَتْ بِهَا الرُّوحَاتُ إِلَّا  
 ظَهَرُوا أَوْ ضَلُّوا أَوْ مَلَاطَا (٤)  
 وَفَوْقَ ظُهُورِهَا عَصَبٌ غَضَابٌ  
 إِذَا أَرْضِيَتْهُمْ زَادُوا اخْتِلَاطَا (٥)  
 وَكُلُّ مَرْفَحٍ فِي الْجَوِّ طَاطَا  
 تَرَى أَبَدًا عَلَى كَفِّهِ طَاطَا (٦)  
 إِذَا شَهِدَ الْكَرْبَةَ لَا يَبَالِي  
 أَشَاطَ عَلَى الصَّوَامِ أَمْ أَشَاطَا (٧)

- 
- (١) الملحى : الملحون ، والسفاطة : متاع البيت .  
 (٢) المسومة : التى عليها سمة وهى العلامة ، والسلاط : الشداد مفردهما السليطة .  
 (٣) الممين : الماء الجارى ، والخطاط : نوع من القطا .  
 (٤) الملاط : كفا البعير أو غضده ، والمطاة : السمحاق وهو القشعر الرقيق المحيط بالمظم .  
 (٥) المصب : الجماعات .  
 (٦) الطاط : الشجاع ، والباشق من الطيور .  
 (٧) شاط : هلك واحترق ، وأشاط ( بالتمدية ) : أهلك .

- وما مدَّ القنأ إلا وخيلت
- (١) على آذان خيلهم قراطا
- وكم نعم لجديهم عليكم
- (٢) لقين بكم جحوداً أو غاطا
- هم أنكوا مرافقكم وأعطوا
- (٣) جنوبيكم النمارق والنماطا
- ...

ومنها قوله :

- وكيف جحدتم لهم حقوقاً
- تبين على رقابكم اختطاطا؟
- وبين ضلوعكم منهم تيرات
- (٤) كمرخ القيط أضرم فاستشاطا
- ووتر كلبا عمدت يمين
- (٥) لرقع خروقيه زدن انعطاطا
- فلا نسب لكم أبداً اليهم
- (٦) وهل قرى لمن قطع النماطا؟
- فكم أجرى لنا عاشور دمعاً
- (٧) وقطع من جوانحنا النماطا
- ...

- 
- (١) القراط : جمع القرط ، وهو الشنف الذى يعلق فى شحمة الأذن .
- (٢) غاط النعمة : كثرانها وعدم شكرها .
- (٣) النمارق : جمع النمرة وهى الوسادة ، والنمات : جمع النمط وهو ضرب من البسط .
- (٤) الترات : جمع التره وهى النار ، والمخ : شجر سريح الورى ، واستشاط : التهب .
- (٥) الوتر : النار ، والانعطاط : الانشقاق .
- (٦) النمات : موضع التعليق .
- (٧) النمات : القلب أو عرق معلق به القلب .

ولكنى أقول على الرغم مما تقدم كله ، فانه عندى رجل حر التفكير له آراء خاصة به خالف بها الشيعة والمعتزلة ، ورغم شيعته واماميته ، والاماميون مشهورون فى تاريخ الاسلام الطويل بالحق والبخاء ولكن الشريف المرتضى يبدو متسامحا واسع العقل محبوبا محترما عند الجميع .

\* \* \*

وهكذا لا حظنا فى شخصية الشريف المرتضى العلاقة القوية ، والارتباط المتين بين مكوناتها ، صفاته الجسمية والنفسية والاجتماعية بما حوته من قوة فى الحق وانكباب على العلم والدرس والتعليم ، والزهد والورع ، والسخاء والكرم ، والحلم والتودد ، والاباء والشم ، والحكمة والموعظة الحسنة ، كل ذلك وغيره ، ليس من شك — لدينا — فى أن أساتذته وثقافته وعقيدته ، قد أسهمت بنصيب وافر فى تكوين وتشكيل صفات الشريف المرتضى .

كما أن ثقافته قد أثرت وتأثرت بعقيدته ، وأن أساتذته كان لهم أكبر الأثر فى ثقافته ومواقفه وأيضا فى عقيدته . وبالتالى فى صفاته التى تتميز بها كشيخى امامى له آراؤه الخاصة .

كل هذه العوامل « صفاته الجسمية والنفسية والاجتماعية — وأساتذته — وعقيدته — » أسهمت فى تكوين شخصية بارزة فى المجتمع ، يلجأ اليها فى الطلمات والمهمات ، تأثرت وأثرت فى عصرها .

\* \* \*

عاشرا : صلته بمجتمعه

### صلته بالخلفاء والملوك والأمراء والوزراء والأعيان

كان للمرتضى بفضل ما أوتي من شرف النسب والعلم ، وما تحلى به من زكاة الطبع والأدب ، مع عزة النفس ووفرة المال ، وحميد الخصال ، صلات بالخلفاء والملوك والوزراء والنقباء والأمراء والعلماء وغيرهم ، ممن أهل العلم والأدب ، والفضل والشرف ، ووجهاء البلاد والصدور والأعيان والأئمة في مختلف الفنون والعلوم (١) .

### الخلفاء :

أدرك الشريف المرتضى عهود أربعة من الخلفاء العباسيين ، أدرك المطيع طفلا وكانت خلافته منذ سنة ٣٣٤ الى ٣٦٣ هـ وكان عمر الشريف حين وفاة المطيع ثمانية أعوام ، لذا لم يرد ذكره في الديوان .

وأدرك الطائع في طفولته وشبابه ، وأدرك القادر والقائم بأمره في الشباب والكهولة . . . . . وكان ذا شأن لديهم .

\*\*\*

---

(١) ذيل تجارب الأمم لأبى شجاع ، ط مصر ، والمعتز ص ٧٢ — ٧٤ ج ٨ ( لحوادث من حياة المرتضى ) ، ومقدمة الديوان للاستاذ رشيد الصفار ص ١٠٠ — ١٠٤ .

### الملوك :

كما أدرك من ملوك الديلم ، باختيار بن معز الدولة وهو طفل ،  
وأدرك عند الدولة بن ركن الدولة ولم تكن بينهما علاقة إلا أنه شمت بموته  
لأنه آذى والده ، كما أدرك بهاء الدولة البويهى وأبناءه شرف الدولة ،  
وسلطان الدولة وركن الدين جلال الدولة ، ثم الملك كاليجار المرزيان بن  
سلطان الدولة ابن بهاء الدولة .

\*\*\*

### الوزراء :

أدرك الوزير أبا غالب محمد بن خلف ، والوزير أبا على الرخجى ،  
والوزير أبا على الحسن بن حمد ، والوزير أبا سعد بن عبدالرحيم ،  
والوزير أبا الفتح (( كذا فى الديوان ولعله ابن دارست وزير القائم )) ،  
والوزير أبا الفرج محمد بن جعفر بن فساكنس ، والوزير أبا طالب محمد  
ابن أيوب ابن سليمان البغدادي ، والوزير أبا منصور بهرام بن ماقس  
وزير الملك أبا كاليجار وغيرهم .

\*\*\*

### النقبه :

أدرك والده الشريف أبا أحمد الموسوى ، وخاله الشريف أحمد بن  
الحسن الناصر ، وأخاه الشريف أبا الحسن محمد الرضى ، والشريف أبا على

عمر بن محمد بن عمر العلوى ، والشريف نقيب النقباء أبا الحسن الزينبى ،  
والشريف أبا الحسين بن الشبيه ( العلوى ) وغيرهم .

\*\*\*

### الأمراء :

أدرك الأمير أبا الفنائم محمد بن مزيد المقتول ( سنة ٤٠١ ) ، وعبيد  
الجيوش أبا على أستاذ هرمز المتوفى فى هذه السنة أيضا ، وأمير الأمراء<sup>(١)</sup>  
أبا منصور بويه بن بهاء الدولة ، والأمير أبا شجاع ( بكران بن فلوارس ) ،  
والأمير غنبر الملكى المتوفى ( سنة ٤٢٠ ) ، وأمير عقيل غريب بن مقفى  
( سنة ٤٢٥ ) وغيرهم .

هذا بالإضافة الى عدد من العلماء والقضاة والأدباء والاعيان  
الذين سيأتى ذكر بعضهم فيما بعد .

\*\*\*

### الطائفة :

مدح الشريف المرتضى الطائفة عند افتتاح لقاءه به حيث <sup>سئل</sup> ~~سئل~~ عمل  
أبيات يستأذن بها فى الوصول وذلك فى مستهل شهر رمضان<sup>(٢)</sup>

---

(١) كما ورد اسمه فى ذيل تيجارب الأهم لأبى شجاع ( ص ٣٨٩ ) حوادث

سنة ٣٣١ وفى نسخة ( س ) بكر بن أبى الفوارس .

(٢) الديوان ج ٢ ص ٦٥ .

لك ما تراماه لِحَاطِ النَّاطِسِ  
وَالِيكَ مَرْجِعُ كُلِّ مَدْحٍ سَائِسِ  
وَأَرَاكَ أَفْضَلَ مِنْ تَعَاوُرِ فَضْلِهِ  
إِخْفَاءُ مَخْفٍ أَوْ إِشَادَةُ ذَاكِرٍ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وقال يمدح الدلائل لله لعودة وأسباب مستحكمة كانت بينهم<sup>(٢)</sup> :  
يقول مطلع القصيدة :

مَا الْحُبُّ إِلَّا مَوْثِلُ الْعُتَمِلِ  
مِرَاعَةُ اللَّاحِي وَطَوَّلُ الْعُذْلِ  
خُدَّعٌ إِذَا أَصْطَلَمَتِ النَّفُوسُ بِنَارِهَا  
لَمْ تَهَيَّ فِيهَا مَسَكَةُ الْعُتَمِلِ  
عُدَّ بِالْمَلُوكِ عَلَى الْفَرَامِ فَإِنَّهُ  
أَمَدُ الْمَشُوقِ وَعِزَّةُ الْمُتَلَمِّلِ  
لِلَّهِ قَلْبٌ مَا أَطْمَأَنَّ بِهِ الْهَوَى  
إِلَّا تَلَوَّمَ مُزْمِعٌ مُتَحَمِّلٌ<sup>مُحَمِّلٌ</sup>

\*\*\*

وفي هذه القصيدة الطويلة يشير المرمض الى الترفع عن الاستشادة  
والاسترداف بالشعر وبذم الانتجاع به :

أَتْنِي وَمَا هَذَا الثَّنَاءُ لِمَجْتَدٍ  
فَلِذَاكَ أَبْعِدْ عَنْ مَقَالِ الْمُطِئِلِ<sup>(٣)</sup>

(١) تعاور : تداول وتعاطى .

(٢) الديوان ج ٣ ص ٨٧ .

(٣) المجتدى : طالب الجدا وهو الحطاه .

لَا دَرَّ دَرُّ الْإِنْتِجَاعِ فَإِنَّهُ  
دَنَسَ لثُوبَ الْمُحْتَضَى وَالْمُفْضِلِ<sup>(١)</sup>  
هِيَهَاتَ يَلْفُكُ الْمَدِيحُ وَأَنْصَا  
أَحْظَى بِفَضْلِ الْجَاهِدِ الْمُتَفَلِّلِ

\*\*\*

هذا ولم نجد للشريف المرتضى في ديوانه غير قصيدتين يذكر  
فيهما الطائع لله ، ويمدحه فيها ، ولم يذكه الشريف حين خلق الطائع  
في ٣٨١ هـ ، ولم يرثه عند وفاته .

\*\*\*

القادر بالله العباسي :

حين استقر الخليفة القادر بالله في دار الخلافة ، وذلك في شهر  
رمضان عام ٣٨١ هـ ، أنشد الشريف المرتضى بمدحه في ابتداء إفضاء  
الخلافة إليه قصيدة مشهورة لم ينس فيها أن يعتر بأصله حيث بدأها بقوله<sup>(٢)</sup> :

قَرَّتْ عَيُونُ بَنِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ  
بِالْقَادِرِ الْمَاضِي الْعَزِيمَةِ أَحْمَدٍ  
بِمَوْفَقٍ شَهِدَتْ لَهُ آبَاءُوهُ  
أَنْ سَوْفَ يَشْتَمِلُ الْخَلَافَةَ فِي غَدٍ  
جَاءَتْهُ لَمْ يَتَعَبَّ بِهَا فِي صَدْرِهِ  
هَمًّا وَلَا أَوْمًا إِلَيْهَا بِالْيَدِ

(١) الانتجاع : طلب المعروف ، والمعنى والمانى : طالب المعروف .

(٢) الديوان ج ١ ص ٢٥٣ .

سَبَقْتُ مُخِيلَتَهَا إِلَيْهِ وَأَكْرَمَ الْـ  
 نَحْمَاءُ طَالِعَةُ أَمَامِ الْمَوْعِدِ<sup>(١)</sup>  
 وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّهَا لَا تَنْتَقِصُ  
 إِلَّا شَيْئاً مَاضِي الْفِرَارِ مَهْنَدِ<sup>(٢)</sup>  
 لَمَّا مَشَتْ فِيهِ الظُّنُونُ وَأَوْسَعَتْ  
 طَمَعاً يَرْوِجُ مَعَ الْعَدُوِّ وَيَهْتَدِي  
 وَتَنَازَعُوا طَرَقاً إِلَيْهَا وَعِزَّةً  
 جَاءَتْهُ فِي سَنَنِ الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ<sup>(٣)</sup>  
 عَلِقْتُ بِأَوْفَى سَاعِدٍ فِي نَصْرِهَا  
 وَأَذَبَّ عَنْ مَهْبَاحِهَا الْمُتَوَقِّدِ  
 قَرَمٌ يَضِيفُ صِرَامَةَ الْمَنْصُورِ فِي  
 قَعِ الْعَدُوِّ إِلَى خَشْوِ الْمَهْتَدِي  
 كَالنَّارِ عَالِيَةِ الشَّمْعِ وَرَيْمِهَا  
 أَخَفَّتْ تَقَرُّمَهَا بِطُونِ الرَّمْدِ<sup>(٤)</sup>  
 يَقِظُ يَفْضُ جَفُونَهُ وَهَمُومُهُ  
 مِنْ كُلِّ أَطْرَافِ الْهَلَادِ يَعْصِدُ  
 فَخْرًا بَنِي الْعَبَّاسِ إِنْ قَدِ يُمْكِنُ  
 يَا بَنِي عَلَى الْإِيَّامِ غَيْرَ تَجَسَّدِ

(١) المخيلة : السحابة .

(٢) تنتقص : تستل ، والفرار ( بالكسر ) : الحد .

(٣) السنن ( بالتحريك ) : الطريق ، والأقصد : الأقرب .

(٤) الرمده : الرماد .

شرفٌ يعولُ بِمِذْبُلٍ وَيَلْمَسُ  
وَعَلَا تَعْرِسُ فِي جَوَارِ الْفَرْقِدِ (١)  
وَهِيَ الْخَلِيقَةُ مُوْطَنٌ لَمْ يَفْتَقِدْ  
أَطْوَادَهُ وَشِرَارُهُ لَمْ تَحْمُدْ  
إِنْ نَلَقْتَهَا وَلَكُمْ لِمَجْدِكَ عِنْدَهَا  
قَدَمٌ وَكَمْ فِي نَيْلِهَا لَكَ مِنْ يَسَدِ  
قَدِ وَازْنَمُوكَ فَكُنْتَ أَضْرَبَ فِيهِمْ  
عُرْقًا وَأَبْعَدَ غَايَةً فِي مُحْتَدِ (٢)  
وَدَعْوِكَ لِلْأَمْرِ الْجَلِيلِ فَلَمْ تَكُنْ  
نَزَرُ الْقَخَارَ وَلَا الْقَلِيلَ (٣) السُّعُودِ  
يَابْنَ الدِّينِ إِذَا احْتَبَرُوا فِي مَفْخَرِ  
عَصَفُوا بِكُلِّ سِيَادَةٍ لِمَسْجُودِ  
لَسُوْدِ

\*\*\*

وكانت علاقته بالخليفة القادر العباسي وطيدة ، حتى أنه أنشد يعزيمه  
عن ولده في قصيدة طويلة مطلعها : (٤) :

مَا فِي السُّلُوكِ لَنَا نَصِيبٌ يُطْلَبُ  
الْحُزْنَ أَقْبَرُ وَالصِّبَةَ أَغْلَبُ  
لَكَ يَا رَزِيئَةَ فِي قَوَادِي زَفْسَرَةٍ  
لَا تُسْتَطَاعُ مِنْ جَفَوْنِي صِيَابُ (٤)

- 
- (١) يذبل ولعلم : حلال ، وتعرس : تنزل ، والفرقد : نجم .  
(٢) أضرب عرقاً : أشد أصلاً ، والمحتد (بوزن المجلس) : الأصل .  
(٣) الديوان ج ١ ص ٤٧ .  
(٤) الصيب : المطر .

قد كان عها ان جرى لي مدمع  
فاليم ان لم يجرد مع اعيب

\*\*\*

ويختتم قصيدته بقوله :

جئناك نمتاح العزاء فهب لنا  
منك العزاء فمثل ذلك يوهب<sup>(١)</sup>  
وارفت بقلب حامل ثقل السورى  
والكلم يؤسى والمضيق ترحب<sup>(٢)</sup>  
واسلك بنا سبل السلو فاننا  
بك نقتدى والى طريقك نذهب

\*\*\*

كما رثاه الشريف عند وفاته - وما تقدم لاحظنا أن علاقة الشريف  
بالخليفة القادر كانت وطيدة وأكبر منها بينه وبين سابقه الخليفة الطائع .

ومن الجدير بالملاحظة أن المرتضى قد نقابة الطالبين وأمر الحج  
والمظالم وجميع ما كان لأخيه الرضى ، وهى مناصب جد خطيرة وذلك فى  
يوم السبت الثالث من صفر سنة ٤٠٦ هـ وهى سنة وفاة أخيه الرضى فى  
عهد الخليفة القادر بالله ، وجمع الناس لقراءة عهده فى الدار الملكية ،  
وحضر فخر الملك ( الوزير أبو غالب محمد بن خلف ) والأشراف والقضاة  
والفقهاء .

وكان العهد الذى عهده الخليفة القادر بالله هذا نصه<sup>(٣)</sup> :

- 
- (١) نمتاح : نطلب .  
(٢) الكلم : الجرح ، يؤسى : يعالج .  
(٣) المنتظم لابن الجوزى ج ٧ ص ٢٧٦ .

(( هذا ما عهد عبد الله أحمد القادر بالله أمير المؤمنين الى على  
على بن الحسين بن موسى العلوي ، حين قرنته اليه الأنساب الزكية ، وقدمته  
لديه الأسباب القوية ، واستظل معه بأغصان الدوحة الكريمة ، واختص عنده  
بوسائل الحرمة الوكيدة ، فقلده الحج والنقابة وأمره بتقوى الله ))

وقد شغل الشريف المرتضى هذه المناصب من ٤٠٦ - ٤٢٢ هـ ففى  
عهد الخليفة القادر بالله ، حيث توفى الأخير فى سنة ٤٢٢ هـ وولى ابنه  
القائم بأمر الله .

\* \* \*

### القائم بأمر الله :

سجل التاريخ أن الشريف كان أول البايعيين للقائم بأمر الله ، وفى  
هذا التصيين المجمع عليه ما يشير الى خطر تقدمه فى الهليمة .

جاء فى المنتظم : (١) لما توفى ( القادر ) حضر الأشراف والقضاة  
والفقهاء والأمثال ، وحفظت أبواب البلد من الفتنة ، وخرج القائم بأمر الله  
وقت الحصر من وراء ستر ، فصلى بالحاضرين المضرب ، وصلى بعدها على  
( القادر ) ثم كبر أرحا ، ثم جلس فى ( دار الشجرة ) على كرسى وعليه  
قميص ورداء ، ضايحه الناس ، فكان يقال للرجل تبايح (( أمير المؤمنين  
القائم بأمر الله )) على الرضا بامامته ، والالتزام بشرائع طاعته ، فيقول :  
نعم ، ويأخذ يده فيقبلها .

---

(١) حوادث ٤٢٢ .

وأول من بايعه الشريف المرتضى ، وقال يرثى القادر بالله وقد توفى  
ليلة الاثنين الحادية عشرة من ذى الحجة سنة ٤٢٢ هـ ، ويهني القاسم  
وقد بويج له ، قصيدة مطولة مطلعها : (١)

أراعك ما راعني من ردى ؟  
وجدتُ له مثلَ حَزِّ المَدَى (٢)  
وهل فى صابك أنى كَرَعْتُ  
برزء الإمام كورس الشَّجَا (٣) ؟  
كأنسى وقد قيل لى إنَّسى  
أنا الردى فى يمين الردى

ومنها قوله :

وخلَّ الأسى فالحمل الذى  
جَمَعَتْ به لى فيه أسى  
فأما مضى جيل وانقضى  
فمنك لنا جيلٌ قد رسا  
وأما فجعنا بيد التمام  
فقد " بقيت " منك شمس الضحى  
وإن فاتنا منه لبيتُ العرين  
فقد حاطنا منك ليمى الشورى  
وأعجب ما نالنا أننا  
حرمنا المنى ولفنا المنى

\*\*\*

- 
- (١) الديوان ج ١ ص ٣ .  
(٢) المدى بضم الميم جمع المديّة وهى السكين .  
(٣) الشجا : الهم والحزن .

ومنها قوله أيضا :

ويا خالداً في جنانِ النعيم  
لنا خالداً في جنانِ الدنيا  
فقوموا انظروا أي ماضي ماضي  
وقوموا انظروا أي آت أتى  
فإن كان قادرنا قد مضى  
فقائنا بعده ما مضى  
ولما دُونا بفقد الإمام  
عجلت إلينا فككت السداً (١)  
رضيناك مالكا فأرضنا  
فما نبتغي منك غير الرضا

\*\*\*

وقال أيضا يمدح القائم بأمر الله في نفس القصيدة :

ونح عن الخلق بغي البغاة  
وعط عن الدين ثوب الدجى (٢)  
فقد هزك القوم قبل الضراب  
فما صادفوك كليل الشبا (٣)  
وأعلمهم طول تجريمهم  
بأنك أولاهم بالعلمى

- 
- (١) دونا : أصابنا الدهاء .  
(٢) عط الثوب : شقة ، والدجى : الظلام .  
(٣) الشبا : ( بالفتح ) حد السيف .

وَأَنْتَ أَضْرِبُهُمْ بِالسَّيْفِ  
وَأَنْتَ أَطْعِمُهُمْ بِالْقَنَاصِ  
وَأَنْتَ أَضْرِبُهُمْ فِي الرَّجَا  
لِ عِرْقًا وَأَطْوَلَ مِنْهُمْ بِنَا

\*\*\*

وفى عيد الفطر سنة ٤٣٢ هـ قال يمدح القائم بأمر الله وفى  
قصيدة رقيقة : (١)

عليك أمير المؤمنين سلامي  
وفى يدك الطول زمام غرامى  
وأنت الذى لنا بلفت دياره  
بلفت المنى غفواً ونلت مرامى  
ولم يك لى عليك توكل لى  
ولا كان إلا فى ذراك مقامى  
وحبك شار فى سواد جوانحى  
وأنت صباحى فى سواد ظلامى

\*\*\*

ومنها قوله :

فواد يكتم والحد لله مفهق  
من العز فينا والبحور طسوام<sup>(٢)</sup>  
وانتم كما شئتم وشاء وليكم  
ودمع الذى يشجى بذلك هام

(١) الديوان ج ٣ ص ٢٥٠.

(٢) مفهق : مثلى .

والقائم العاضى الشبا قامت العلا  
 وكنا وهبت عيون بعد طول منام  
 ولولا كفا مثل نهب مقسم  
 وليس لنا فى ذى الأذية حرام  
 هنئلاً بهذا العيد ياخير ماطر  
 كما كنت عصر اليوم خير صيام  
 فإن تركوا مأكلاً ومشارباً  
 فإنك تراك لكل حرام  
 وإن جانبوا بعض الأثام تورعاً  
 فانت الذى جانبت كل أثم

\*\*\*

وقال يمدح القائم بأمر الله وبهنته بالذخيرة (١) وذلك فى جمادى  
 الآخرة سنة (( ٤٣١ )) : (٢)

قسم فائز لى فوق الوهاد وسادى  
 فالآن طاب بغي طعم رقادى

\*\*\*

ومنها قوله :  
 نفحت أمير المؤمنين عطية  
 غرة من وافي العلاء جواد

(١) هو ذخيرة الدين أبو العباس محمد بن القائم بأمر الله ، وقد رشحه  
 أبوه للخلافة ورأه تربية حسنة لأنه أتى سنة ٤٤٧ كما فى المنتظم

ج ٨ ص ١٦٥ ، ١٦٨ ، ٢٩٢

(٢) الديوان ج ١ ص ٢٨٤

جَهْلٌ مِنَ الْأَجْيَالِ إِلَّا أَنَّهُ  
عِنْدَ الْوَرَى وَلَدٌ مِّنَ الْأَوْلَادِ  
وَالسَّيْفُ أَنْتَ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ مِّلَّةِ  
فِينَا لِيَتْرَكَهُ بِغَيْرِ نَجَادٍ (١)  
وَالضَّابُّ أَهْبَبُ مَا يَكُونُ إِذَا ثَوَّتْ  
أَشْبَاهُهُ فِيهِ مَعَ الْأَسْبَادِ  
وَالطَّعْنُ فِي الْأَرْصَاحِ يُعَوِّزُ فِي الْوَفَى  
لَوْلَا الْأَسْنَةُ فِي رُؤُسِ صَحَابِ (٢)  
وَالنَّصْلُ لَوْلَا حَدُّهُ وَغَيْرُهُ  
مَا كُنْتَ حَامِلَهُ لَيَوْمِ جِلَادِ (٣)  
قَالُوا أَتَى وَلَدٌ فَقُلْتُ صَدَقْتُمْ  
لَكِنَّهُ عِنْدَ مِنَ الْأَعْيَادِ

\*\*\*

ومنها أيضا :

يَا خَيْرَ مَنْ حَفَّتْ إِلَيْهِ سِرِّي  
طَرًّا وَمَنْ حَفَّتْ إِلَيْهِ جِيَادِي  
وَابْنُ الَّذِي طَالَ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ  
فَضْلًا وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْأَطْوَادِ  
مَا إِنْ رَأَيْتَ وَلَا تَرَى شَهْبًا لِّسْ  
أَبَدًا مِنَ الزُّهَادِ وَالْعَبَادِ

- 
- (١) النجاد : حائل السيف .  
(٢) يعوز : يتعذر ويصعب ، والصناد : جمع الصعدة وهي القناة المستوية .  
(٣) الفرار : ( بالكسر ) حد السيف .

### السلطان البويهى :

أما صلته بالسلطان البويهى فقد كانت حسنة جدا ، وقد تعاطفوا ، فوجد الشريف فى بيها الدولة الرجل الكريم النفس ، الطيب فى رأيه ، وان تسلط وظلم الناس فأحبه ، وتعلق به وجمع بينهما رباط الأدب ، فبرى الشريف دائما له اما مادحا ، أو شاكرا ، أو مهنئا ، أو معزيا .

ومن أمثلة ما قال الشريف المرتضى فى مدح بيها الدولة وتهنئته بالمهرجانات أو بعيد النيروز ما يلى : فى صفر سنة أربعمائة<sup>(١)</sup> :

لى يا عذولى فى الهوى شجن  
لم يخفى منى فى هوى<sup>(١)</sup> مئلا .  
لما انقلمت إلى مودتيه  
لم يبق لى عذلى به غزلا  
لا تحفلن بالمير تألفه  
أبدا لما الوجه مبتذلا  
وأرتد لودك كل متخريق  
يهب الجديد ويلبس السما<sup>(٢)</sup> مئلا  
قد قلت للحادين أيقظهم  
داعى الرحيل فآزعجوا الأيلا

(١) الديوان ج ٣ ص ٤٦ .

(٢) الأصل جمع الأصيل وهو وقت ما بعد العصر الى الضروب .

(٣) المتخرق والخريق : السخى وكريم الخليفة ، والسمل : الثوب الخلق .

أَمْوًا بِهَا مَلِكُ الْمُلُوكِ فَمَا  
نَهْنَى بِهِ عِزًّا وَلَا يَسْدَلَا  
عَقْرًا لَهَا أَنْ لَا تَرَدَّ بِهَا  
وَأَضْلَاهَا مَقْتَادُهَا السُّبُلَا

\*\*\*

ومنها أيضا قوله :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَرِضُ نَسْدَى  
فِي مُحْتَفِيهِ وَالطَّوِيلُ عَمَلَا  
وَأَيْنَ الَّذِي بِسَدِيدِ سِيرَتِهِ  
يَضْحَى الْمَخْضَكُ يَضْرِبُ الْمَثَلَا  
مَا زَالَ ثُمَّ قَفَوْتُ سُنَّتَهُ  
يَطْلُ الْهَضَابُ وَيَسْكُنُ الْقَلْبَلَا  
وَمَطَالِحُ الْجُوزَاءِ قَبْلَكُمْ  
مَا دَاسَهَا بَشَرٌ وَلَا انْتَصَلَا  
اسْمَعْ مَدِيحًا مَا أُنْتُ بِهِ  
لَوْلَا اهْتِرَاكَ عِنْدَهُ الزَّلَالَا  
وَإِذَا رَضِيتَ الْقَوْلَ مِنْ أَحَدٍ  
حَازَ الرَّهَانَ وَأَدْرَكَ الْمَهْلَ (١)  
أَمَّا الَّذِي أَوْلَيْتَنِي بِهِ بِمَا  
شَرَّفْتَ مِنْ ذِكْرِي فَقَدْ وَصَلَا

---

(١) المهمل : التقدم في الخير.

مدحٌ تَفَلُّهٌ ولو نُظِمَتْ  
أبياتُه لسواك ما فَضَّلَا  
يُفديكَ مَنْ آمَنَتْ رَوْعَتُهُ  
وكفَيْتَهُ " مِنْ " أَمْرِهِ " الْجَلَّالِ (١) "

\*\*\*

ومنها كذلك قوله :  
وَأَسْحَدُ بِيَوْمِ الْمَهْرَجَانِ وَخَيْدُ  
منهُ طَوِيلُ الْعَمْرِ مُقْتَبِلَا  
طَوِيلِ

\*\*\*

وقال مادحا ومهنئا بالنيروز الواقع في شعبان سنة احدى وأربعين (٢)

انيروزَ مَالِكِ كَمَا دُمَ لَهُ  
وَكُنْ بِالَّذِي يَتَخَيَّرُهُ كَفِيْلَا  
وَعَدُّ أَبَدًا طَارِقًا بَابَهُ  
مَتَى مَا مَضَيْتَ نَوَيْتَ الْقُقُولَ (٣)  
وَإِنَّ أَنْتَ أَفْقَدْتَنَا غَيْرَهُ  
فَاهْدِ إِلَيْهِ الْبَقَاءَ الطَّوِيلَا

\*\*\*

وقال يعزى بهما الدولة بولده أمير الأمراء أبي منصور بويه ، وقد  
توفي بالبصرة في ذهابه إليها : (٤)

(١) الجلل : الأمر العظيم .

(٢) الديوان ج ٣ ص ٥٢ .

(٣) الققول : الرجوع .

(٤) الديوان ج ٣ ص ١٧١ .

أَرَأَيْتَ مَا صَنَعْتُ \* بَنَّا \* الْإِيَّامُ ؟  
ضَاعَ الْمَرْزُوقُ وَضَلَّتِ الْأَحْجَالُ (١)  
نَهًا تَفَكَّ لَهُ الصَّدُورُ عَنِ الْحِجَابِ  
وَتَهَانُ أَخْطَارُ النَّهْيِ وَقُصَامُ  
وَحَيْسِمَةٍ وَلَجَّتْ عَلَى مَلِكِ الْبُورِ  
أَبْوَابُهُ \* وَالذَّائِدُونَ \* نَهَامُ (٢)  
حَلَّ الرِّجَالُ بِأَمْرِهَا عَقْدَ الْهَامِ  
فَكَانَهُمْ وَهُمْ الْقَمُودُ قِيَامُ (٣)  
وَأَسْتَوْهَلْتُ أَرْأُوهُمْ فِتْرَاهُمْ  
لَا نَقْضَ عَنْدهُمْ وَلَا إِبْرَامُ (٤)  
حَارُوا فَلَيْسَ لَدَيْهِمْ إِنْ خُوطِبُوا  
أَوْ خَاطَبُوا فَمَنْ وَلَا إِنْهُمْ  
كَالْخُمْدِ فَارِقَ نَصْلِهِ فِي مَعْرِكِ  
وَالسَّلَكُ مُلْقَى لَيْسَ فِيهِ نِظَامُ  
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي لَجَّالَهُ  
يَتَحَلَّمُ التَّوْقِيرَ وَالْإِعْظَامُ  
صَبْرًا فَمَا لِأَدَبِ الَّذِي اسْلَفْتِيهِ  
فِي النَّائِبَاتِ تَأْدِيبَ الْأَقْصَامِ

\*\*\*

- (١) ولحت : دخلت ، وزاده : دفعه وطرده .  
(٢) الحما : جمع الحومة وهي ما يحتبى به أى يشتمل ويحقد من ازارأو  
عمامة .  
(٣) استوهلت : فزعت .

وقال وقد سأله الوزير أبو علي الحسن بن حمد ، عمل قصيدة عنه يذكر فيها الملك السعيد بها الدولة بحقوقه ويتبرأ اليه من أعدائه (١) :

إِيَابَا أَيُّهَا الْمَوْلَى إِيَابَا  
فَعِمْدٌ إِنْ أَسَاءَ فَقَدْ أَنَابَا  
أَطَاعَكَ وَالشَّيْبَابُ لَهُ رَدَا  
فَكَيْفَ تَرَاهُ إِذَا خَلَجَ الشَّيْبَابَا ؟  
وَكَيْفَ عَلَى الْهُدَى حَدَّثَا فَانَّسَا  
تَخَلَّنَ بِهِ الضَّلَالَةُ حِينَ شَابَا  
أَبَعْدَ نَصِيحَةٍ فِي الْغَيْبِ غَشَّ ؟  
أَحْوَرَا بَعْدَ كَثُورٍ وَانْقِلَابَا (٢)  
أَلَا قُلْ لِلأُلَى رَمَوْا الْمَطَايَا  
وَعَالَوْهَا الْهُوَادِجَ وَالْقِيَابَا (٣)  
وَقَادُوا الْخَيْلَ عَارِيَةَ الْهُوَادِي  
وَمَا أَوْكَرُوا مِنَ الْعَجَلِ الْعِيَابَا (٤)  
خَذُوا مِنَّا التَّحِيَّةَ وَاقْرَءُوهَا  
وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا عَنْهَا جَوَابَا  
عَلَى مَلِكٍ تَنْزَعُهُ أَنْ يُحَابِسَا  
وَأَغْنَتْهُ الْمَحَامِدُ أَنْ يُحَابِسَا (٥)

- 
- (١) الديوان ج ١ ص ٦٢ .  
(٢) الحور : الرجوع والنقصان بعد الزيادة ، والكور : الزيادة .  
(٣) رموا : شدوا الأزمسة .  
(٤) الهوادي من الخيل : اعتاقها ، وأوكرها : جعل تشد به القربة وغيرها ، والعياب : جمع العيبة وهي وعاء في جلد يوضح فيه المتاع كالجواب .

ولما أن تحجب بالمعالي  
على أعدائه رفع الحجابا

\*\*\*

وقال يمدح الملك السعيد بهاء الدولة ويشكره عند ورود الكتاب  
من الحضرة السامية بتكئيمته وخطابه بالشريف الجليل المرتضى ذي المجدين<sup>(١)</sup>

لبهاء الملوك والدين والبدو  
لغة شكرى والفرط من تعجيدى  
وبأيامه السعيدة أعطيه  
ت لواء التعديل والتوحيد  
ومجيد منه أريج وأحمر  
ر المعانى وأن غمض عبيدى  
كنت قبل اصطناع انظر البده  
يا عزوفاً وعفة من بعيد  
فأنا من كرم تولسى  
مد ضبعى حتى أقام قعود<sup>(٢)</sup> الى

\*\*\*

وعند وفاة بهاء الدولة ، وكانت وفاته بأرجان فى جمادى الآخرة<sup>(٣)</sup>  
وحصل تابوته الى الكوفة ودفن بها : (٤)

أما ترى الدهر لا يبقى على حال  
طوراً بأمن وأطواراً بأوجال؟

- 
- (١) الديوان ج ١ ص ٢٥٢ .  
(٢) الضبع : العضد ، ومد ضبعه : نعشه .  
(٣) " سنة ٤٠٣ هـ " نوابغ الفكر العربى العدد ٤١ ص ٤٢ ، محمد  
عبدالغنى حسن : دار المعارف بمصر .  
(٤) الديوان ج ٣ ص ٩٦ .

ابنسى النجاءَ وما أنجوا وإن غفلتُ  
عننى الضنون كما لم ينحُ أمثالى

\*\*\*

ومنها أيضا قوله :  
واسأل الركبَ عندى مثل عليهمُ  
أرجو تَعِلَّةَ الباسى وإشكالِسى  
قبرٌ على الكوفة الضراء نعيمه  
فى كلِّ يومٍ يارنانٍ وإغوالٍ

\*\*\*

ومما تقدم يتضح لنا نوع العلاقة المتينة والروابط الوثيقة التى كانت  
تربط الرجلين .

والشريف كما أسلفنا كان على صلة بكثير من الوزراء والنقباء والأمراء  
ولكن هل كانت صلة صاحبنا بهؤلاء الخلفاء والسلاطين والأعيان صلة شاعر  
متكسب ، خانع لخليفة أو ملك ، كلا ، إنها صلة الرجل العظيم الخطير  
مرهوب الجانب ذى الشأن بالمجتمع الذى يعيش فيه ، ومخليفته أو بملكه  
الذى بدوره يقدره ويحترمه أعظم احترام ، كما أنه لم يمدح لكسب المال  
والضياع بل للمجد والمعالى عند أولئك الخلفاء والأمراء ، فعندما كان  
يمدح الخليفة الطائع لم ينس أن يشير الى ترفعه عن الاسترداف بالشعر  
ويذم الانتجاع به .

ويتضح ذلك جليا فى قصيدته التى يقول فيها (١) :

---

(١) الديوان ج ٣ ص ٢٦١ .

وَتَخَصَّصْتُ بِالْمُلُوكِ يَلِيْسُو

نِ نِدَائِي وَيَسْمَعُونَ كَلَامِي

وَإِذَا مَا ذَمَمْتُ يَوْمًا عَلَيْهِمْ

فِي عَظِيمٍ أَمْضَوْا هُنَاكَ ذِمَامِي

وَمَتَى أَغْلَلْتُ خُطُوبَ صَعَابٍ

أَوْ وَهَى لِلْمُلُوكِ سَيْلُكَ نَظَامِ

جَعَلُونَنِي دَلِيلَهُمْ فِي ضَلَالٍ

مُوقَدٍ أَوْ صَبَاحَهُمْ فِي ظُلَامِ

\*\*\*

ب - أصدقاؤه :

أنس الشريف المرتضى بأصدقاؤه بادلوله الود متج الكسوف ، نقسى  
الأديم وكأني ما حنا - كما تهيئ لي من البحث في سيرته ومن خلال شعره  
يذوب رقة و صفا ، ولحفا معهم .

ومن أصدقاؤه ومعارفه سعد الأئمة أبو القاسم وابنه معتمد الضمرة  
أبو محمد المتوفى ( سنة ٤١٧ ) وأبو الحسين بن الطاجب المتوفى ( سنة  
٤٢٨ ) وأبو اسحاق الصابي الكاتب المشهور المتوفى ( سنة ٣٨٤ ) وأبو  
الحسن هلال بن المحسن بن أبي اسحاق الصابي المتوفى ( سنة ٤٤٨ )  
وابن شجاع الصوفي المتوفى ( سنة ٤٢٣ ) وأبو الحسين الأقساسي  
العلوي الذي تولى إمارة الحج نيابة عن المرتضى مرارا وتوفى ( سنة  
٤١٥ ) ورثاه المرتضى بالفائية التي مطلعها :

عرفت وباليتمنى ما عرفت  
قصر الحياة لمن قد عرف

وأبو الحسين البتي أحد بن علي الكاتب المتوفى ( سنة ٤٠٣ ) ،  
والقاضي أبو القاسم عبد العزيز بن محمد العسكري القطان المتوفى ( سنة  
٤٥٨ ) ، والقاضي أبو القاسم علي بن المحسن التتوخي المتوفى ( سنة  
٤٤٧ ) ، وأبو الحسن السمسعي تلميذ أبي علي الفارسي المتوفى ( سنة  
٤١٥ ) ، والشاعر الظريف أبو بكر محمد بن عمر الحنبري المتوفى ( سنة ٤١٢ ) ،  
وغير هؤلاء كثير يجدهم المتصفح لديوانه .

وسنعرض فيما يلي لحالاته ، وصلاته ببعض هؤلاء الأصدقاء وما  
كان يجري بينه وبينهم ، وأثرهم في ما كتبه من بعض القصائد فسي

بعض الأغراض الشعرية .

\* \* \*

الصابى :

نستدل على مبلغ صداقته للصابى ووفائه له ، أنه حين توفى سنة  
٣٨٤ قال يرثيه فى قصيدة مطولة يتذكر فيها أيامه لما كان بينهما ممن  
الألفة المتأكدة (١)

ما كان يومك يا أبا إسحاق  
إلا وداعى للمنى وفراقى  
وأشد ما كان الفراق على الفتى  
ما كان موصولا بخير تلاقى  
ولقد أتانى من مصابك طلاق  
لكنه ما كان كالطراق  
فالنار يوقدها الأسى فى أضلحى  
لا للصلى والماء من آماقسى (٢)  
ما كان للعينين قبلك بالبكا  
عهد ولا الجنين بالإقلاق  
وأطقت حمل النائبات ولم يكن  
ثقل بوزك بيننا بمطابق

(١) الديوان ج ٢ ص ٣٤٩ .

(٢) الصلى والاصطاك : الاستدفاء بالنار .

لولا حَامُكَ مَا اهْتَدَى هَمُّ إِلَى  
 قَلْبِي وَلَا نَارٌ إِلَى إِحْرَاقِي  
 وَسُلِبْتُ مِنْكَ أَجَلَ شَطَرِي عِشْتِي  
 وَفَجَعْتُ مِنْكَ بَأَنفِي الْأَعْلَاقِ (١)  
 وَقَذَيْتُ فِي قَلْبِي بِفَقْدِكَ وَالْقَذَى  
 فِي الْقَلْبِ يُنْعِنِ قَذَاءُ الْمَاقِ (٢)  
 لَمَّا رَأَيْتُكَ فَوْقَ صِهْوَةٍ شَرَجَجَ  
 بِيَدِ الْمَنَايَا أَظْلَمْتُ أَتَافِقِي (٣)  
 وَكَأَنِّي مِنْ بَعْدِ ثُكْلِكَ ذَوِيْدُ  
 جَذَاءٌ أَوْ غَصْنٌ بِلَا أَوْرَاقِي (٤)  
 أَوْ رَاكِبٌ فِي الْقَفْرِ دَفَى جَسْرَةٍ  
 غَرَّيْتُ بِلَا شَكٍّ وَلَا طَبَاقِ (٥)  
 إِنِّي عَلَيْكَ لَمَّا ذَهَبْتَ لَمْوجَجٌ  
 وَالْبَيْكُ لَمَّا غَبْتَ بِالْأَشْوَاقِ  
 يَا نَافَعِي وَالْجِلْدُ مِنِّي ضَيْقٌ  
 بِرِزْيَتِي أَلَا يَضِيقُ نَافَعِي  
 كَمْ مِنْ لِيَالٍ لِي قَصَارٍ بَعْدَهُ  
 طَوَّلَنَ بِالْإِجْجَاعِ وَالْإِيْسَارِ

\*\*\*

- (١) الأعلاق : الجواهر الثمينة ، مفرداها علق .  
 (٢) قذيت : أصابني القذى وهو ما يقع بالعين من قش وغيره والطاق : من  
 العين مجرى الدمع .  
 (٣) الصهوة : أعلى الشيء ، والشرجع : النعش .  
 (٤) جذاء : مقطوعة .  
 (٥) الجسرة : العظيمة من النوق القوية ، وغرشي : جائعة ، والشث :  
 شجر كالنقاج الصغير طيب الرائحة مر اللحم ، والطباق ( كرمان ) :  
 شجر منابته جهال مكة .

ويؤكد على عمق صداقته له بنفس القصيدة حين يقول :

ولئن تحلّت الترابَ فطالما  
قد كنت محوّلًا على الأعناقِ  
فليمضي بعدك من أحبّ فقد مضى  
منك الحمامُ ببُخيتي ووفاقى  
ما لى انتفاعٌ بعد فقدك صاحبًا  
حطّ المذاقة في الورى بمذاقي  
نَسِجتُ عليك رِياضُ كلِّ بلاغيةٍ  
وسقاك منها ما تشاء الساقى

\*\*\*

ومن القصيدة تبين لنا مبلغ فاجعته في فقدّه ، ولكننى أعجب أشدّ  
المعجب من هذه الصداقة ، كيف تكون بين شيخ وفتى ، وبين مسلم فقيه  
عالم وبين صابى ، ولكننى حين أتذكر أن الشريف المرتضى كان رجلا واسع  
الأفق ، ينظر الى الحياة نظرة الرجل الكبير العاقل ، فأننى أعلم أنسه  
صادق الرجل الأديب ، ورثاء حيث رثا الفضل والأدب ولم يرث الصابية  
والمتماهى .

ولم تقف العلاقة بين الشريف المرتضى وبين أبى اسحاق عند حدود  
المعرفة فقط ، ولكن كانت هناك علاقة أدبية بينهما ، وهو ما يؤكد ما ذهبنا  
إليه فقد كتب هلال بن المحسن بن أبى اسحاق الصابى الى الشريف  
المرتضى هذه الأبيات فى التقرب والمودة (١) :

أسيّدنا الشريف علّوت عن أن  
تضاف إليك أوصافُ الجلاله

لأنك أَوْحَدٌ والنَّاسُ دُونَ  
 وَمَنْ يَسْمُو لِمَجْدِكَ أَنْ يَنَالَكَ  
 وَفَتْ وَزِدَتْ فَضْلًا ۚ إِنَّ فَضْلًا  
 كَفْضُكَ لَا تَحِيطُ بِهِ مَقَالُكَ  
 وَلَيْ أَمَلٌ سَأَدْرُكَهُ وَشَيْكَا  
 بِحَمُونِ اللَّهِ فِيكَ بِلَا مَحَالُكَ  
 وَلَيْسَ عَلَى مَوَالَتِي مَزِيدٌ  
 لَأَنْتَى لَمْ أَرُثْهَا عَنْ كَلَالِكَ (١)

\*\*\*

فقال الشريف المرتضى مجيباً له على نفس الوزن ونفس القافية مما  
 يدلنا على مدى براعته وتمكنه من الشعر (٢) :

المطلع :  
 متى يُبْهِدِي الْكَيْبُ لَنَا غَزَالَهُ  
 وَيُدْنِي مِنَّا مَنَامَنَا مَنَالَهُ

\*\*\*

وفيهما يقول :  
 وَمَا أَنَا مُصْطَفٍ إِلَّا خَلِيلًا  
 رَضِيتُ عَلَى تَجَارِيهِ خِلَالَهُ  
 تَرَكْتُ بِجَانِبِ الْوَادِي ثَمَامًا  
 فَلَمْ أَعُضْ لَهُ وَجْهِي ضَالَهُ (٣)

- 
- (١) الكلالة : بعد النسب ومن تكلل نسبه بنسبك لم يكن لحافيه ، ولم يرثها عن عزى ومعد ، بل عن قرب واستحقاق .  
 (٢) الثمام : نبت ضعيف ، والخال شجر كالسدر .  
 (٣) اللسان ( بفتحين ) : الفصاحة والبيلان .

وَأَنَّكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا رَأَيْنَا  
 لَهُمْ إِلَّا الرِّيَاسَةَ وَالْجَلَالَهٗ  
 عَلَوْا قُلِّلَ الْكَلَامَ الْجَزَلَ فِينَا  
 وَحَلُّوا كَيْفَمَا شَاءُوا جِبَالَهٗ  
 وَكَمْ رَامَ أُمُورُ بِهِمْ لِحُوقِبَا  
 بِطَرَقِ الْمَأْثَرَاتِ فَمَا اسْتَوَى لَهُ  
 وَمَا زَالُوا بِيَوْمِ نَدَى سَمِيحًا  
 لِمَفْخَرَةٍ وَيَوْمِ غَضَى نِصَالِهٗ  
 وَكَمْ مَلَأَ الْبَيَانَ رَدَدَتْ مِنْهُ  
 غَيْبًا لَا تَبِينَ لَهُ مَقَالِهٗ  
 وَذِي لَسَنِ رَجَعَتْ بِهِ صَمُوتِهَا  
 وَذِي جَدَلٍ عَكَسَتْ لَهُ جِدَالِهَا (١)  
 فَخَذَهَا الْيَوْمَ قَافِيَةً شُرُودًا  
 تَجُوبُ بِهَا الْبِلَادَ وَلَا ضَالَّةً  
 فَإِنَّ قَصْرَتْ فَقَدْ أَغْتَنَكَ مِنْهَا  
 لِشَارَاتٍ لَطْفَنَ عَنِ الْإِطَالِ  
 فَلَا هَلَّ لِقَلْبِي مِنْكَ دَهْرًا  
 وَحَاشَا اللَّهَ لِقَلْبِي مِنْ مَلَالِ (٢)

\*\*\*

(١) اللسن ( بفتحين ) : الفصاحة والبيان .

(٢) مملوءا ~ ٧ : ص ٦٦

البيتى (١):

قال وكتب بها الى ابي الحسين البتى جوابا عن قصيدة  
أنشدها اياها (٢).

مطلع القصيدة :

لعلَّ زماننا بالثوية راجح  
مضى وهو فى قلبى مدار الدهر راجح (٣)

\*\*\*

ومنها قوله :

وقول أتانى مُعرباً عن مودّة  
غجاء كما كانت تشاء المسامح  
ولوّج إلى قلبى علوق بخاطرى  
كما علقت بالراحتين الأصابع  
مديح تولى الفكرُ تعميق نسجه (٤)  
وليس كوشى نعتُهُ الصوانح

(١) منسوب الى البيت بوزن القت ، قرية كالمدينة من أعمال بغداد قريبة  
من راذان على فم النهر ، كما فى معجم البلدان والمراد ، وفى  
الأنساب ان البيت موضح بنواحي البصرة وهو أبو الحسين أحمد بن  
على الكاتب كان حافظا للقرآن تاليا له ، ملج المذاكرة والآداب ،  
عجيب النادرة ، طريف المزج ، توفي فى شعبان سنة ٤٠٣ هـ ، وهو  
الذى استكتبه الخليفة القادر بالله وكان يكتب له عند مقامه بالبطيحة  
وصرف به كاتبه أبا الحسن على بن عبد العزيز حاجب النعمان ،  
الديوان الجزء الثانى ص ١٨١ .

(٢) الديوان ج ٢ ص ١٨١ .

(٣) الثوية ( بالفتح أو التصغير ) : موضح فى الكوفة أو قريب منهما ،  
والرابع : المقيم .

لَأَنِّي لَمَّا أَن مَشَّتْ فِي مَفَاصِلِي  
 حَمِيَّاهُ فِي "نَهْي" مِنْ الْخَيْرِ كَارِجٌ (١)  
 فَيَا عِلْمَ الْعِلْمِ الَّذِي يُهْتَدَى بِهِ  
 كَمَا فِي السَّرَى تَهْدِي النُّجُومُ الطَّوَالِحُ  
 أَضَفْتُ إِلَى الْفَضْلِ "مَنْكَ" تَفَضُّلاً  
 وَأَتْنَيْتَ عَمْدًا بِالَّذِي أَنْتَ صَانِعُ  
 وَأَلْقَيْتَ مَنْأً فِي مَدِيحِ نَظْمَتِهِ  
 عَلَى كَاهِلٍ لَا تَمُتْطِيهِ الصَّنَائِعُ (٢)  
 وَمِثْلُكَ مِنْ قَدْ كُنْتُ قَبْلُ وَصَالِهِ  
 أَحِنُّ اشْتِيَاقًا نَحْوَهُ وَأَنْسَانُ  
 وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ لَا أَرْضَى لَهُ  
 صَنِيعاً وَأَكْدْتُ مِنْهُ عَنِّي الذَّرَائِعُ (٣)  
 سَقَانِي بِلَهِّ الْعَذَبِ الزَّلَالِ وَأَنْمَاءِ  
 أَطْلُتُ الظُّلُمَاتِ حَتَّى حَطَّتْ لِي الْمَشَارِعُ  
 وَقَدْ كُنْتُ لَا أَرْضَى نَصِيحاً أَصْبَتُهُ  
 وَأَنْتِ بِقِسْمِي مِنْ وَدَادِكَ قَانِعُ  
 إِذَا مَا رَعَاكَ اللَّهُ لَسِي بِحَفَاطِيهِ  
 فَلَسْتُ أَبَالِي أَنَّ غَيْرَكَ ضَائِعُ

(١) الحميا : أول سورة الخمر ، والنهى ( بكسر النون وتسكين الهاء ) :  
 القدير وشبهه .

(٢) الكاهل : أعلى الظهر ما بين الكتفين .

(٣) أكدت : قل خيرها ومخلت ، والذرائع : جمع الذريعة وهى الوسيلة .

وقد كانت علاقته به وطيدة حتى أن الشريف المرتضى كتب إليه قصيدة عاتبه فيها على الإخلال بزيارته (١) ، يقول في بدايتها :

أَضَنَّا بالتواصل والتصافى  
وبذلاً للتقاطع والتجافى (٢) ؟  
وبنذاً للمسودة عن ملال  
كما نهذت حصيات القيداف  
وسيراً فى الجفاء على طريق  
شديد تتكرُّ الأعلام خفاف (٣) ؟  
إذا الأقدام خاطئة خطته  
فمن كاب لجبهته وهفاف (٤) ؟  
أَيَا مَنْ بَحْتُهُ وَهَلَى جُرَافاً  
فقابلنى بهجرانٍ جـُـزَافِ  
أَيَحْسُنُ أَنْ تَرْنُقَ مِنْكَ شَرِى  
قضاء بعد أسلافى سلافى (٥) ؟  
وشننى عطفك المزور عني  
وما لسواك حظ فى أنعطافى (٦)  
ومن عجبٍ خلاfk لى وقدماً  
أمنست على اقتراحك من خلافى

(١) الديوان : ج ٢ ص ٢٦٧ .

(٢) ضنا : بخلاً وشطاً .

(٣) الأعلام : جمع علم وهى العلامة يستدل بها على الطريق .

(٤) الكابى : العائر ، والهافى : الزال .

(٥) ترنق : تكدر ، والسلاف : الخمر .

(٦) المعطف : الجانب .

وخلفك موعدي وعليك فرداً  
مقامي بالمودة واختلاقي<sup>(١)</sup>

\*\*\*

ويختتم قصيدته بقوله :

فيا راضي الجفاء متى التلاقي<sup>س</sup>  
ويا جاني الذنوب متى التلاقي<sup>س</sup>  
وان كنت اقترفتُ إليك جرماً  
فقد ذهب اعترافي باقترافي

\*\*\*

الأقواسي<sup>(٢)</sup> :

كانت تربط الشريف المرتضى بأبي الحسين الأقواسي العلوي صداقة  
متينة حتى أنه تولى إمارة الحج نيابة عن المرتضى مراراً ، وقد رثاه بقصيدة  
فائية قال فيها<sup>(٣)</sup> :

عرفتُ وباليتمنى ما عرفتُ  
فمُرَّ الحياة لمن قد عسِفَ  
فها أنا ذا طولَ هذا الزمان  
بين الجوى تارة والأسف  
فمن راحلٍ لا إيابَ له  
وماضي وليس له من خلف

- 
- (١) الاختلاف هنا بمعنى التردد والمراجعة .  
(٢) الأقواسي : نسبة الى الأقواس من نواحي الكوفة ، وهو محمد بن  
الحسن العلوي الزيدي النسب من أشرف العلويين ، حج بالناس  
نيابة عن الشريف المرتضى سنين كثيرة ، وكان أديباً ، وله شعر  
مقبول ، توفي سنة ٤١٥ هـ .  
(٣) الديوان ج ٢ ص ٢٨٧ .

فلا الدهر يُعْتَمِنُ بالمَقْسِمِ  
 ولا هو يُرْجِعُ لِي مِنْ سَلَفِ  
 أَرُونِي إِنْ كُنْتُمْ تَقْسِدُونَ  
 مَنْ لَيْسَ يَكْرَهُ كَأَنَّ التَّلَفَ  
 وَمَنْ لَيْسَ رَهْنًا لِدَاعِي الْحَطَامِ  
 إِذَا مَا دَعَى بِاسْمِهِ أَوْ هَتَفَ  
 وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا الْفَرُورُ الْخَدُوعُ  
 فَمَاذَا الْفَرَامُ بِهِ وَالْكَلَفُ؟  
 وَمَا هُوَ إِلَّا كَلِمَةُ السَّبُورِ  
 وَالْأَهْوَى خَرِيفُ عَصَفِ  
 وَلَمْ أَرْ يَوْمًا وَإِنْ سَاءَ نَسِي  
 كَيْفَ حَامٍ كَمَالِ الشَّرَفِ  
 لَأَنْتَ بِحَيْدِ فِرَاقٍ لِي  
 وَقَطَعَ لِأَسْبَابِ تِلْكَ الْأَلَفِ  
 أَخُو سَفَرٍ شَارِعٌ مَا لِي بِهِ  
 مِنْ الزَّادِ إِلَّا بَقَايَا لَطْفِ<sup>(١)</sup>  
 وَعُضِي بِالرَّقَادِ السَّهَادِ  
 وَأَبْدَلَنِي بِالْأَمِيكِ السَّدَفِ<sup>(٢)</sup>  
 فِرَاقٌ وَمَا بِحَمْدِهِ مُلْتَقَى  
 وَدَّ وَلَيْسَ لَهُ مُعْطَفُ  
 وَمَعْتُكَ كَرِهًا يَوْمَ الزَّمَانِ  
 بَيْعَ الْفَبِينِ فَأَيْنَ الْخَلْفُ؟

(١) اللطف : اليسير من الطعام .

(٢) السدف : سواد الليل .

وعاتبتُ فيكُ صُروفَ الزَّمانِ  
ومَن عاتبَ الدهرَ لم ينصفْ  
وقد خُلفَ الموتُ كلَّ الرِّجالِ  
ومثلك من بيننا ما خُلف

\*\*\*

ابن خلف (١) :

كتب الشريف المرتضى الى صديقه الأستاذ الجليل أبي سعيد  
على بن محمد بن خلف وهو من أوائل قوله ، عندما قدم من السفور :

حلَّ ذاك الكياسَ ظبيُّ ربيبٍ  
عاصتِ الصَّبرَ في هواءِ القلوبِ (٢)  
غاش فيه حُلمُ الوُصورِ وأكُتتْ  
قُلبُ الرأى واستزلَّ اللَّبيبُ (٣)  
يا محلاً أبْلَتَه هوجُ اللَّيالى  
وغرامى بساكيه قشيب (٤)

(١) أصل من قرية نيرمان ( بفتح النون ) قرب همدان ولذلك عسرف  
بالنيرمانى والهمدانى ، وكان من جلة الكتاب الفضلاء والرؤساء  
والنبلاء ، وكان كاتباً يديوان بنى بويه ببغداد وصنف ليهى الدولة  
( المنشور البهائى ) فى مجلد ، وهو نشر كتاب الحاسة ، أشنى  
عليه الثعالبى فى اليتيمة ثناء حسناً ، وعده من الشعراء البارعين ،  
وكانت وفاته سنة ٤١٤ هـ .

(٢) الكياس ( بالكسر ) : موضع الظبى فى الشجر يكتن فيه ويستتر ، والريب  
أى المريب بمعنى المريب . الديوان ج ١ ص ٤٢ .

(٣) القلب ( بوزن السرر ) : جمع القلب أى البئر قبل أن تطوى أى  
قبل أن تنهى بالحجارة أو غيرها ، وقيل البئر الحادية ، وأكادوها :  
قلة مائها .

واطمأننت بك المحاسن حتى  
 شرذتها عنى وعنك الخطوب  
 طالما روضت رُساك الفوانس  
 وتوورت والزمان جديب<sup>(١)</sup>  
 وتمشت بك السحاب يجر  
 ن بروداً تخيرتها الجنوب  
 جاد جفنى ثراك وهو جهام<sup>(٢)</sup>  
 وأنت القواد وهو صليب<sup>(٣)</sup>  
 ساء عهدى لقاطنك متى أذ  
 ريت دمعاً من مقلتي لا يصب  
 لست فردا فيما دنته الليالي  
 كل شيء فى كرمين سليب  
 أيها القادم الذى أقدم الثار  
 لقلب جنى عليه المنيب

\*\*\*

### عز الأئمة :

~~~~~

وقال الشريف المرتضى بعد اجتماعه مع السيد الأجل عز الأئمة أبى
 سعد أحمد بن حمزة بن إبراهيم فى الدار العزيزة لما انتقل اليها فى فتنة

-
- (١) توورت : نبث فيها النور (بالفتح) وهو زهر أبيض ، والجديب
 المحل .
 (٢) الجهام (بالفتح) : السحاب لا ماء فيه .
 (٣) يصب : يصيب فيسقى .

الكرخ (١).

مستوحشا لفراقه ، ومخبرا عما كان عليه من الانس بمجاورته
ومطاولته ومعددا ما رشحه الله تعالى من هذا البيت الكريم من الصافاة
والود والحق وذلك في شهر ربيع الآخر في سنة سبع عشرة وأربعمائة من
الهجرة النبوية (٢) :

ليس للقلب في السلو نصيبُ
يوم رضا والبين منا رقيبُ
ودعّني وزادها طربُ الله
و وزادى تلهّف ونصيبُ
ورأتني أذرى الدموع فقالت
أبكاءُ أراه أم شؤب (٣)
إنما البين للبذور الضئ
يرات كسوف وللشموس غروبُ
والنوى كالردي ، وفقد كفقيد
غير أن غائب الردي لا يثوب (٤)
ولقد قلت للمليحة والـ
رأسُ بصبغ المشيب ظمأ خضيبُ

(١) ذكر ابن الجوزي في المنتظم (ج ٨ ص ٤١) أن الحيارين ببغداد
انبسطوا سنة ٤١٦ هـ انبساطا أسرفوا فيه وخرقوا الهيبة السلطانية
وواصلوا العمالات (أى السطو) وأراقوا الدماء وأحرقوا دار الشريف
المرتضى على الصراة وقلع هو باقيها ، وانتقل الى درب جميل وفي
سنة ٤١٧ هـ دخل الحيارون الكرخ فأحرقوا فيه ونهبوه وخرج
المرتضى مستوحشا الى دار الخلافة .

(٢) الديوان ج ١ ص ٤٤ .

(٣) الشؤب : الدفعة من المطر .

(٤) لا يثوب : لا يرجع .

مناصبه والقابله :

كان الشريف المرتضى طوال عمره الطويل من أبرز الشخصيات فى المجتمع البغدادي ، محافظا على مركزه ، من دون ذبذبة أو انتقاص ، على حين لم يسلم لأحد من رجال الجاه والسلطان - حتى الخلفاء - حال من غير تبديل وتحصيل .

ولقد كانت مكانته عالية بين قومه ، ونسوق فيما يلى مثلا يوضح ما ذهبنا اليه :

((تعرضت داره للادى ثلاث مرات من قبل العيارين ، سجلها التاريخ فى أحداث عام ٤١٦ ، ٤٢٢ ، ٤٢٦ ، وكان أهمها ما وقع فى التاريخ الأول فقد تعرضت دار المرتضى على الصراة لغارة من قبل العيارين شنوها على البيوت الآمنة ، فاحتقرت داره ، وهدم هو باقيها ، وانتقل منها الى دار فى درب جميل (١) .

وفى أثناء الحملة أخرج الملك ((شرف الدولة)) ابن ((بهاء الدولة)) جميع غلمان داره من الأتراك لحمايتها وحفظها فيها . ولم يعد اليها الشريف الا بعد إعادة عمارتها ، وبعد أن خرج توقيح الخليفة بذهاب قادة الجيش والوجوه الى بيته فحشا مهطعين بين يديه ، وهم ينشدون الأهازيج فى مدحه والثناء عليه . وكان صنيع الخليفة هذا مما سارت به الركبان ، وتناقله الرواة ((.

(١) المنتظم حوادث ٤١٦ .

وكان الشريف المرتضى ميالا الى الزهد والورع والتقوى ، راغبا عن الدنيا معتبرا لها ، وهو مع زهده الشديد فى الدنيا وتقشفه فيها ، كان ذا مقام سياسى فى الدولة خطير يفوق مقام أخيه الرضى بكثير ، ذلك بفضل ما أتى من اصالة الراى ووفارة الحلم والمال ، مع عز المشيرة وكثرة الرجال^(١)

وكان الشريف المرتضى رحمه الله مقربا لدى خلفاء بنى العباس اثيرا عندهم ومعظما ، وذلك لما يتحلى به من كريم الصفات وعظيم الملكات ، ولما تربطه بهم من وشائج النسب ووسائل القربى مع جليل المكانة والمنزلة عند الخاص والعام .

فلهذه العلاقات الوثيقة والوشائج العريقة التى تربط المرتضى بالخلفاء كان شديد الاتصال بهم ، يأنسون فى أغلب الأمور برأيه ، ويجمعون منه حافظ سرهم الأمين ، وشيهرهم الناصح ، وسفيرهم المصلح فى أكثر ملماتهم وعظائم أمورهم الى الملوك والوزراء ، وكافة عمال الدولة وطبقات الناس .

فلا غرابة أن تكون دار المرتضى الوزير^(٢) الفنيح والحصن الحصين يلجأ اليها الملوك والوزراء عندما تحروهم المحن ويحيق بهم الهلاك على أثر الفتن الحادثة فى ذلك العصر - وما أكثرها .

فيحدثنا التاريخ بنزول الملك جلال الدولة فى دار المرتضى - بدرب جميل - بعد أن تخيرت قلوب الجند عليه فشغبوا ونهبوا حتى اضطهر الملك الى نقل ولده وحرمه وما بقى من ثيابه وآلاته ودوابه وفروشه داره الى الجانب الغربى ليلا ، وذلك على اثر استوزار الوزير أبى القاسم (ابن ماكولا) ، ثم جرت مكاتبات بين المعسكر والخليفة فى شأنه وكان

(١) الديوان ترجمة الشريف ، المقدمة ص ٦١ .

(٢) الوزير (بفتحين) الملجأ .

الوسيط في عرض مطالب هؤلاء هو الشريف المرتضى وذلك في (سنة ٤٢٤) (١) .

كما نجد فتن الحيارين تشغل بال السلطان فيراسل المرتضى باحضارهم الى داره وأن يقول لهم :

من أراد منكم التوبة قبلت توبته وأقر في معيشته ، ومن أراد منكم خدمة السلطان استخدم مع صاحب البلد ، ومن أراد الانصراف عن البلد كان آمنا على نفسه ثلاثة أيام (٢) وذلك في سنة ٤٢٥ .

بدأ الشريف المرتضى يبرز للمجتمع الهخادى في حياة أبيه ((أبى أحمد)) اذ عين نائبا عنه في نقابة الطالبين ، والنظر في المظالم ، وإمارة الحج وهو فتى لم يتجاوز خمسة وعشرين عاما (٣) .

ومن الجدير بالملاحظة أن الشريف المرتضى لما جاوز حد شبابه أثر التحلم والعلم على أبهة المناصب ومغرياتهما . ولقد سبق وأوضحنا أن المرتضى عاش خمسين عاما من حياته منقطعا للدرس والتحصيل والالمام بأطراف العلوم من كل جانب ثم يلحق ويكمل تلامذته ، حتى لقد قال تلميذه أبو جعفر الطوسي : ((توحد المرتضى في علوم كثيرة ، مجع على فضله ، مقدم فى العلوم مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومعانى الشعر واللغة وغير ذلك ... وله من التصانيف ومسائل البلدان شئى كبير)) (٤) .

قال ابن خلكان أن ابن بسام قال عن الشريف المرتضى فى أواخر كتاب الذخيرة ((كان هذا الشريف امام أئمة العراق)) (٥) .

-
- (١) المنتظم لابن الجوزى : ج ٧ ص ٧٢ - ٧٤ .
(٢) المنتظم (ج ٨ ص ٧٩) . (٣) أدب المرتضى / عبدالرازق محو الدين
(٤) ياقوت : معجم الادباء (١٣ : ١٤٧) .
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان (٣ : ٣) .

عاش الشريف المرتضى هذه السنوات الخمسين مؤثرا مركزه العلمي والأدبي على المناصب ، فقد ترك منصب نقيب العلويين يتولاه أخوه السدي يصغره بسنوات أربع بعد وفاة أبيهما ، فانه لم تمض على وفاة الأب سنة ٤٠٠ هـ ثلاث سنوات حتى قلد الرضى فى سنة ٤٠٣ هـ هذه النقابة ببغداد وخلق عليه السواد - شعار العباسيين - ولما فارق الرضى الدنيا يوم الأحد السادس من المحرم سنة ٤٠٦ هـ عادت نقابة العلويين تطلب المرتضى الذى أعرض عنها من قبل ، وقلد فى اليوم الثالث من شهر صفر من تلك السنة أمر هذه النقابة والحج والمثالم وذلك فى عهد الخليفة القادر بالله (١) .

وعاد الشريف المرتضى يجمع الى وقار العلم كاستاذ له تقديره ومكانته وهيبته ، جلال الدين كنقيب دينى له تحظيمه ومهابته .

وعاش المرتضى ثلاثين عاما أخرى بعد أن ولى منصبه الدينى الرفيع يؤلف ويصلى ويحدث ويفتى حتى وفاته سنة ٤٣٦ هـ ببغداد .

ويمكننا الوقوف على مكانته ، بالرجوع الى شعره السياسى ، فقد كسان على وجه العموم يساند الدولة البويهية ، والخلافة العباسية القائمة تحست ظلمها ، ويتخذ لهذه المساندة مختلف المناسبات ، من اقامة خليفة عباسى أو تنصيب ملك بويهى أو زحف جيش على ثائر ، أو انتظار قائد فى موقفه ، وهو ما يبيديه من قدرة على تناول هذا الموضوع ، والاطالة فيه ، فهو حوى أن يكون شاعر السياسة البويهية فى العراق فى نهايات القرن الرابع وأوائل الخامس .

وقد كان حظ المرتضى من عمله السياسى موفورا ، بما أصاب من منزلة فى الدولة وما اجتمع لديه من ثراء كان يضرب الأمثال ، وكان يستأنس برأيه ، ويصفى

الى كلمته ، ولجأ اليه في جليل الأعمال والأمور وأدقها ، كلما ثارت ثائرة ،
أو قامت نائرة .

وليس الذي ذهبنا اليه من مقامه السياسى ، ومكانته فى ادارة الدفة
بالذى استقيناه من سيرته وحدها ، أو من تاريخ العصر الذى عاش فيه ، وانما
له شاهد فى شعره ، ومصدر من نصوص أدبه ، فقد تحدث عن عمله السياسى
ومكانته حديثا مطنبا ، فى قصيدة أشرنا الى بعض من أبياتها فيما سبق (١) :

خَلَّ عَنْهَا مَنِيحَةً لِلْكَأَمِ
وَأَسْلُ عَمَّا يُسِيلُ سَحْبَ الْمَالِ (٢)
وَتَعْلَمُ كُلُّ الذِّى أَنْتَ مُحْتَمِلَا
جُ إِلَيْهِ فِى هَذِهِ الْإِيَّامِ
أَيْنَ أَخْطَى صَوَابَهَا وَالتَّجَارِي
بُ جُشُومٌ خَلَقْنِي مِنْ قَدَامِي
بَيَانٍ يَسْرَى بِرَأْيٍ مُصِيبِ
كَالسَّرَى بِالصَّبَاحِ فِى الْإِظْلَامِ
خُلِقَ الْمَرْءُ نَاقِصًا وَهُوَ يَدْمِي
أَظْهَرَ الْحَيْسِ فِى ابْتِخَاءِ التَّمَامِ

وَمَعْنَى بَسَدٍ طُرُقِ الْمَنَائِمِ
وَهُوَ مُلَقَّبٌ عَلَى طَرِيقِ الْحِمَامِ

(١) الديوان رقم ٢

(٢) المنيحة : الناقة أو الشاة تعطىها غيرك يحتلبها ثم يردّها فهي
كالمارية .

قد مضى باطلاً واقتشع عني
وتجملت جهالتى وعـرامى (١)

* * *

فعدولي عن الهوى وصدوقى
وعكوفى على النهى ومقامى
وأطعمت النصح من بعد أن كنت
ست على النصح خالماً للجاسى
وتجافيت طائعاً مسرّحاً لله
سو وسجنى المنى وخبى اللثام
وأعدت العفاة بالجاه والمأ
ل يجرّون بُردة الانعام (٢)
وتعمّلت أنما زورة الا
مال فينا كزورة الاحلام
...

ومضى قائلاً :

ومقامى من الخلاف فى يو
م اجتماع الوفود خير مقام
ما لغيرى مثل الذى لى منهم
من صنوف الإغلام والأكرام
لم يزلوا ولن يزلوا مشيدي
من محلى ومجيزلى أقسامى

(١) العرام : الشدة والصرامة *

(٢) العفاة : جمع العافى وهو السائل وطالب المعروف *

وَمُهَيِّبِينَ بِي وَقَدْ غَنَّتِ الشُّيُورُ
 رَى إِلَى الرَّأْيِ فِي الْأَسُورِ الْجِسَامِ
 وَإِذَا مَا حَكَمْتُ فِي الْأَمْرِ سَدُّوا
 طُرُقَاتِ الْخُرُوجِ عَنْ أَحْكَامِي
 وَيَعَافُونَ كُلَّ وَرْدٍ بِهِ الرَّسَّ
 (١) نِي إِذَا كَانَ لَا يُبْلِ أَوَامِي
 وَيَرُدُّونَ سَرَحَهُمْ عَنْ جَمِيعِ الْـ
 (٢) قَاعِ مَا لَمْ يَكُنْ بِهِ أَنْعَامِي
 وَتَخْلِي أَكْفَهُمْ مُحَصَّدَاتِ الشَّـ
 سَرَّ مَا لَمْ يَكُنْ بِهِنَّ اعْتَصَامِي
 مَلَكُوا رِيقَتِي لِمَا سَيَّرُوهُ
 (٣) مِنْ لِصُوقِي بَوْدَهُمْ وَالتَّرَامِي
 فَلَهُمْ أَنْ غَفَوْتُ يَوْمًا عَنِ الذَّنْـ
 بِ وَمَنْ أَجْلَهُمْ يَكُونُ انْتِقَامِي
 وَالْيَهُمْ إِذَا تَحَيَّزَ أَقْبُوا
 مِ بَقِيومِ تَحْيِزِي وَانْضَامِي
 وَتَخَصَّصْتُ بِالْمُلُوكِ يَلْبَسُو
 نِ يَدَائِي وَيَسْمَعُونَ كَلَامِي
 وَإِذَا مَا نَمَسْتُ يَوْمًا عَلَيْهِمْ
 فِي عَظِيمٍ أَمْضَوْا هُنَاكَ نِمَامِي
 وَمَتْنِي أَغْلَلْتُ خُطُوبُ صَعَابُ
 أَوْ وَهَى لِلْمُلُوكِ يَلِكُ نَظَامِي

-
- (١) الْأَوَامُ : شدة العطش *
 (٢) السَّحْجُ : الحيوانات السارحة ، والقَاعُ : الأرض المستوية المظلمة ،
 الْأَنْعَامُ : البهائم *
 (٣) الرِّيقَةُ : الحلقة تربق أي تربط بها الشاة وغيرها ، وملك ريقته : من
 عليه وتفضل *

- جعلوني دليلهم في ضلال
موقد أو صباحهم في ظلام
كم كُفيت الكلام بالكلم الخ
(١) سرَّ وحد السيوف بالأقلام
قدر أوا يوم هيجوا ملك البص
سرة كفى له عن الإقدام
بعمد أن أزعج اللقاء وأهوى
(٢) لاقتناص الطلي هو القطامي
وتراءت للناس شنعاء صبا
تجوب الدجى بغير خطام
قلدوني إصلاحها ورموا بي
طلب السليم في صواب المرامي
فتلاقت درأها باعتدالي
(٣) ودعت اعوجاجها بدعامي
واعتدت الصفاء من بعد أن كا
ن مسوقا من قبضة المستام
كيف يخفى شأوى وقد ملك الفو
(٤) ت غشور الخطا قصير المرام

.....

- | | |
|-----|--|
| (١) | الكلم : الجرح |
| (٢) | الطلي : الرقاب مفردا الطلية ، والقطامي : الصقر |
| (٣) | الدر : الدفع |
| (٤) | الشأوى : الغاية |

وهكذا نراه يستعرض في قصيدته هذه جملة ماله من مزايا سياسية وينوه بمواقف لها شاهد معلوم من التاريخ ، كثرة البصرة .

ولقد حفل ديوانه بشعر سياسي كثير يدل على مكانته ، ومناصبه غير الرسمية ، ويظهر ذلك أشد الوضوح ما هنونه بكلمة (وقال في غرض) مخفيا غايته تحت هذه الكلمة البسيطة ، ولكن الغرض منها سياسي صريح حين يستطرد القارئ الى ما تحت العنوان ، فالقصيدة استنفار لحزائم آل بويه ودعوة لهم الى الصود الى دار ملكهم في بغداد ، وعرض لما آلت اليه الحالة فيها ، وما أصاب أنصارهم ، وأعدائهم من حيف على يد خصومهم (١) :

مطلع القصيدة :

أَمْنِكُ الشُّوقُ أَرْقِنِي فَهَاجَا

وقد جَزَعْتُ رَكَائِبُنَا النَّبَاجَا (٢)

...

ومنها قوله :

أَلَا قُلْ لِلْأَجَادِلِ مِنْ بُوَيْهِ

أَرَى أَوْدًا شَدِيدًا وَاعْوَجَاجَا (٣)

مُتَقَلَّةٌ كَزُودَا لَا تُرَادَى

وَدَاهِيَةٌ صَوْتًا لَا تُنَاجَى (٤)

دِيَارُكُمْ لَكُمْ قَوْلًا وَجَجَبِي

سَوَاكُمْ مِنْ جَوَانِبِهَا الْخَرَاجَا

(١) الديوان ج ١ ص ١٦٨ .

(٢) جزعت : قطعت ، والنباجا : قرية بالبادية .

(٣) الأجادل : الصقور ومفردا أجدل ، والأود (بالتحريك) : الاعوجاج .

(٤) الكؤود : الصعبة ، ولا ترادى : لا تصاب .

وفي أرجاء دجلة مؤيدات^(١)
وأدواء^(٢) تريد لها علاجاً^(٣)

ومنها قوله :

أرونا النصف فيمن جارد هراً
فإن بنا إلى الإنصاف حاجاً^(٤)
فإنكم الشفاء لكيل داء^(٥)
وبأبى كيكم إلا نضاجاً
وصونوا الدولة الفراء من
يداجى بالمداوة أو يداجى^(٦)
يرسم كصل زملة بطن وأد
فأما فرصة حاجته حاجاً^(٧)
ولا تنتظروا في الحرب منهم^(٨)
تماماً طالما نتجت خداجاً^(٩)

...

الْقَابِلَةُ :

اشتهر الشريف المرتضى بعدد من الألقاب التي عرف بها أو خلعت عليه ، فقد عرف صاحبنا بلقب السيد ، والشريف ، والمرضى ، وندى المجدين وعلم الهدى ، وأول من وسعه بهذا الاسم الأخير هو الوزير أبو سعد محمد ابن الحسين بن عبد الصمد سنة عشرين وأربعمائة وأسباب التسميات المذكورة في

-
- | | |
|-----|--------------------------------------|
| (١) | المؤيدات والأوايد : الدواهي . |
| (٢) | يبدو أن جاء مصحفة عن جارف في النسخ . |
| (٣) | يداجى : يدارى (٤) يرسم : يقيم . |
| (٥) | الخداج : الولادة قبل الأوان . |

کتاب التاريخ (١) .

ویکتی بآبی القاسم .

كما سمي بالثمانيني لأنه ألف ثمانين مؤلفا ، وعاش ثمانين عاما ،
وملك ثمانين قرية (١) .

* * *

(١) راجع روضات الجنات للخونساري (ص ٣٨٣) ط ايران .
(٢) أدب المرتضى ص ١١١ .

تالامذته :

ضرب الشريف المرتضى بسهم وافر في العلوم والآداب وسائر المعارف
الاسلامية المعروفة في ذلك العصر ، ولهذا لم يكن غريبا ان يصبح تالامذته
ومريدوه واولادهم ودرسه ، والمختلفون الى مجلسه ، والمستمعون اليه كثيرين ،
وأغلبهم علماء ، أفاضل خلفوا كتباً جلية رسائل نافعة لا يزال قسم منها باقيا
الى اليوم .

شيخ الطائفة الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠) :

هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن الطوسي ، الفقيه الأصولي والمحدث
الشهير صاحب كتابي " الاستبصار " و" التهذيب " وهما من الكتب الاربع
المعتبرة عند الشيعة الامامية في الأحاديث والأخبار ، وله أيضا كتاب
" الخلاف " في الفقه ، وله تفسير جليل للقرآن الكريم يسمى " التبيان " وله
في أصول الفقه كتاب " العدة " و" كتاب " الأمالي " في الأحاديث
والأخبار ، وكتاب " مصباح " الشهيد " في الأدعية والاذكار ، و" تلخيص
كتاب الشافعي " في الامامة لأستاذ المرتضى ، و " الفهرست " ففى
الرجال وهذه الكتب كلها مطبوعة ومنتشرة ، وله كثير غيرها في الفقه وغيره
كالعبسوط والنهاية والاختيار والجمال والمقود الى غير ذلك (١) .

كان خليفة أستاذ المرتضى في كل الفنون ، قدم العراق (سنة ٤٠٨)
أى بعد وفاة الشريف الرضى أخى الشريف المرتضى بسنتين ، وفق بهفداد
تتلمذ بها نحو من خمس سنين على الشيخ المفيد أستاذ المرتضى والرضى ،

ونحو من ثمان وعشرين سنة على الشريف المرتضى - منها خمس في حياة
المفيد - ومضى بعد السيد أربعاً وعشرين سنة .

وكان الشريف يجزى عليه أيام تلمذته في كل شهر اثني عشر ديناراً ،
وقام مقامه بعد وفاته في زعامة الامامية ، وأعطى كرسى الكلام في بغداد ولم
يعط الا للمتوحد من اعلام عصره ، وقد ألف برغبة من الشريف " الفهرست " ،
وشرح " جمل العلم والعمل " وهو شرح لمؤلف المرتضى " جمل العلم والعمل " ،
وجه " تلخيص الشافى " ، و " الشافى " من مؤلفات السيد .

أبو يعلى الديلمى (١) :

هو الشيخ الفقيه المتكلم أبو يعلى " سالار " بن عبد العزيز
الطبرستانى وسالار لقبه ، واسمه على ماورد في الروضات ، محمد بن حمزه
وفى الكنى والألقاب حمزة ، وسالار كلمة فارسية معناها الرئيس أوالمقدم ،
وكان ينوب في التدريس عن أستاذه المرتضى ، وكان مقدما في الفقه والأصول ،
والكلام والأدب .

له كتب منها : " المقنع في المذهب " و " التصريب في أصول الفقه "
" المرسوم في الفقه " و " الرد على أبى الحسن البصرى " في " نقض
الشافى " و " الشافى " للمرتضى و " تنمية الملخص " و " الملخص " للمرتضى .

(١) رضات الجنات (ص ٣٨٦) والكنى والألقاب (ج ٢ ص ٢١٣) .
ورجال ، أبى على حرف السين ط ايران ، والتعليق على منهج المقال
ص ١٦٦ ط ايران ، وأمل الآمل ص ٤٧٧ ط ايران .

أبو الصلاح الحلبي :

هو الشيخ تقى الدين بن النجم الحلبي خليفة المرتضى فى البلاد
الحلبيّة ومن كبار علماء الإمامية له كتاب " تقريب المعارف " و " البدايعة " و
" شرح الذخيرة " للسيد المرتضى و " الكافى " فى الفقه ، و " البرهان
على ثبوت الايمان " .

روى عن ابن البراج الآتى ذكره .

ابن البراج :

هو أبو القاسم السعيد عبد العزيز بن عبد العزيز بن البراج
مصرى الأصل والمنشأ ، كان وجها من وجوه الإمامية وقهائهم ، تولى القضاء
بطرابلس عشرين سنة ، وهو خليفة أستاذه المرتضى والطوسى فى البلاد
الشامية وقد قرأ عليهما ، له كتب فى الأصول والفروع منها : " شرح جمل
الحلم " والأصل للشريف المرتضى ، و " كتاب الجواهر " و " المعالم " و
" المنهاج " و " الكامل " و " المقرب " (١) . توفى سنة ٤٨١هـ ، وروى
عنه أبو الفتح الكراچكى ، وهو :

أبو الفتح الكراچكى :

هو الشيخ الامام العلامة محمد بن على أبو الفتح القاضى الكراچكى
عالم فاضل متكلم فقيه محدث ، ثقة جليل القدر ، توفى سنة ٤٤٩هـ ، قال
اليافعى : رأس الشيعة ، صاحب التصانيف ، كان نحوها لغويا منجما طبييا
متكلما من كبار أصحاب " المرتضى " عاش سائط فى أغلب أيامه ، الا أن

(١) روضات الجنات ج ٢ ص ٣٥٤ ط ايران . ومعالم العلماء لابن
شهر آشوب ص ٧١ ط النجفة ورجال أبى على باب عبد العزيز
ط ايران .

معظم توطئه في (القاهرة) • له كتب منها :

" التعجب من الامامة في أغلاط العامة " و " كتاب النوادر " و " كنز الفوائد " و " الاستظهار في النص على الأئمة الأطهار " و " الفارض في استخراج سهام الفرائض " وغيرها — وقد حفلت كتب الامامية بالنقل عنه (١) .

عماد الدين ذو الفقار :

هو السيد الامام عماد الدين ذو الفقار محمد بن معبد بن الحسن بن أبي جعفر الملقب بحميدان • كان فقيها عالما متكلما ورعا ، وقد عمر أكثر من مئة وخمس عشرة سنة ، وكان يروى عن المرتضى •

الدوريسـتى :

هو أبو عبد الله جعفر بن محمد بن أحمد بن العباس الرازي الدوريسـتى ، كان من أكابر علماء الامامية وشهورا في جميع النون ، قرأ على المفيد والمرتضى وله كتب منها " الكفاية " في العبادات ، وكتاب " يوم وليلة " ، وكتاب " الاعتقادات " وكتاب " الرد على الزيدية " وغيرها (٢) .

رشاه المرتضى بقصيدة عينية طويلة ومطلعها (٣) :

أَيْمَنْ أَجَلُ أَنْ أَعْطَاكَ دَهْرَكَ تَطْمِئِنُّ
وَأَمِنْ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ الْمَرْوُوعُ ؟

...

-
- (١) تاريخ الياقنى حوادث ٣٩٩ ، وروضات الجنات طائيران ص ٥٢٦ ، وأمل الآمل طائيران ص ٤٠٥ .
(٢) وروضات الجنات ج ١ ص ١٤٣ الى ١٤٥ .
(٣) الديوان ج ٢ ص ١٩٦ .

ومنها قوله :

ألا قل لنا عى جعفر بن محمد
 وأسمنى ياليت لم أك أسع
 فما لك منى اليوم إلا تلهف
 وألا زفير أو حنين مرجع
 والأعاض للأباهم من جوى
 وهل نافع أن أدميت لى أصبح^(١)
 ولو كانت الأقدار ترقى وقتك من
 نوب الردى أيدى طوال وأذرع^(٢)

...

ومنها أيضا :

وقالوا : عهدنا منك صبورا وحسبة
 وفى الرز لا يجرى لعينيك مدمع^(٣)
 فقلت مصيات الزمان كسيرة
 ومعض الرزايا فيه أدهى وأوجع
 ذكرتكم والعينان لا غرب فيهما
 ظم تبق لى لما ذكرتكم أدمع^(٤)
 وما زلت عن قلبى وإن زلت عن يدى
 وقد تنزع الأقدار مالى ينزع

-
- | | | | |
|-----|-----------|------------------------|---------|
| (١) | الأبهاه : | جمع الأبهاه ، والجوى : | الحزن . |
| (٢) | النوب : | جمع ناب . | |
| (٣) | حسبة : | أجوا وشوايا . | |
| (٤) | الغرب : | الدمع المنهمل . | |

- وَأَنْ غَبَتْ عَنْ عَيْنِي فَمَا غَبَتْ عَنْ حَشَى
 مَقْلَقَةٍ تَحْضُو عَلَيْكَ وَأَضْلَحُ (١)
 وما بعد يومٍ أَمْطَرْتِكَ مَدَامَ—
 لَمَعْنِي مَبْكِي أَوْ لِقَلْبِي مَجْزَعُ (٢)
 وَكَمْ قَلْبَتْ كَفَى مِنْ ذِي مِ—ودّة
 ظَمَّ يَلْقَنِي إِلَّا الْمَلُومُ الْمَقْرَعُ (٣)
 عَرَفُكَ لَمَّا أَنْ وَفَيْتَ مَا وَفَّ—وا
 وَحِينَ حَفَظْتَ الْعَهْدَ مِنْ ضِيَعُوا
 فَحَمَّ مَشِيرًا أَنْتَ وَالرَّأْيُ ضِيَعُ
 وَنَحَمَّ ظَهِيرًا أَنْتَ وَالْخَطْبُ أَشْنَعُ (٤)
 وَأَنْ غَاءَ بَعْدَ هُلَاكِكَ أَصْلَمُ
 وَأَنْ وَفَاءَ بَعْدَ قَدْحِكَ أَجْدَعُ (٥)
 وَلَيْسَ لِأَخْوَانِ الزَّمَانِ قَدْ سَقُوا
 فِرَاقَكَ صِرَاطًا مِنْ يَضُرُّ وَنَفَحُ
 عَهْدَتِكَ لَا تَعْنُو لِأَمْسٍ وَلَمْ تَبِ—ت
 وَخَدَّكَ مِنْ شَكْوَى الشَّدَائِدِ أَضْرَعُ (٦)
 وَعَزَّ عَلَى قَلْبِي بِأَنْبِكَ مَفْ—رد
 أَنَا جِهَكَ لَهْفًا نَائِمًا لَيْسَ تَسْمَعُ
 وَأَنْتَ مِنْ بَعْدِ امْتِنَاعٍ وَبِ—رّة
 نَحْطُ عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ وَتَرْفَعُ

...

-
- (١) أضلح معطوف على ضمير الرفع المستكن في (تحضو) .
 (٢) الجزع : الفزع . (٣) المقرع : الموثب .
 (٤) الظهير : المعين .
 (٥) الأصل : مقطوع الأذن ، والأجدع : مقطوع الأنف .
 (٦) تعنو : تخشع . والأضرع : الدليل .

التباني - ابن التبان :

هو أبو عبد الله بن التبان المتوفى سنة ٤١٦ على ما ذكره
ابن الجوزي في المنتظم في وفيات هذه السنة ، وجاء ذكره في كتاب الانتصار
للمرتضى (ص ٥) بكنية أبي عبد الله التباني ، ومن أجله ألف الشريف
المرتضى رسالة التبانيات .

وقد رثاه المرتضى بقصيدة قافية مطلعها :

أَرْقَ عَيْنِي طــــــــــــــــارِقُ
يَا لَيْتَهُ مَا طَرَقَا
...

ومنها قوله :

وَطَالَ هَمِّي وَهُوَ مَا
طَالَ عَلَى الشَّقَا
مَنْ نَبَا أُنْبَغَاهُ
وَدَدْتُ أَنْ لَا يَصْدُقَا
شَكْتُ فِيهِ خُدْعَةً
لَمْ هَجَّتْني أَوْ شَقَا
وَطَالَ شَكَّ أَمْرِهِ
فِي خُبْرٍ مَا تَحَقَّقَا
نَعَمْنَا إِلَى صَاحِبِنَا
مَوَاقِفَا مَوْقِفَا
يَخْلُصُ لِي حَيْثُ تَبَرَى
فِي كَيْلِ صَفْوِ رَنْقَا
ظَنَّ عَرَى خَطْبٍ رَدَى
فَدَى بِنَفْسِهِ وَوَقَى

أَوْ سَلَّ قَوْمٌ فِيَّ وَفِيَّ
 (١) عَنِّي غَضَبًا ذَلِيلًا
 وَإِنْ يَخُنْ قَوْمٌ وَفِيَّ
 أَوْ كَذِبُونِي صَدَقَا
 مَا كُنْتُ فِيهِ بِأَمْرِي
 أَخْجَلُ لِمَا وَثَقَا
 وَفَانِجٌ بِالْقَبُولِ إِذَا
 رَأَى مَقَامًا ضَيِّقًا
 وَدُونَنَا حَقْفٌ لَلْوَى
 يُفْقِي إِلَى دَعْوَى نَقَا (٢)
 فَإِنْ قَطَمْتُ أَبْرَقًا
 وَجَدْتُ دُونِي أَبْرَقًا (٣)
 قَدْ كُنْتُ فِينَا جَدًّا
 مُحَقَّقًا ، مَدْقًا
 مَا ظَنَنْتُكَ الْعَلِيمُ وَلَا
 ضَلَلْتُ فِيهِ الطُّرُقَا
 لَحَقْتُ مَا طَلَبْتَهُ
 كَمْ طَالِبٍ مَا لَحَقَا

-
- (١) الغضب : السيف ، والذلق : الحاد .
 (٢) الحقف : ما أعوج من الرمل ، واللوى : منحطف الوادي ، والدعوى : كتيب الرمل والنقا : مثله .
 (٣) الأبرق : الموضع فيه رمل وحجارة وطين .

مختتم قصيدته قائلا :
 فاذهب إلى القوم الألباني
 كنت بهم مستوثقا
 ورد ندى حوضهم
 في الحشر يوم المستقي
 ظمت مع جاههم
 عليك يوما مشقيا (١)

...

وله تاليفه كثيرون غير هؤلاء منهم (٢) :

- الشيخ أحمد بن الحسن النيسابوري • مؤدب ولد المرتضى •
- أبو الحسين الحاجب المعروف بابن أخت الأستاذ الفضل •
- السيد نجيب الدين أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن الموسوي •
- القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي •
- الشيخ المفيد الثاني أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين •
- الفقيه التقى بن أبي طاهر الهادي •
- محمد بن علي الحلواني •
- الفقيه أبو الفرج يعقوب بن إبراهيم البيهقي راوية ديوانه •

(١) الديوان ج ٢ ص ٣٣١ •
 (٢) مقدمة الديوان ص ١٠٩ •

غير أن الذى هو جدير بالملاحظة والاعتبار ، أن مجلس الشريف
أو مدرسته العلمية — بتعبير أصح — كانت جامعة انسانية تلم شتات كثير من
طلاب العلم ومريديه من مختلف المذاهب والنحل ، دون تفرقة بين ملة وملة
أو مذهب ومذهب . وقد مر ذكر قصة اليهودى الذى درس عليه علم الفلك،
وعلاقته الوثيقة بأبى اسحاق الصابى الكاتب المشهور .

وهكذا رأينا ان صلة السيد المرتضى بمجتمعه كانت متعددة الجوانب
ظه صلات وطيدة بالخلفاء والملوك والأمراء والوزراء والأعيان وذوى المناصب
المرموقة ، كما أن له كثير من الأصدقاء الذين ربطت بينه وبينهم روابط
المحبة والأخوة والصداقة والأدب ، وأيضا لاحظنا تعدد ما شغله من مناصب
وما لقب به من ألقاب . كما تتلمذ عليه العديد من أدباء عصره وكبار
المفكرين .

وقد ساعد على تعدد هذه الصلات ما كان يتحلى به المرتضى من
كريم الخصال وعظيم السجيا ، وما كان يتمتع به من شخصية قوية التى جلاها
ما كان يحظى به من صفات جسمية ونفسية واجتماعية ، فضلا عن ثقافته
الواسعة ، وعقيدته الواضحة الراسخة ، وتلمذه على كبار أساتذة عصره .

:: الفصل الثالث ::

—————

• آثـاره ومـصادر أدبيـه •

—————

عاش الشريف المرتضى فى تلك الحقبة من ذلك الزمن الزاهر ، الزاخر بالعلوم والمهارات والآداب . ومر أن الشريف بدأ مبكرا فى الدرس ، وأنه كان من نجباء التلاميذ ذكاء وبراعة وشغفا بالعلم .

إذا فقد اتاحت له هذه الأسباب أن يتعلم فنونا من الثقافة التى كانت فى عهده ، ومر أيضا ذكر أساتذته وأشياخه ومنازعهم ، وأنه وبخير كد نعلم نوع ثقافته ، وكان الشريف مشغوقا بالعلم ، منصرفا إليه بين دراسة وتدريس . قال الشريف المرتضى كان عالما واسع المعرفة ، غزير الاطلاع ، ملما بفنون جمة من الثقافة الاسلامية ، والمعرفة الانسانية فى عصر بلغت فيه الحضارة الاسلامية بشتى فروعها واقاينها مبلغا سليما من الرقى والازدهار ، وكان فقيه الامامية ومتكلما ومرجما فى ذلك العصر بعد وفاة أستاذه الجليل الفقيه المتكلم الشيخ الفيد ، أما فى الفقه والاصول ففى رسائله الوافية الوافرة ومسائله الجمة وكتابات النادرة خير مثال على ما نقول ، ولسنا بحاجة الى التدليل على شدة عارضته فى الشعر وأيضاً فى الأدب واللغة والتفسير والتراجم حيث أن كتابه الأمالى المسمى ((غرر الفوائد ودرر القلائد)) أسطح برهان على سعة معرفته فى هاتيك الفنون والآداب والمعارف .

كان الشريف المرتضى - رحمه الله - خليفة أستاذه العلامة الشيخ المفيد في علم الكلام والمناظرة ، وكان مجلسه كمجلس شيخه المفيد يحضره أقطاب العلماء من كافة المذاهب ، بل وسائر الملل .

وكان على علم بخريب اللغة ودرس علومها وعرف لسانها في مختلف ديارها ومواطنها ، وقد كان الشيخ عز الدين أحمد بن مقبل يقول (١) :

" لو حلف إنسان أن السيد المرتضى كان أعلم بالعربية من العرب لم يكن عندي أثما " .

هذا عدا إجادته الشعر وفرة إنتاجه وتنوع أغراضه قال فيه الحر العاملي صاحب امل الآمل على ما نقله عنه صاحب (روضات الجنات) ص ٣٨٨ :
((وقد رأيت نسخة من ديوان شعره قريء عليه ، وعليه خطه ، فكتبته بخطي نحو عشرة أيام ، وهو أقل من عشرة آلاف بيت وكأنه منتخب ديوانه)) إذ أن شعره على ما قيل يزيد على عشرين ألف بيت (٢) . وسوف نتضح مدى ثقافته عند التحدث في فصل لاحق عن مؤلفاته .

* * *

(١) الديوان ترجمة الشريف ص ٨١ .
(٢) الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي (ج ٢ ص ٤٣٩) ط المعارف ١٣٥٢ هـ

:: مؤلفاته الدينية ::

ولقد استعرضنا في الباب الأول الحالة الفكرية والحالة الأدبية في عصر صاحبنا ، وليس من شك في أن المرتضى قد تأثر بها — وأثر فيها — ، ولذا رأينا أن استعراضنا لمدى تأثره بالأحوال العلمية سيفيد في البحث قبل سرد مؤلفاته .

في تفسير القرآن :

جاء المرتضى ومدرستا تفسير القرآن (بالرواية والراى) واضحا المعالم قائما الأسس ، فدرس كلا منهما ، وانتفع بكل منهما ، وظهرت آثار الانتفاع فيما كتب من تفسير لآي القرآن الكريم في كتبه " الأمالى " و " المحكم والمتشابه " و " الشافى " ، ثم في كثير من أبواب كتبه الفقهية .

في الحديث النبوى :

أمد القرن الرابع الشريف المرتضى بما اكتمل من تدوين الحديث اماميا وغير امامى ، ووضح بين يديه هذه الثروة الضخمة ثم مكته من استعمال اداة الفحص — علم نقد الحديث — فظهرت آثار هذين في كتابيه " الانتصار " و " الناصريات " وظهرت آثار نقد الحديث أكثر وأبلغ فيما واجه به الحديث من نقد وفحص ، انتهى به الى رفض كثير من الأحاديث ، وخاصة ما ظهرت فيه روائح الغلو أو التشبيه أو الجبر كما انتهت به الى الطمس في أخبار الآحاد غير الموثقة ، بل الموثقة ، اذ أنها لم تصلح بنظره مصدرا للتشريع .

في الفقه الاسلامى :

جاء الشريف المرتضى فانتفع بما ألفه أعلام المذاهب الأربعة والميزهم في الفقه ، وما حدده القرن الرابع من وجوه الخلاف بين هذه

المذاهب ، ثم بما ألفه الامامية من كتب فقهية على النسق الاخبارى الأول ، واستعمل اجتهاده الشخصى فكتب وألف فى الفقه المقارن ، واجتهد بآراء خاصة ، تحفظها له حتى اليوم كتب الامامية فى الفقه ، ومن خير كتبها الدالة على سعة اطلاعه وأيضا اجتهاده كتاباه " الناصريات " و " الانتصار " قد ظهر فيهما مدى المامه بالمذاهب الفقهية الاسلامية ، شائعة وشاذة ومدى قدرته على استنباط الأحكام والاجتهاد فيها .

فى علم الكلام :

وقف المرتضى على أغلب كتب الكلام محتزلية وأشعرية وامامية فظهرت آثارها فى مؤلفاته " الضرر والدرر " و " الفصول المختارة " و " تنزيه الأنبياء " و " المحكم والمتشابه " و " الشافى " وفى جملة رسائله وخاصة رسالته الى (أبى عبد الله التبانى) . وبعد الامامية كتاب " الشافى " خير آثارهم الكلامية على الإطلاق .

وفىما يلى نتناول بعض مؤلفاته الدينية :

الانتصار :

طبع على الحجر بايران ضمن " الجوامع الفقهية " سنة ١٢٧٥ هـ . وطبع مستقلا على الحجر فى ايران أيضا سنة ١٣١٥ هـ .

وهو كتاب فى الفقه المقارن ، ضمنه ما انفرد به الامامية من مسائل فى الفقه . أو ما ظن انفرادها به .

والكتاب يشتمل على أكثر من ٣٢٦ مسألة .

الناصریات :

طبع فی ایران سنة ١٢٧٦ هـ ضمن كتاب (الجوامع الفقهية) ،
يشتمل على (٢٠٧) مسألة ، بين فقهية وعقائدية ، وهى شرح ونقد
وتسديد لفقه جده (الحسن الأطروش) ، صاحب الديلم وطبرستان .

الشافى فى الامامة :

فى مجلدين طبع فى ایران على الحجر سنة ١٣٠١ هـ . ألفه
المرتضى فى نقد كتاب " المغنى من الحجاج " للقاضى المتكلم المعتزلى
(عبد الجبار) وهو معاصر له .

و (عبد الجبار) يحتبى فى نظر المعتزلة ودارسى تاريخهم ، فى
ذروة الفكر المعتزلى ، والشريف (المرتضى) يحد فى نظر الامامية
وغيرهم سيد متكلى الامامية ، فى تاريخهم القديم والحديث فالصراع بين
الرجلين فى هذا الكتاب خير ما يصور طبيعة الكلام والجدل فى القرن الرابع .
ومعد الكتاب مفتاح المذهب الامامى ، وباب الدخول الى صميم عقائده .

انقاذ البشر من الجبر والقدر :

طبع فى النجف عام ١٩٣٥ م ، ولم يرد له ذكر فى اجازة البصوى
المجاز من قبل الشريف المرتضى برواية كتبه سنة ٤١٧ هـ ولكنه ورد فى
(معالم العلماء) (١) وهو رسالة كلامية صغيرة ، تتناول مسألة القضاء
والقدر ، بأسلوب خطابى بليغ مقتبسا للتدليل على رايه آيات كثيرة من
القرآن الكريم . فيها عرض سريع شامل لتاريخ هذه المسألة ، وموقف
الامامية منها .

(١) معالم العلماء لابن شهر اشوب ص ١٠١ ط النجف .

تنزيه الأنبياء :

طبع على الحجر في إيران في (١٨٩) صفحة ، والكتاب في موضوعاته يتصل بمسألة تمثل نقطة الخلاف الجوهرى بين الامامية والمعتزلة ، اذ أن الامامية يذهبون الى أن الأنبياء والأئمة لا يجوز عليهم شئ من المعاصى والذنوب كبير كان أم صغيرا ، لا قبل النبوة ولا بعدها ، والمعتزلة يحيلون على الأنبياء وقوع الكبائر والصغائر المستخفة ، قبل النبوة وفى حالهم ، ويجوزون أن يقع منها ما لا يستخف بهم من الصغائر فى الحالين .

الأصول الاعتقادية :

طبعت سنة ١٩٥٤ م ببغداد ، تحدث فيها المرتضى عن صفات الله ، والنبوة ، والامامة ، والبعث ، وصحة الوعد والوعيد ، والشفاعة ، وعذاب القبر وغناء العالم ، والميزان ، والصراط ، والجنة والنار .

أحكام أهل الآخرة :

رسالة صغيرة مخطوطة فى مسألة كلامية صرقة تدور حول آراء المتكلمين فى شأن أهل الآخرة من ثواب وعقاب ، طبع فى إيران سنة ١٣١٩ هـ على هامش كتاب " درر الفوائد " (٢) ولم يرد للرسالة ذكر فى اجازة البصرى .

المسائل الطرابلسية الثالثة :

رسالة مخطوطة تشتمل على ثلاث وعشرين مسألة وردت من الشيخ أبى الفضل ابراهيم بن الحسن الابانى عام ٤٢٧ هـ ، فأجاب عنها الشريف المرتضى ، ويبدو من روح الأمثلة أن سائلها امامى ، يود أن يوضح ما فى

(١) درر الفوائد ط إيران ص ٣٥٥ - ٣٦٣ .

(٢) درر الفوائد ط إيران ص ٣٥٥ - ٣٦٣ .

نفسه من مشاكل كلامية ، تتعلق بالمذهب ، مثل معنى كون الله مشركا
للأشياء ، ومعنى كون القرآن نزل جملة واحدة ، ومعنى حياة الشهداء بعد
الموت ، وأخبار الكهان ومدى صحتها (١) .

المسائل الرسمية الأولى :

رسالة مخطوطة تشتمل على ثمان وعشرين مسألة . سألها عنها
(أبو الحسين المحسن بن محمد بن الناصر الحسيني الرسى) ، وهى
تشتمل على مسائل فقهية وكلامية ، أحال فيها السيد على كتابيه " مسائل
فى أصول الفقه " و " المسائل المطلوبة " .

وترجع أهميتها الى أنها تؤرخ آخر فتاوى الشريف فى الفقه وآرائه
فى الكلام (٢) .

مسألة فى الاعتراض على من يثبت قدم الأجسام :

توجد ضمن مجموعة الشيخ أغا بزرك . وعدد صفحاتها اثنتان ،
وفيهما يحيل على كتابه (الطلخ فى الأصول) ، والرسالة فلسفية بحثية ،
ينص فيها السيد المرتضى على شطر من الفلاسفة القائلين بقدم العالم .

أبطال الحمل بخبر الآحاد :

وهى رسالة مهمة ، لأن فيها تعرضا لبعض رواة الحديث من
الامامية أمثال الطاطرى ، وابن ساعة ، وغيرهم من الفلاة والمجسمة
والخطابية والمشبهة والمجبرة ، وأحال فيها السيد المرتضى على المسائل
الطبية ، والتبانيات .

(١) أدب المرتضى ، ص ١٤٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٥ .

الذريعة :

كتاب في أصول الفقه مخطوط في (٣٠٠) صحيفة ، يشتمل على (١٤) بابا ، تحدث فيه عن الخطاب ، والأمر ، والنهي ، والعموم والخصوص ، والمجمل ، والمبين ، والنسخ ، والاجماع ، والقياس وغير ذلك من أصول الفقه في أبوابه .

وترجع أهمية الكتاب الى أمرين :

الأول : كون المؤلف حاول الفصل في مباحثه بين ما هو من أصول الفقه ، وبين ما هو من أصول الحقائق . وقد كانت أصول الفقه من قبل ذلك مزيجاً من الطرفين .

الثاني : أنه أول كتاب في أصول الفقه للإمامية ، فقد كانت لهم من قبل ذلك مسائل متفرقة تعتمد في مصادرها على أصول فقه السنة ، فهو بهذا يؤرخ مرحلة استقلال الإمامية في أصول الفقه .

العدد أو الرد على أصحاب العدد :

مسألة فقهية تتصل بتشريع الصيام وتحلقه بروؤية الهلال أو بأكمال المدة .

وهناك بعض المؤلفات الدينية الأخرى مثل :

- المسائل الطرابلسية الثانية .
- المسائل الرسمية الثانية .
- المسائل الموصلية .
- مسائل أهل مياطرقين .

- مجموعة المسائل المتفرقة • —
- مسألة في الحصمة • —
- كراس مشتمل على أربع مسائل :
- مقدمة في الأصول • —
- فيمن يتولى غسل الامام • —
- منع تفضيل الملائكة على الانبياء • —
- المسائل التبانينية • —

:: مؤلفاته الأدبية ::

١- الديوان :

وهو ديوان ضخم ، حتى أن المرء ليستغرب ويملكه العجب ، كيف نظمه الشريف المرتضى على تفوقه الطويل للتحلم والتعليم ، وأيضا على ما كتب وألف من كتب ورسائل دينية وثقافية متعددة ، أظن أن أبياته تزيد على " تسعة عشر ألف بيت " في أغراض شتى مثل : الحماسة والفخر ، والمدح والتهنئة ، والرثاء ، والتمزية ، والزهد ، والفزل ، والعتاب ، والشيب ، والوعظ والاعتبار .

ويبدو من كتب التراجم أن كثيرا من المؤلفين وقفوا على نسخ من ديوان المرتضى في عصور مختلفة .

قال الحر الماملى : وقد رأيت نسخة من ديوان شعره قرى عليه وعليه خطه ، فكتبته بخطى في نحو عشرة أيام . وهو أقل من عشرة آلاف بيت ، وكأنه منتخب ديوانه (١) .

وحين مات ، عني بجمع شعره وترتيبه جماعة من الأدباء والمهتمين بالشعر ، وهناك عدد من النسخ لديوان المرتضى (٢) :

١- النسخة الهندية :

وقد ذكر كل من الدكتور عبد الرزاق محيي الدين في كتابه أدب المرتضى (رشيد الصفار محقق ديوان المرتضى في ترجمته بمقدمة الديوان

(١) تذكرة المتبحرين ص ٤٨٦ - ٤٨٧ ط ايران ١٢٠٧ هـ ورياض العلماء مخطوط ص ٤٨٧ .

(٢) أدب المرتضى ص ١٥٤ - ١٥٧ ، ومقدمة الديوان ص ١٣٧ - ١٤١ .

أن لكل منهما نسخة سماها الأول نسخة " آل زوين " وسماها الثانى
النسخة الهندية ، لاحتمال كونها النسخة التى كانت موجودة عند السيد محمد
على داعى الاسلام ، أستاذ كلية النظام بحيدر آباد فى الهند .

وهى نسخة عتيقة ومنقولة عن نسخة عتيقة عليها خط الشريف المرتضى
باجازة روايتها لمن قرأها عليه وهذه صورتها :

" هذه صورة خط الشريف الأجل المرتضى ندى المجددين صاحب
الديوان على النسخة المنقولة عنها :

قرأ على القيه أبو الفرج يعقوب بن ابراهيم البيهقى - آدام الله
تعالى توفيقه - قطعة كبيرة من ديوان شعرى ، وأجزت له رواية جميعه
عنى ، فليرو كيف شاء . وكتب على بن الحسين بن موسى الموسوى بخطه فى
ندى القعدة من سنة ثلاث وأربعمائة " (١) .

والنسخة تضم جزأين من الديوان الأول والثانى ، وعدد صفحاتها
(٣٠٤) ، ولم يذكر على النسخة تاريخ خطها والمظنون أنها من مخطوطات
القرن التاسع الى العاشر .

٢- نسخة العلامة الشيبى :

وهى كالنسخة الأولى من حيث كونها تضم جزأين من الديوان قطعه
وقد كتبت بخط المرحوم العلامة الشاعر الشيخ محمد جواد - والد الشيبى -
وعلى حواشيتها تصحيحات بعض الكلمات .

(١) تذكرة النوادر ، طبع حيدر آباد (ص ١٣٠ سنة ١٣٥٠ هـ) .

وقد فرغ من كتابة الجزء الأول منها فى اليوم العاشر من شهر
رجب سنة (١٣٤٤ هـ) عن نسخة ذكر كاتبها أنها مستنسخة عن نسخة
مقروءة على السيد المرتضى وعليها خطه .

وفى من كتابة الجزء الثانى منها فى اليوم الثالث والعشرين من شهر
رجب من السنة نفسها ، وجاء فى آخرها ما هذه صورته :

تم والحمد لله الجزء الثانى من ديوان علم الهدى السيد المرتضى
— أعلى الله مقامه — فى اليوم الثالث والعشرين من شهر رجب المرجب
من شهور السنة الرابعة والأربعين بعد الثلاثمائة والألف الهجرية منقولاً عن
نسخة فرغ منها المستنسخ فى ذى القعدة سنة ثلاث وثمانين بعد الألف
وهى منقولة عن نسخة فى عهد السيد المرتضى ، وفى آخرها ما صورته :

(قرأ المجلد بتمامه على سيدنا الأجل الشريف المرتضى ذى المجددين
أبى القاسم بن الطاهر الأوحى ذى المناقب أبى أحمد — أدام الله أيامه)^(١)

٣ — نسخة الشيخ السماوى :

هو العلامة المرحوم الشيخ محمد طاهر السماوى النجفى ، ونسخته
أتم النسخ ومخطه وتحوى تمام الديوان ، وهو ستة أجزاء حسب تجزئته
الناظم ، وقد استنسخت بتواريخ مختلفة ، وقد استنسخها رشيد الصفار
بيده عام (١٣٦٨ هـ) أما أصلها فهو موجود بحيازة الدكتور عبد الرزاق
محيى الدين ببغداد ^(٢) ، وقد صورت هذه النسخة فوتوغرافياً فى دار الكتب
المصرية فى القاهرة تحت رقم : ٢٣٨٧٦ وتاريخ ١٩٥١ م .

(١) الديوان المقدمة ص ١٣٩ .

(٢) أدب المرتضى ص ١٥٥ .

٤ - نسخة الشيخ الجواهري :

نسخة الشيخ حسن بن الشيخ محسن الجواهري ، طلب منه الدكتور عبد الرزاق محيي الدين تحيين الوجه الذي كتب عليه نسخه فكتب له : (١)

في عام خمس وستين وثلاثمائة وألف ، أسعدنى القدر فى احدى سفراتى الى ايران بالعشور على مجلد ضخم جدا أسماه صاحبه بـ " مختار ديوان الشريف المرتضى علم الهدى ندى المجدين " فاستخرجتها من مالكةها وعدت بها الى النجف ، واجتمعت بأهل الفضل والأدب ، وطلب منى الشيخ السماوى أن يكمل كل منا نسخه على نسخة صاحبه .

٥ - ديوان الشريف المرتضى :

وهو الديوان الذى اعتمدنا عليه فى اختيار القصائد والتحليق عليها حقه ورتب قوافيه وفسر الفاظه (رشيد الصفار) المحامى ، وراجعه وترجم أعيانه الدكتور مصطفى جواد ، وقدم له الأستاذ الشيخ محمد رضا الشيبى وقد طبع بدار أحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبي وشركاه بالقاهرة سنة ١٩٥٨ م . ويبدو ان محقق الديوان قد استظاف من النسخ المختلفة لديوان المرتضى على مر العصور .

٦ - شرح قصيدة السيد الحميرى :

طبع فى القاهرة سنة ١٣١٣ هـ ضمن مجموعة رسائل فارسية وعربية . والقصيدة فى مدح الامام على ، باثية الروى مستهلها :

هلا وقفت على المكان المشعب

بين الطولح فاللوى من كهكب

شرحها الشريف لولده ، اذ ان شعر (السيد الحميرى) من مناهج
الدراسة لأطفال الشيعة ، وفي مقدمة ما يحفظه الامامية من أصول الأدب .

وفي الشرح عرض لسيرة الامام (على) فضائله ومواقفه ، وشرح
لغوى وأدبى لمفردات القصيدة ومعانيها الى استطراد لقضايا أدبية
وتاريخية .

٣ - الأمالى (الخمر والدرر) :

تكاد تجمع على ذكره الفهارس القديمة باسم (الخمر والدرر) أما
الفهارس المحدثه فأسمته " أمالى المرتضى " .

وأقدم من نوه بالوقوف على نسخ متعددة منه ووصفها صاحب رياض
العلماء من رجال القرن الحادى عشر أو الثانى عشر - فقد قال : أنه
رأى نسخة منه فى بلدة (أردبيل) يرجع تاريخ نسخها الى عام ٥٤٥ هـ^(١)
وقال مرة أخرى : أن لكتاب الخمر والدرر نسخا أخرى لها الحاقات جليمة
الفوائد وأنه رأى نسخة منها فى بلدة (أيروان) تشتمل على تلك الزيادات^(٢)
وقال ثالثه : وهناك تعليقات على الكتاب للسيد ضياء الدين أبى الرضا
فضل الله الراوندى شاهدها^(٣) .

(١) رياض العلماء مخطوط ص ٤٤٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٨٢ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٦ .

وذكر مرة رابعة أنه شاهد نسخة من كتاب الفرر يرويه السيد فضل الله الراوندى عن أستاذه نجم الدين حمزة بن الأغفر عن القاضي أبى المعالى ابن قدامة عن السيد المرتضى (١) .

طبع الكتاب باسم (درر القلائد وفرر النوائد) مع تكملة فى طهران سنة ١٢٧٣ هـ ، وطبع دون التكملة باسم " أمالى المرتضى " بمصر فى مطبعة السعادة سنة ١٣٢٥ هـ وعليه شروح وتعليقات للسيد (محمد بدر الدين النمسانى الحلبى) والسيد (أحمد أمين الشنقيطى) . كما طبع بمصر محققا منقحا على خمس نسخ من قبل الأستاذ محمد أبى الفضل ابراهيم ، والأصول التى رجع إليها موصوفة فى مقدمة الكتاب .

وهناك شرح معاصر لأمالى المرتضى باسم كتاب (الفوائد الغوالي) فى شرح شواهد الأمالى ، للعلامة الجليل الشيخ محسن بن الشيخ شريف الجواهرى النجفى المتوفى سنة ١٣٥٥ هـ . وهو كتاب ضخم يقع فى أربع مجلدات كبيرة تتجاوز ألف ورقة .

أما الشئ الذى لا يزال غير محقق فى أمر الكتاب فهو ، أكان الأمالى من تأليف المرتضى وجمعه ، أم كان بإملائه وجمع أحمد تلاميذه ، فان يكن الأمر الثانى ، فمن هو ذلك التلميذ من بين تلاميذه ؟ .

والذى نراه وظهر لنا من أسلوب الكتاب أنه من تأليف الشريف المرتضى وجمعه ، فالأسلوب واحد متناسق ، وليس لتلاميذه الا فضل الرواية عنه والقراءة عليه ، والا لاختلف أسلوب التأليف بما يدخل عليه من صيغ

(١) المصدر السابق ص ١٩٠ .

الملى عليهم مع اختلافهم ، أما ما يوجد أحيانا من عبارات تنوّه بمدح الشريفه
أو داعية له بطول البقاء ، فمعتقد أنها من عمل طلابه يدخلونها على
النص فى مطلع كل بحث ، يكون من قول السيد لا من روايته ، وللتفريق بين
ما يقوله من عنده وما يرويه عن غيره .

ومعتبر الكتاب مفتاح شخصية الشريف المرتضى فى التفسير والنقد
ومصدرا فيما للاستعانة بتحقيق بعض النصوص الشعرية . وأكثر ما رواه فى
الكتاب روى أيضا كثيرا عن على بن محمد الكاتب وأبى القاسم عبيد الله
بن عثمان بن جنيقا الدقاق .

٤ - الشهاب فى الشيب والشباب :

ألفه الشريف المرتضى سنة ٤١٩ هـ (١) وجمع فيه خير ما قيل فى
الشيب والشباب ، موازنا بأسلوبه الرقيق القوى بين المحامى وناقدا لها .
عرض فيه من شعر ابن الرومى ٤٦ بيتا ومن شعر أبى تمام ٣٩ بيتا
ومن شعر أبى عبادة البحتري ١٤٠ بيتا (٢) وكثيرا من شعر أخيه الشريف
الرضى ، وكان آخر ما أورده من شعره الذى نظمه سنة ٣٢١ هـ .

ورد فيه ذكر كتابه (الغرر والدرر) كثيرا ، وهو من خير المصادر
التي يمكن أن يقابل بها بعض شعره ، وشعر أخيه من أجمل
تحقيقهما .

(١) الشهاب ط الجوائب ص ٣ .

(٢) راجع ما كتب على النسخة المطبوعة .

يضاف اليه أنه يصح لنا أن نعتد عليه في الوقوف على أساليب
النقد في ذلك العصر ، وطريقة السيد في النقد .

٥ - طيف الخيال :

من آثار المرتضى التي شهدت به أكثر الفهارس ، ألفه المرتضى بعد
تأليف كتاب (الشهاب) ^(١) ، كما يظهر في مقدمة الكتاب ، وهو يجرى على
غرار الشهاب في المرض والموازنة والنقد للآمدى . جمع فيه من شعر
أبي تمام في موضوع الخليف نيفا وعشرين ومائتي بيت ^(٢) ، ومن شعر أخيه
الرضى ما يقرب من ذلك ، وكثيرا من شعر البحتري ، ومن شعره خاصة
٣٢٥ بيتا . ومن شعراء آخرين جاء على شعرهم في عرض الموازنة ،
ونتبع أبيات المعانى .

ونتفع بالكتاب في كل ما نوهت به من الانتطاع بكتاب " الشهاب " .

(١) طيف الخيال ص ١٣ ط مصر .

(٢) المصدر السابق ص ١٥ .

" فهرست كتبه "

—————

رأينا اتحاما للفائدة ايراد مؤلفات الشريف المرتضى وفهرست كتبه
بمختلف اتجاهاتها ومناحيها الدينية والأدبية والثقافية (١) :

- ١ — " ابطال القياس " ، ذكره الذهبي في سير النبلاء .
- ٢ — " الانتصار " ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب ، وسميائه
الانفرادات في الفقه ، وطبع ضمن الجوامع الفقهية لمحمد باقر
بطهران سنة ١٢٧٦ هـ وطبع منفردا سنة ١٣١٥ هـ .
- ٣ — " انقاذ البشر من القضاء والقدر " (٢) ، ذكره ابن شهر آشوب ،
وطبع في النجف سنة ١٩٣٥ م وطهران سنة ١٣٥٠ هـ .
- ٤ — " البرق " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب ، وسميائه
" المرموق في أوصاف البروق " .

(١) اعتمدنا على ذكر مؤلفات الشريف المرتضى أولا على ما كتبه الأستاذ
المحقق محمد أبو الفضل ابراهيم في مقدمة كتاب أمالي المرتضى الذي
حققه وطبعه في مطبعة الحلبي بمصر سنة ١٣٧٣ هـ ، والمؤلفات
مذكورة فيه حسب الهجاء — كما نرى — ثانيا : اجازة المرتضى
لتلميذه أبي الحسن محمد بن محمد البصري على الفهرست ،
وما وجد بخط المرتضى ما يلي : " قد أجزت لأبي الحسن محمد
بن محمد بن البصري — أحسن الله توفيقه — جميع كتبي وتصانيفي
وأمالي ونظمي ونثري ما ذكر منه في هذه الأوراق وما لعله يتجدد
بعد ذلك وكتب على بن الحسين الموسوي في شعبان من سنة
سبع عشرة وأربعمائة " وذكرت هذه الاجازة برياض العلماء ، مخطوط
ص ٤٨٠ — ٤٨٢ .

(٢) كذا في مقدمة الأمالي ، وعنوانه في صدر طبعة النجف " انقاذ البشر
من الجبر والقدر " ، وعنوانه في روضات الجنات " ايقاظ البشر
في القضاء والقدر " .

- ٥ - " تتبح الأبيات التي تكلم عليها ابن جنى في اثبات المعاني للمتنبى ، ذكره أبو جعفر الطوسي - وابن شهر آشوب .
- ٦ - " تنمة أنواع الأعراض من جمع أبي رشيد النيسابوري " ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ٧ - " تفسير الخطبة الشقشقية " ، نقله صاحب روضات الجنات عن كتاب رياض العلماء .
- ٨ - " تفسير قصيدة السيد الحميري " ، المحروقة بالقصيدة المذهبية ، وهي القصيدة البائية في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وتبلغ ١٧ بيتا ، مطلعها :
- هلا وقفت على المكان المشيب
بين الطولج ظللوى من ككب
- ذكرها أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن شهر آشوب ، وطبعت مع الشرح بمصر سنة ١٣١٣ هـ ، بعنوان " القصيدة الذهبية " .
- ٩ - " تفسير قوله تعالى : " ليس على الذين آمنوا . . . " ذكره النجاشي (١)
- ١٠ - " تفسير قوله تعالى : " قل تعالوا أتل ما حرم ربكم " ، ذكره النجاشي (٢) .
- ١١ - " تفسير سورة الحمد وقطعة من سورة البقرة " ، ذكره النجاشي (٣) .

(١) ورد هذا التفسير في تكملة أمالي المرتضى ج ٢ ص ٤١٦ طبعة دار احياء الكتب العربية : عيسى بابي الحلبي .

(٢) ورد هذا التفسير في تكملة أمالي المرتضى ج ٢ ص ٣٥٤ - ٣٥٧ .

(٣) في فهرست كتب المرتضى بخط تلميذه " تفسير سورة الحمد ومائة وخمس وعشرين آية من سورة البقرة " .

- ١٢- " تفسير الأصول " ، ذكره النجاشي .
- ١٣- " تكملة الفرر والدرر " ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ١٤- " تنزيه الأنبياء " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب ، وطبع بالمطبعة الحيدرية في النجف سنة ١٣٥٢ هـ .
- ١٥- " جمل العلم والعمل " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي وابن شهر آشوب .
- ١٦- " جواب الملحدة في قدم العالم من أقوال المنجمين " ، ذكره ابن شهر آشوب^(١) .
- ١٧- " الحدود والحقائق " ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ١٨- " الخطبة المقصدة " ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ١٩- " الخلاف في أصول الفقه " ، ذكره النجاشي وابن شهر آشوب .
- ٢٠- " ديوان شعره " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب ، وذكر المستشرق بروكمان أن منه نسخة خطية في مكتبة المشهد ، ولم يعثر عليها رشيد الصغار في المكتبة المذكورة ، ولعل المستشرق توهم أن الديوان المرتضوي المنسوب للمرتضى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب هو ديوان الشريف المرتضى .
- ٢١- " الذخيرة في الأصول " ، ذكره النجاشي ، وأبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٢٢- " الذريعة في أصول الفقه " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي وابن شهر آشوب .
- ٢٣- " الرد على يحيى بن عدي في اعتراض دليل الموحد في حدوث الاجسام " ذكره النجاشي وابن شهر آشوب .

(١) في رياض الجنات (٣٧٧) : (جواب الملاحدة في قدم العالم في أفعال المنجمين) .

- ٢٤- " الرد على يحيى بن عدى فى مسألة سماها طبيعة المسلمين " ، ذكره النجاشى .
- ٢٥- " الرسالة الباهرة فى العترة الطاهرة " ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ٢٦- " رسالة فى المحكم والمتشابه " ، منقول من تفسير النعمانى ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ٢٧- " الشافى فى الامامة والنقض على كتاب المغنى (الكافى) للقاضى . . .
- عهد الجيار بن أحمد " ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، قال : " انه لم يولى مثله فى الامامة " ، وذكره أيضا النجاشى ، وابن شهر آشوب وقد اختصره أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى " تلميذ المرتضى صاحب الفهرست المذكور " والمعروف هنا بالطوسى المتوفى سنة ٤٦٠ هـ ، وطبع الكتاب والمختصر فى ايران فى جزأين بمجلد واحد .
- ٢٨- " شرح مسائل الخلاف " ، ذكره النجاشى .
- ٢٩- " الشهاب فى الشيب والشباب " ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وطبع بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ هـ .
- ٣٠- " طيف الخيال " ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب ، ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم ١٥٣١٣ ، عن النسخة المحفوظة بمكتبة الاسكوريال .
- ٣١- " غرر الفوائد ودرر القلائد " ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى وابن شهر آشوب ، وقد اختصره عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم العلائقى وسماه " غرر الدرر ودرر الدرر " ، وأكمل هذا المختصر فى سنة ٧٦٦ ومنه نسخة خطية فى مكتبة طهران .
- ٣٢- " الفرائض فى نصر الرواية ^(١) وإبطال القول بالعدد " ، ذكره ابن شهر آشوب .

(١) كذا وردت ولعلها " فى قصر الرواية " كما جاء فى رياض الجنات ص ٣٨٥ .

- ٣٣- " الكلام على من تعلق بقوله " ولقد كرمتنا بنى آدم " ، ذكره النجاشى .
- ٣٥- " ما تفرد به الامامية " ، ذكره النجاشى وابن شهر آشوب .
- ٣٦- " مسائل آيات " ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب .
- ٣٧- " مسائل أهل مصر الأولى والأخيرة " ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى .
- ٣٨- " مسائل البدریات " ، ذكره النجاشى (١) .
- ٣٩- " المسائل التبتانيات " ، ذكره النجاشى ، وابن شهر آشوب .
- ٤٠- " المسائل الجرجانية " ، ذكره الطوسى ، وابن شهر آشوب .
- ٤١- " المسائل الحابية الأولى والأخيرة " ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب .
- ٤٢- " مسائل الخلاف فى الفقه " ، يتبعه ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب ، وذكر بروكلمان أن منه نسخة فى مكتبة مشهد ضمن مجموعة .
- ٤٣- " المسائل الرازية " ١٤ مسألة " ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ٤٤- " المسائل الرمليات " ، ذكره النجاشى .
- ٤٥- " المسائل السالرية " ، ذكره ابن شهر آشوب ، وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة فى مكتبة مشهد ضمن مجموعة " والسالرية نسبة الى تلميذه سالار .
- ٤٦- " المسائل الصيدائية " ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب .

(١) لحملها البادرائيات نسبة الى بادرايا أى بادرة الحالية ، أو الى بادوريا وهى من كورة نهر عيسى بن على بالجانب الشرقى من بغداد .

- ٤٧ — " المسائل الطبرية " ، ذكر بروكلمان أن منه نسخة في مكتبة
مشهد ، وذكره أيضا الكتوري في كشف الحجب .
- ٤٨ — " المسائل الطرابلسية الأولى والأخيرة " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ،
وابن شهر آشوب .
- ٤٩ — (المسائل الطوسية) ، لم يتم ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر
آشوب .
- ٥٠ — " المسائل المصديات " ، ذكره النجاشي .
- ٥١ — " مسائل مفردات في أصول الفقه " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ،
وابن شهر آشوب .
- ٥٢ — " مسائل مفردات " ، نحو مائة مسألة في فروع شتى ، ذكره أبو جعفر
الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٥٣ — " المسائل الموصلية الثلاثة " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ،
وابن شهر آشوب ، وذكر بروكلمان أن منها نسخة مخطوطة في مكتبة
مشهد ضمن مجموعة .
- ٥٤ — " مسائل ميافارقين " ، ذكره ابن شهر آشوب ، وذكر بروكلمان أن منه
نسخة مخطوطة في النجف في مكتبة خاصة ، وأخرى في مكتبة خاصة ،
وأخرى في مكتبة مشهد ضمن مجموعة .
- ٥٥ — " المسائل الناصرية في الفقه " ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن
شهر آشوب . وقد طبع هذا الكتاب مع كتاب الجوامع القهية
لمحمد باقر في طهران سنة ١٢٧٦ هـ .
- ٥٦ — " مسألة في الإرادة " ، ذكره النجاشي .
- ٥٧ — " مسألة في دليل الخطاب " ، ذكره النجاشي .
- ٥٨ — " مسألة في التأكيد " ، ذكره النجاشي .
- ٥٩ — " مسألة في التوبة " ، ذكره النجاشي .

- ٦٠ — "مسألة في قتل السلطان" ، ذكره النجاشي .
- ٦١ — "مسألة في كونه تعالى عالما" ، ذكره النجاشي .
- ٦٢ — "مسألة في المتعة" ، ذكره النجاشي .
- ٦٣ — "المصباح في أصول الفقه" ، لم يتمه ، ذكره أبو جعفر الطوسي ،
والنجاشي ، وابن شهر آشوب .
- ٦٤ — "المفتح في النخبة" ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن
شهر آشوب .
- ٦٥ — "الملخص في الأصول" ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ،
وابن شهر آشوب .
- ٦٦ — "المنع من تفضيل الملائكة على الأنبياء" ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ٦٧ — "الموضح عن اعجاز القرآن" ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ،
وسمياه "كتاب الصرقة" ، وذكره أيضا ابن شهر آشوب .
- ٦٨ — "نقض الرواية وإبطال القول بالعدد" ، ذكره أبو جعفر الطوسي ،
وذكره أيضا ابن شهر آشوب ، وسماه "مختصر الفرائض في قصر
الرواية وإبطال القول بالعدد" ، وذكر بروكلمان أن منه نسخة
مخطوطة في مكتبة مشهد "ضمن مجموعة" .
- ٦٩ — "النقض على ابن جني في الحكاية والمحكي" ، ذكره أبو جعفر
الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٧٠ — "نكاح أمير المؤمنين ابنته من عمر" ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ٧١ — "الوعيد" ، ذكره النجاشي .



ومن مراجعة هذا الثبت العظيم ، نستطيع أن نخلص إلى أن السيد المرتضى كان منوع الثقافة والمعارف ملما بأبعادها ، إذ بين موضوعاتها الفقه والتفسير ، والكلام ، والفلسفة الإلهية ، وعلم الظنك ، والنقد ، والأدب في انشاء أو رواية .

وطابع أسلوب مؤلفاته العام هو الجدية ، وقوة الجدل المخلص ، والرقّة كل حسب موضعه وموضوعه . فهو إذا تحدث عن الآراء الفقهية ، أو المذاهب الكلامية ، تستشعر منه أنه طالب للحقيقة يسعى إليها بعمق وأصالة في البحث العلمي ، ليس من قصده الجدل لنفسه ، ولا الخصوصية لنفسها شأن ما يفعله كثير من المتكلمين أصحاب الجدل والنظر ، أمثال " الجاحظ " و " ابن الراوندي " و " أبي حيان التوحيدي " وغيرهم ممن قد يجد في محور حوك الآراء ، وتقرير النحل متعة وغرضا ذاتيا .

ومن حيث التقدير في الأشياء وجدنا المرتضى مقتصدا حتى فسى الأحكام الأدبية لا يغلو في تقدير الأمور ، ولا في استصدار الأحكام ، شأن ما فعله الثعالبي في (يتيمة) ، و " ابن بسام " في ذخيرته ، عندما عرضا لترجمة الأدباء ، وإنما هو مستشعر مسؤوليته في أحكامه أمام الله الناس .

ومن حيث الأداء هو عيال إلى مواجهة المشكلة رأسا ، ومن غير تمهيد لها ، أو خروج عنها لسواها ، وإذا استطرد مازجا بين مسألة وأخرى ، أو فن وغيره فانه لا يبعد عن الغرض الا ليتقرب منه بوسائل من التوضيح والتمثيل فإذا استوفى ذلك عاد للمشكلة ذاتها .

وأما عن أسلوبه في بحثه فيما يتعلق ويتصل بأدب اللغة اتصالا غير مباشر فيمكننا تقسيمه إلى قسمين :

قسم محمد به الى الدفاع عن فكرة مذهبية ، أو الحمل على طرح عقيدة كالمية ، وعندها يعنى بصوغ العبارة وتحجيرها ، أو الاستطراد الى نظائرها من اللغة لتعزيزها وتبريرها ، وذلك ملاحظناه من الكلام والتفسير والحديث •

وقسم يبنى منه مجرد البحث ، وولوج الحقائق العلمية ، مخاطبا بها المتخصصين بموضوعه ، فهو يسلك اليه الأسلوب العلمى المقتصد ، وذلك ما لاحظناه فى مباحثه فى الفقه وأصوله •

وكان المرتضى من خيرة الأدباء الوصفيين ، تناول بالنقد كثيرا من الشعر والنثر ، وحكم فى آثار عدد غير قليل من الشعراء والنثرين •

أما عن شعره ، وشاعريته ، وآراءه بحض النقد فيه ، فهو ما سوف نتناوله فى الفصل القادم •

كتاب نهج البلاغة :

هو كتاب عظيم له شهرة لدى الشرق والغرب ، وهو مجموع ما اختاره الشريف من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وطيب ثراه في الخطابة والسياسة والوعظ وفي رسائله ، وفي اختيار الشريف هذا أكبر دليل على بلاغته وبلوغه فيه محلا لم يبلغه المؤلفون في فن البلاغة .

وشمة قضية تبرز لنا عند ذكر نهج البلاغة ، فمن قائل أنه ليس لعلي كرم الله وجهه ، وقول آخر أنه من وضع الشريف الرضي^(١) ، وقول ثالث أنه للمرئض لكثرة إشارته إليه في كتبه^(٢) والنقاش في هذه الناحية مشتهر معروف وأهمها ما في مقدمة ابن أبي الحديد على شرح النهج .

المعاشي

(١) مقدمة الحلي ج ١ ص ٧٢ .

(٢) بروكلمان ج ٢ ص ٣٥٩ .

«الباب الثاني»

نزهة اللادولي

الفصل الأول: موضوعات نزهة

الفصل الثاني: خصائص نزهة الفقيه

١٨٧

(رَدُّهُ مَوْلَانِي) !!

ثالثا

١٨٨

نَرَاهُ فِي غَيْرِ الْمَوْضُوعَاتِ الْأَرْبَعَةِ

كُم يَقُولُ (وَالْحَقُّ الْأَرْبَعَةُ حُدُودٌ)

غَيْرَ مَا أَشْرَكَ بِهِ الْأَرْبَعَةُ الْأَرْبَعَةُ

كَيْفَ تَجْعَلُ الْأَرْبَعَةَ بَعْدَ الْكَلِمَةِ

عَنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ؟

كأنه يحب حبس من قبل
لنقدته، لأنه فطيم وانكرته
وفا استتره نقد
.....

.....
فلم يتركها من سره
والسباغل في المعالي
لم تذكره في الشعر
يل ذلك رأى له في الشعر
.....

في كتابك عن نوره الحزير
عما كتبه غير الزماني لديه
وقد اعترفت بذلك فيه يقول
من آله الآخر: وثمة توافق
غير الزماني في كتابنا

١٩٦٦
ر. هـ
١٩٦٨
وفي ص ١٩٦٨
ر. هـ

• • •

وَأَنزَلْنَاكَ فِي أَرْضٍ نَجْعَلُ لَكَ فِيهَا رِزْقًا

مِنْ شَيْءٍ نَجْعَلُ لَكَ فِيهَا رِزْقًا

مِنْ شَيْءٍ نَجْعَلُ لَكَ فِيهَا رِزْقًا

وَأَنزَلْنَاكَ فِي أَرْضٍ نَجْعَلُ لَكَ فِيهَا رِزْقًا

وَأَنزَلْنَاكَ فِي أَرْضٍ نَجْعَلُ لَكَ فِيهَا رِزْقًا

وَأَنزَلْنَاكَ فِي أَرْضٍ نَجْعَلُ لَكَ فِيهَا رِزْقًا

Handwritten text in Arabic script, including the word "الله" (Allah) and "محمد" (Muhammad).

Handwritten text in Arabic script, including the word "الله" (Allah) and "محمد" (Muhammad).

Handwritten text in Arabic script, including the word "الله" (Allah) and "محمد" (Muhammad).

Handwritten text in Arabic script, including the word "الله" (Allah) and "محمد" (Muhammad).

Handwritten text in Arabic script, including the word "الله" (Allah) and "محمد" (Muhammad).

Handwritten text in Arabic script, including the word "الله" (Allah) and "محمد" (Muhammad).

1. $\frac{1}{2} \times \frac{1}{2} = \frac{1}{4}$
 2. $\frac{1}{3} \times \frac{1}{3} = \frac{1}{9}$
 3. $\frac{1}{4} \times \frac{1}{4} = \frac{1}{16}$
 4. $\frac{1}{5} \times \frac{1}{5} = \frac{1}{25}$
 5. $\frac{1}{6} \times \frac{1}{6} = \frac{1}{36}$
 6. $\frac{1}{7} \times \frac{1}{7} = \frac{1}{49}$
 7. $\frac{1}{8} \times \frac{1}{8} = \frac{1}{64}$
 8. $\frac{1}{9} \times \frac{1}{9} = \frac{1}{81}$
 9. $\frac{1}{10} \times \frac{1}{10} = \frac{1}{100}$
 10. $\frac{1}{11} \times \frac{1}{11} = \frac{1}{121}$
 11. $\frac{1}{12} \times \frac{1}{12} = \frac{1}{144}$
 12. $\frac{1}{13} \times \frac{1}{13} = \frac{1}{169}$
 13. $\frac{1}{14} \times \frac{1}{14} = \frac{1}{196}$
 14. $\frac{1}{15} \times \frac{1}{15} = \frac{1}{225}$
 15. $\frac{1}{16} \times \frac{1}{16} = \frac{1}{256}$
 16. $\frac{1}{17} \times \frac{1}{17} = \frac{1}{289}$
 17. $\frac{1}{18} \times \frac{1}{18} = \frac{1}{324}$
 18. $\frac{1}{19} \times \frac{1}{19} = \frac{1}{361}$
 19. $\frac{1}{20} \times \frac{1}{20} = \frac{1}{400}$
 20. $\frac{1}{21} \times \frac{1}{21} = \frac{1}{441}$
 21. $\frac{1}{22} \times \frac{1}{22} = \frac{1}{484}$
 22. $\frac{1}{23} \times \frac{1}{23} = \frac{1}{529}$
 23. $\frac{1}{24} \times \frac{1}{24} = \frac{1}{576}$
 24. $\frac{1}{25} \times \frac{1}{25} = \frac{1}{625}$
 25. $\frac{1}{26} \times \frac{1}{26} = \frac{1}{676}$
 26. $\frac{1}{27} \times \frac{1}{27} = \frac{1}{729}$
 27. $\frac{1}{28} \times \frac{1}{28} = \frac{1}{784}$
 28. $\frac{1}{29} \times \frac{1}{29} = \frac{1}{841}$
 29. $\frac{1}{30} \times \frac{1}{30} = \frac{1}{900}$
 30. $\frac{1}{31} \times \frac{1}{31} = \frac{1}{961}$
 31. $\frac{1}{32} \times \frac{1}{32} = \frac{1}{1024}$
 32. $\frac{1}{33} \times \frac{1}{33} = \frac{1}{1089}$
 33. $\frac{1}{34} \times \frac{1}{34} = \frac{1}{1156}$
 34. $\frac{1}{35} \times \frac{1}{35} = \frac{1}{1225}$
 35. $\frac{1}{36} \times \frac{1}{36} = \frac{1}{1296}$
 36. $\frac{1}{37} \times \frac{1}{37} = \frac{1}{1369}$
 37. $\frac{1}{38} \times \frac{1}{38} = \frac{1}{1444}$
 38. $\frac{1}{39} \times \frac{1}{39} = \frac{1}{1521}$
 39. $\frac{1}{40} \times \frac{1}{40} = \frac{1}{1600}$
 40. $\frac{1}{41} \times \frac{1}{41} = \frac{1}{1681}$
 41. $\frac{1}{42} \times \frac{1}{42} = \frac{1}{1764}$
 42. $\frac{1}{43} \times \frac{1}{43} = \frac{1}{1849}$
 43. $\frac{1}{44} \times \frac{1}{44} = \frac{1}{1936}$
 44. $\frac{1}{45} \times \frac{1}{45} = \frac{1}{2025}$
 45. $\frac{1}{46} \times \frac{1}{46} = \frac{1}{2116}$
 46. $\frac{1}{47} \times \frac{1}{47} = \frac{1}{2209}$
 47. $\frac{1}{48} \times \frac{1}{48} = \frac{1}{2304}$
 48. $\frac{1}{49} \times \frac{1}{49} = \frac{1}{2401}$
 49. $\frac{1}{50} \times \frac{1}{50} = \frac{1}{2500}$
 50. $\frac{1}{51} \times \frac{1}{51} = \frac{1}{2601}$
 51. $\frac{1}{52} \times \frac{1}{52} = \frac{1}{2704}$
 52. $\frac{1}{53} \times \frac{1}{53} = \frac{1}{2809}$
 53. $\frac{1}{54} \times \frac{1}{54} = \frac{1}{2916}$
 54. $\frac{1}{55} \times \frac{1}{55} = \frac{1}{3025}$
 55. $\frac{1}{56} \times \frac{1}{56} = \frac{1}{3136}$
 56. $\frac{1}{57} \times \frac{1}{57} = \frac{1}{3249}$
 57. $\frac{1}{58} \times \frac{1}{58} = \frac{1}{3364}$
 58. $\frac{1}{59} \times \frac{1}{59} = \frac{1}{3481}$
 59. $\frac{1}{60} \times \frac{1}{60} = \frac{1}{3600}$
 60. $\frac{1}{61} \times \frac{1}{61} = \frac{1}{3721}$
 61. $\frac{1}{62} \times \frac{1}{62} = \frac{1}{3844}$
 62. $\frac{1}{63} \times \frac{1}{63} = \frac{1}{3969}$
 63. $\frac{1}{64} \times \frac{1}{64} = \frac{1}{4096}$
 64. $\frac{1}{65} \times \frac{1}{65} = \frac{1}{4225}$
 65. $\frac{1}{66} \times \frac{1}{66} = \frac{1}{4356}$
 66. $\frac{1}{67} \times \frac{1}{67} = \frac{1}{4489}$
 67. $\frac{1}{68} \times \frac{1}{68} = \frac{1}{4624}$
 68. $\frac{1}{69} \times \frac{1}{69} = \frac{1}{4761}$
 69. $\frac{1}{70} \times \frac{1}{70} = \frac{1}{4900}$
 70. $\frac{1}{71} \times \frac{1}{71} = \frac{1}{5041}$
 71. $\frac{1}{72} \times \frac{1}{72} = \frac{1}{5184}$
 72. $\frac{1}{73} \times \frac{1}{73} = \frac{1}{5329}$
 73. $\frac{1}{74} \times \frac{1}{74} = \frac{1}{5476}$
 74. $\frac{1}{75} \times \frac{1}{75} = \frac{1}{5625}$
 75. $\frac{1}{76} \times \frac{1}{76} = \frac{1}{5776}$
 76. $\frac{1}{77} \times \frac{1}{77} = \frac{1}{5929}$
 77. $\frac{1}{78} \times \frac{1}{78} = \frac{1}{6084}$
 78. $\frac{1}{79} \times \frac{1}{79} = \frac{1}{6241}$
 79. $\frac{1}{80} \times \frac{1}{80} = \frac{1}{6400}$
 80. $\frac{1}{81} \times \frac{1}{81} = \frac{1}{6561}$
 81. $\frac{1}{82} \times \frac{1}{82} = \frac{1}{6724}$
 82. $\frac{1}{83} \times \frac{1}{83} = \frac{1}{6889}$
 83. $\frac{1}{84} \times \frac{1}{84} = \frac{1}{7056}$
 84. $\frac{1}{85} \times \frac{1}{85} = \frac{1}{7225}$
 85. $\frac{1}{86} \times \frac{1}{86} = \frac{1}{7396}$
 86. $\frac{1}{87} \times \frac{1}{87} = \frac{1}{7569}$
 87. $\frac{1}{88} \times \frac{1}{88} = \frac{1}{7744}$
 88. $\frac{1}{89} \times \frac{1}{89} = \frac{1}{7921}$
 89. $\frac{1}{90} \times \frac{1}{90} = \frac{1}{8100}$
 90. $\frac{1}{91} \times \frac{1}{91} = \frac{1}{8281}$
 91. $\frac{1}{92} \times \frac{1}{92} = \frac{1}{8464}$
 92. $\frac{1}{93} \times \frac{1}{93} = \frac{1}{8649}$
 93. $\frac{1}{94} \times \frac{1}{94} = \frac{1}{8836}$
 94. $\frac{1}{95} \times \frac{1}{95} = \frac{1}{9025}$
 95. $\frac{1}{96} \times \frac{1}{96} = \frac{1}{9216}$
 96. $\frac{1}{97} \times \frac{1}{97} = \frac{1}{9409}$
 97. $\frac{1}{98} \times \frac{1}{98} = \frac{1}{9604}$
 98. $\frac{1}{99} \times \frac{1}{99} = \frac{1}{9801}$
 99. $\frac{1}{100} \times \frac{1}{100} = \frac{1}{10000}$

ਜੇ ... ਜਾਂਦਾ ਹਾਂ
 ਜਾਂਦਾ ਹਾਂ
 (੧੫) ਜਾਂਦਾ ਹਾਂ
 ੧੫

...
 ਜਾਂਦਾ ਹਾਂ
 ੧੩ ਜਾਂਦਾ ਹਾਂ

...
 ਜਾਂਦਾ ਹਾਂ
 ਜਾਂਦਾ ਹਾਂ
 ਜਾਂਦਾ ਹਾਂ

The image shows a handwritten document, possibly a letter or a list, written in a cursive script. The text is written on a piece of paper that is slightly tilted and has a dark, possibly black, border on the right side. The handwriting is dense and somewhat illegible due to the cursive style and the angle of the writing. There are several lines of text, some starting with capital letters, and a small circular mark or stamp is visible in the lower left corner.

١٠٠٠
(١٠٠٠٠٠)

٣٠ م

١٠٠٠

١٠٠٠

١٠٠٠

١٠٠٠

کے لئے ہرگز نہیں ہے
میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے

میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے
میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے

میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے
میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے

میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے
میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے

میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے
میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے

میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے
میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے

میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے
میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے

میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے
میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے

میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے
میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے

161
(... 1000 ...)

30 m ...

... ..

... ..

...

... ..

...

ॐ

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय

...

پہلے

کے لئے

✓

کے لئے

کے لئے

کے لئے

کے لئے

✓

⑤ ٢٨٣

البيت قبل الآخر
ورهمهم
اقرا

...

⑥ ٢٨٥ وصف الوان كرى

كانه حب خللا
وكنتك كالجارة تكفى
الرّصن عبد الوان

...

ਸਿਰਿ ਮੁਖਿ ਭਾਇ (ਭਾਇ ਭਾਇ)

ਭਾਇ ਭਾਇ ਭਾਇ ਭਾਇ



ਭਾਇ ਭਾਇ ਭਾਇ ਭਾਇ

ਭਾਇ ਭਾਇ ਭਾਇ

ਭਾਇ ਭਾਇ ਭਾਇ ਭਾਇ

ਭਾਇ ਭਾਇ ਭਾਇ ਭਾਇ

ਭਾਇ ਭਾਇ ਭਾਇ ਭਾਇ

ਭਾਇ ਭਾਇ ਭਾਇ ਭਾਇ



ਭਾਇ

ਭਾਇ ਭਾਇ

ਭਾਇ

Handwritten text in a non-Latin script, possibly a mix of Indic and Persian/Arabic characters. It includes a circled symbol on the left and a large closing parenthesis on the right.

Handwritten text in a non-Latin script, possibly a mix of Indic and Persian/Arabic characters. It includes a circled symbol on the left and a large closing parenthesis on the right.

Handwritten text in a non-Latin script, possibly a mix of Indic and Persian/Arabic characters. It includes a circled symbol on the left and a large closing parenthesis on the right.

Handwritten text in a non-Latin script, possibly a mix of Indic and Persian/Arabic characters. It includes a circled symbol on the left and a large closing parenthesis on the right.

...

ਗੁਰੂ ਗ੍ਰੰਥ ਸਾਹਿਬ
ੴ ਸਤਿਨਾਮੁ ॥
ਨਾਨਕਾਨਾ ਸਾਹਿਬ ॥

ਮੁਕਤ ਸਾਹਿਬ
ੴ ਸਤਿਨਾਮੁ ॥
ਨਾਨਕਾਨਾ ਸਾਹਿਬ ॥

ਗੁਰੂ ਗ੍ਰੰਥ ਸਾਹਿਬ
ਮੁਕਤ ਸਾਹਿਬ
ੴ ਸਤਿਨਾਮੁ ॥
ਨਾਨਕਾਨਾ ਸਾਹਿਬ ॥

ਜੇ ਕੋਈ ਆਪਣੇ
ਪਾਪਾਂ ਦੀ ਸਜ਼ਾ ਚਾਹੁੰਦਾ ਹੈ

ਤਾਂ ਉਸਨੂੰ ਆਪਣੇ

ਪਾਪਾਂ ਦੀ ਸਜ਼ਾ ਚਾਹੁੰਦਾ ਹੈ
ਜਿਵੇਂ ਕਿ ਪਾਪਾਂ ਦੀ ਸਜ਼ਾ

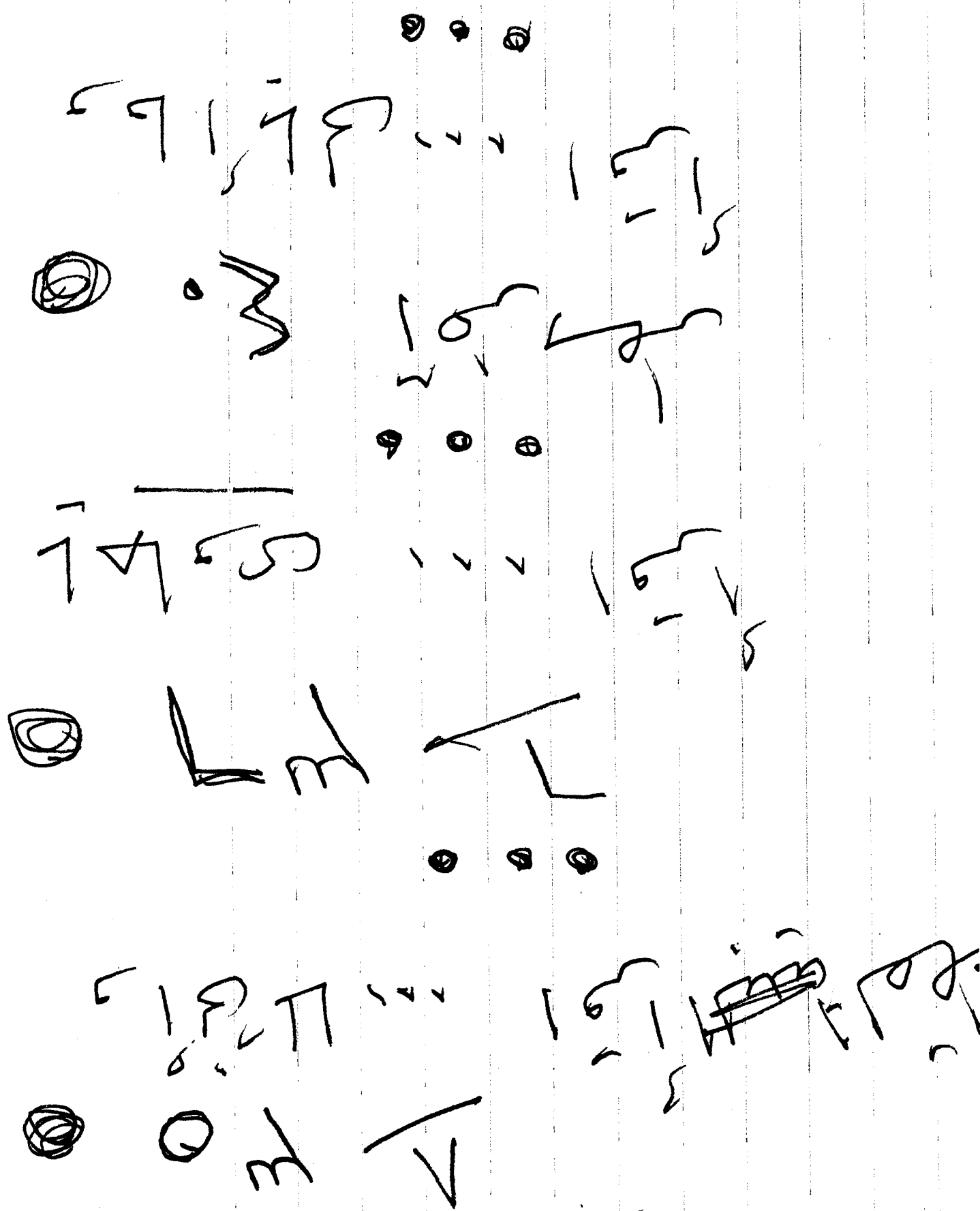


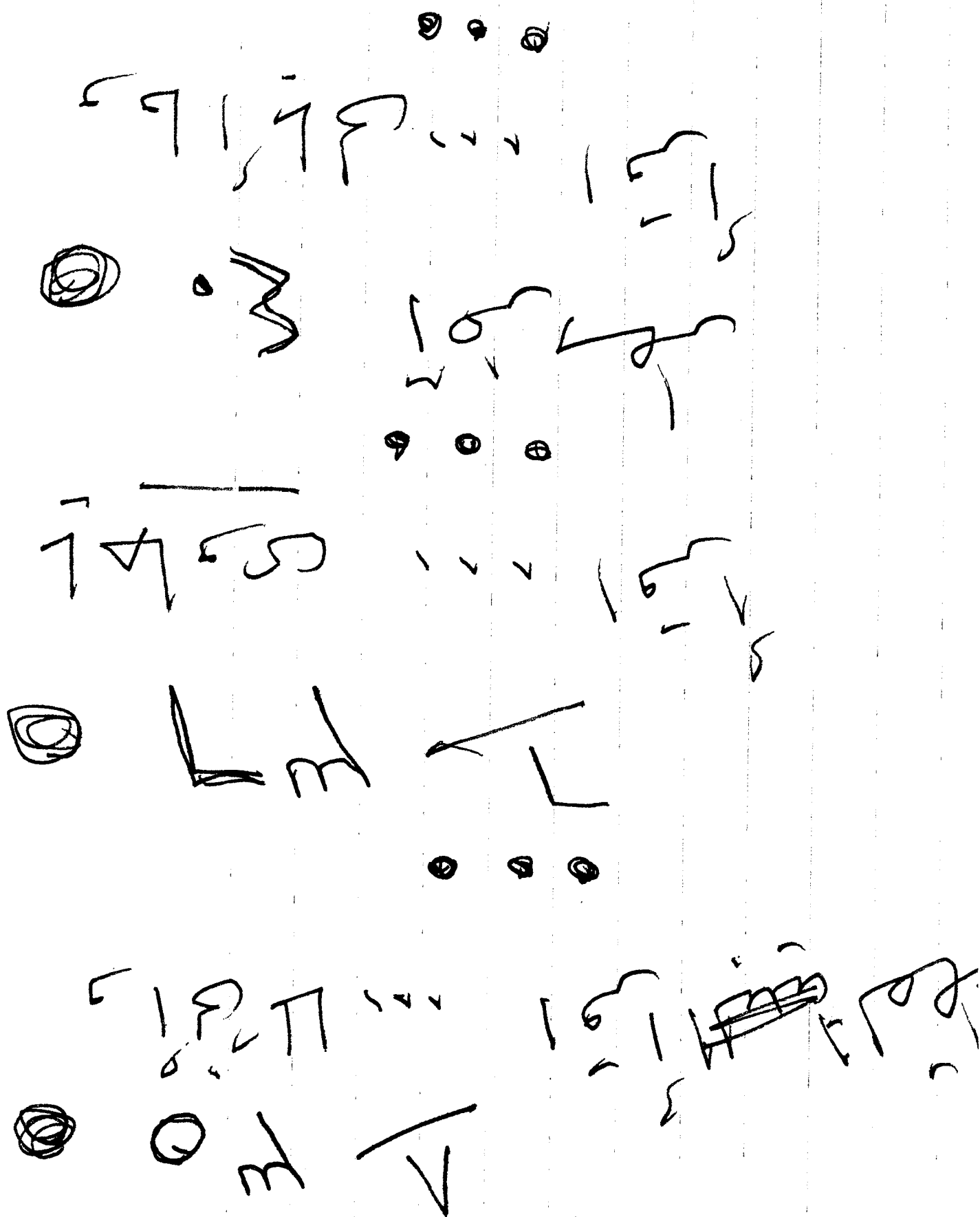
(ਜਿਵੇਂ ਕਿ ਪਾਪਾਂ ਦੀ ਸਜ਼ਾ)



ਜਿਵੇਂ ਕਿ ਪਾਪਾਂ ਦੀ ਸਜ਼ਾ







000

جاءتني

جاءتني

...

جاءتني

جاءتني

جاءتني

جاءتني

...

0

1977 10 10

1977 10 10



1977 10 10

1977 10 10

1977 10 10

1977 10 10

1977 10 10

1977 10 10



1977 10 10

ॐ ॐ ॐ

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय
ॐ नमो भगवते वासुदेवाय
ॐ नमो भगवते वासुदेवाय

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय
ॐ नमो भगवते वासुदेवाय

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय



Handwritten symbols and characters, including a circled 'O' and various vertical and diagonal strokes.

Handwritten symbols and characters, including a circled 'O' and various vertical and diagonal strokes.

Handwritten symbols and characters, including a circled 'O' and various vertical and diagonal strokes.

Handwritten symbols and characters, including a thick horizontal line and a wavy line.

تمهيد :
~~~~~

كان العرب يقولون : ان الأدب هو الأخذ من كل شئ بطرفه وكانوا  
اذ يذكرون العلوم الواجب على الأديب الوقوف عليها لا يقتصرون على ذكر علوم اللغة  
والنحو والصرف والبلاغة والفصاحة ، بل كانوا يضيفون اليها علوما كثيرة من سبيل  
العرب وأخبارهم .

والنثر الأدبي يشتمل على الرسائل الانشائية والكتب الديوانية ، والخطب  
في السياسة والدين . . . وتتدرج هذه الصور تحت تقسيمين رئيسيين هما :

١ — الأدب الانشائي .

٢ — والأدب الوصفى .

والنثر الأدبي اذا ما نafs الشعر في الأغراض والخصائص أصبح أقدر  
منه على الوصف والتعبير لخلوه من قيد الوزن والقافية .

والأدب المنثور لا يمس شغاف القلب الا اذا عايش الأديب الموضوع  
الذى يتناوله ويفضل به ويقتنع به فيصدر منه النثر الى قارئه لأنه كلمة صدرت  
من القلب واستقرت في القلوب .

## (( الفصل الأول ))

:: موضوعات نشره ::

~~~~~

من فحص آثار الشريف المرتضى يمكن أن نقسمها الى ثلاثة أقسام :

- (١) نشره الانشائي .
- (٢) نشره الوصفى .
- (٣) نشره الأدبى فى الموضوعات غير الأدبية .

وفىما يلى نتناول كل منها بالشرح والتحليل :

أولا : نشره الأدبى الانشائى :

~~~~~

يعتبر نشر المرتضى الأدبى قليل النصوص ، فلم نقف له على رسائل انشائية ولا على كتب ديوانية ، ولا خطب فى السياسة أو الدين . . . وانا وقفنا على نصوص من نشره مقتبسة من كتبه وموافاته ، من مقدمات كتبه ، وقد يسترسل أحيانا وقصد يسجع أحيانا أخرى . . . أو نجد له نشرأ أدبيا فى أثناء كتبه وفى عرضها ، من فصول يظهر عليها آثار التأنق فى المبارات ، وكذلك الذهاب مذهب المتأديين فى انتقاء الفكرة ، وأحيانا يقصد التأثير فى القارى عن طريق هذا التفكير والتعبير معا .

وأكثر ما يتجلى هذا حين يتناول فكرة دينية أو غلبة مذهبية ، فانه مع التزامه عادة أهل الجدل والكلام فى التعنى بأسلوب منطقى ، مع التقييد بمصطلحاتهم الكلامية ، يجنح جنوحا بارزا الى الاسلوب الأدبى ، ويخلص اليه بطبعه فى مهارة تخيل لمن يقرأ الموضوع انه يكتب موضوعا انشائيا يرتجله من نفسه ، غير مقيد بالتزام مصطلحات وحدود .

ومن ذلك قوله مستدلا على تنزيه الله من خلق الشرور - وهى  
غيبوبة امامية .

واما حجة العقول على أن الله لم يفعل أفعال العباد ، وأن فعل الخلق  
غير فعل رب العالمين ، فهو أنا وجدنا من أفعال العباد ما هو ظلم ومعت  
وفاعل الظلم ظالم ، وفاعل المعبث عابث ، وفاعل الفساد مفسد ، فلما لم يجوز أن  
يكون الله مفسدا ، علمنا أنه لم يفعل الظلم ولا المعبث ولا الفساد .

ان الله لا يجوز أن يعذب العباد على طولهم ، وتعدد الواوهم وصورهم  
لأن هذه الأمور فعله وخلقه فيهم ، فلو كان الكفر والفجور فعل الله لم يجوز أن  
يعذبهم على ذلك ، ولا ينهأهم أو يأمهم بخلافه .

ان الله سخط الكفر وعابه ، وذنم فاعله ، ولا يجوز على الحكيم ان يذم  
العباد على فعله ، ولا يحيب صنعه ولا يسخطه ، بل يجب أن يرضى بفعله ،  
لأن من فعل ما لا يرضى به فهو غير حكيم ، ومن يحيب ما صنع ويصنع ما يحيب  
فهو محيب ..

فالله أحكم وأعدل من أن يسخط فى فعله ، ويغضب من خلقه ، ويفعل  
ما لا يرضى به ...

فلما كان الله أحكم الحاكمين علمنا أنه غير قابل للكفر ، ولا محدث للظلم ،  
ولا مبتدع للقبائح ، ولا مخترع للفواحش ، وثبت أن الظلم فعل الظالمين والفساد  
فعل المفسدين ، والكذب فعل الكاذبين ، وليس شىء من ذلك فعل رب  
العالمين (١) .

...

(١) تنزيه البشر من الجبر والقدر ص ٧٥ - ٦٠ ط النجف .

وكما يعتمد كثيرا الى الاسلوب الأدبي عند نقد المعانى أو الحكم على ما  
جاءت به قرائح الشعراء ومقاديرهم .  
ومن أمثلة ذلك : (١)

روى أنه قيل للفرزدق هل حسدت أحدا على شيء من الشعر ؟ فقال :  
لا ، لم أحسد على شيء منه إلا ليلى الاخيلية فى قولها :  
ومخرق عنه القميص تخالسه

بين البيوت من الحياة سقيما  
حتى اذا برز اللواء رأيناه  
تحت اللواء على الخيم زعمنا (٢)  
لا تقرين الدهر آل مطرف  
لا ظالما أبدا ولا مظلوما

على اننى قلت : أى الفرزدق :  
وركب كأن الريح تطلب عندهم  
لها ترة من جذبها بالمصائب  
سروا يخبطون الليل وهى تلقهم  
الى شعب الاكوار من كل جانب  
اذا ابصروا نارا يقولون لينها  
وقد خصرت أيديهم نار غالب

...

---

(١) أمالى المرتضى تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم القسم الاول ، دار احياء  
الكتب العربية مكتبة البابى الحلبي وشركاه القاهرة ص ٥٨ .

(٢) الخيم : الجيش .

وليس أبيات الفرزدق بدون أبيات لهللى ، بل هى أجزل الفاظا ، وأشد  
أسرا ، إلا أن أبيات لهللى أطبع وأنصح ، وقد كان الفرزدق مشهورا بالحسد على  
الشعر والاستكثار لقليله والافراط فى استحسان مستحسنه .

...

وقال تحقيقا على أبيات البحتري :

وكنيت أرجى فى الشباب شفاعنة  
وكيف لباغى حاجة بشفيهم—  
مشيب كبت السر عنى بحمله—  
محدثه أو ضاق صدر مذيعه—  
كلاحق حتى كاد يأتى بطيومه  
لحت الليالى قبل أنى سريحه

هذا والله أبلغ كلام وأحسنه ، وأحلاه وأسلمه ، وأجمعه لحسن اللفظ  
وجودة المعنى ، وما أحسن ما شبه تكاثره وتلاحقه ببث السر عن ضيق صدر  
صاحبه ، وأعيانه بحمله ، وعجزه عن طيه (١) .

\*\*\*

ثانيا : نشره الأدبى الوصفى :

ليس من الغريب من الشريف المرتضى أن يكون ناقدنا بارعا ، ومتذوقا فذا ،  
فقد توفرنه معارف وعلوم كثيرة كان شطرها يكفى أن يجعل منه الخير والعليم  
بدروب القول وشعبه ، ومداخله ومخارجه ، ومذاهبه واتجاهاته .

---

(١) الشهاب ص ١٣ ط الجواثب .

فليس الفرق كبيرا بين أن يكون للشخص القدرة على فهم نص قرآنى ،  
ويخرج منه فى إطار الإبقاء على رونقه وجمال أسلوبه بما ينفعه فى استنباط حكم  
شرعى سليم ، أو استخراج فكرة مذهبية لها مغزاها ، أو أن يقرأ قصيدة  
شعرية ، فيلم بوجوه القصد من معانيها ، وجمال الصنعة فى ميانهم —  
أو أن يناقش الرجل رأيا فى الكلام ، أو رأيا فى الأدب ،  
ما دام سبيل الوصول الى النتيجة يجرى فى حدود الأداء المقبول ، والعبارة  
المستساغة .

وقد انتفع المرتضى بأعماله الثقافية الأخرى بصورة كبيرة فى علمه  
الأدبى ، ونرى أن الصلة بين عمله الأدبى والثقافى أمر لا بد منه ولا فكاك  
عنه ..

وقد تناول بالنقد كثيرا من الشعر والنثر ، وحكم فى آثار عدد غير قليل من  
الشعراء والنائرين ، وتحدث بعمق وببراعة عن مكامن الجمال وظواهره فى  
حدود ما كان معروفا عنها وقتذاك . وكانت له لفتات بلاغية تستحق التوقف  
والدراسة سجلها أثناء تعقيقه على آى القرآن وعلى الحديث .

ومن ذلك تعقيقه على ما يبدو من تناقض التشبيه فى قوله تعالى :  
" فالتقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين " وقوله تعالى " فلما رآها تهتتر  
كأنها جان ولي مدبرا ولم يعقب " فقال المرتضى ( انما شبهها بالثعبان فى  
احدى الآيتين ، لمظم خلقها ، وكبر جسمها ، وهول منظرها وشبهها فى  
الآية الأخرى بالجان ، لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها ، فاجتمع لها مع أنها  
فى جسم الثعبان ، وكبر خلقه ، نشاط الجان وسرعة حركته ، وهذا أظهر فى  
الاعجاز وأبلغ فى خرق العادة .. وليس يجب اذا شبهها بالثعبان أن يكون  
لها جميع خصائص الثعبان ، ولا اذا شبهها بالجان أن يكون لها جميع صفاته  
فقد تشبه العرب الشئ بغيره فى بعض وجوهه ، فيشبهون المرأة بالطيبة ..

ونحن نعلم أن في الطلباء من الصفات ما لا يستحسن أن يكون في النساء ، وإنما وقع التشبيه في صفة دون صفة ، وفي وجه دون وجه (١) .

كما تحدث عن فوائد التكرار في سورة الكافرين ، وسورة الرحمن ، وغيرهما من سور القرآن الكريم ، فذكر أن للمفسرين جملة آراء كان كثير منها متكلفا ، ولكنه فضل أن يكون التكرار للتأكيد ، وهو رأى " للفراء " ولكنه تنبأه وشرحه وجاء له بشواهد شعرية ونثرية تدل على عمق الدراسة والتحقيق والثقافة الواسعة وإطلاعه على كثير من أسرار اللغة والأدب والسير (٢) .

وتحدث عن الكناية في قول حسان بن ثابت :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم \* شم الأنوف من الطراز الأول

فقال المرتضى (٣) ( الشم : الارتفاع في كل شئ ) ، فيحتمل أن يكون حسان أراد بشم الأنوف ما ذكرناه ، من ورود الأرنبة ، أرنبة الأنف " لأن ذلك عندهم دليل المتق والنجاة ، ويجوز أن يريد بذلك الكناية ، أى نواهيهم وتباهدهم عن دنائيا الأمور ، وردائها ، وخص الأنوف بذلك ، لأن الحمية والفضب والأنف فيها ، ولم يرد طول أنوفهم ، وهذا أشبه بأن يكون مراده ، لأنه قال بيض الوجوه ، ولم يرد بياض اللون في الحقيقة ، وإنما كنى بذلك عن نقاء أعراضهم ، وجميل أفعالهم ، كما يقول القائل ، جاءنى فلان بوجه أبيض ) .

...

(١) الامالى ص ٢٦ ج ١ ط مصر .

(٢) الأمالى ج ١ ص ١٢٠ - ١٢٢ .

(٣) الامالى ج ١ ص ٢٤٧ .

صولها ~

وقد وازن بين الشعراء ، وله مؤلفين فى الموازنة ، أحدهما كتاب  
"الشهاب فى الشيب والشباب" وقد جمع فيه موازنا خيرا ما قيل فيهما ،  
 وبخاصة ما كان من شعر البحتري " وأبى تمام ، وابن الرومى ، وأخيه الرضى ،  
 وما نظمه هو فى الموضوع .

وثانيهما كتاب طيف الخيال وقد جرى فيه على نسق الأول .  
 على أن كتاب الأمالى كاف لتصوير ما حفظ الشريف المرتضى ووعى  
 من شعر جاء على أكثره بالموازنة والتعقيب .  
 فمن مأخذه الواردة بكتاب الشهاب تعقيبا على الآدى حين تعرض  
 لأبيات البحتري (١) .

هل أنت صارف شيبةٍ ان غلستُ  
 فى الوقت أو عجلتُ عن الميعاد  
 جاءت مقدمة "أمام طوالع" <sup>وَحْطَا</sup>  
 هذى تراوحي وتلك تغادى  
 وأخو الخبيثة تاجرٌ فى لَمَّوْ  
 يشرى جديد بياضها بسواد  
 لا تكذبى فما الصبا بمخلفٍ  
 لها <sup>لُضَارَةٌ</sup> لهوا ، ولأزمن الصبا بمعداد  
 وأرى الشباب على فضارة حسنه  
 وجماله عدا من الأعداد

قال المرتضى ( وجدت الآدى قد نزل فى معنى قوله : " يشرى جديد

(١) الشيب والشباب ص ٢٠ - ٢١ طبع الجواب

بياضها بسواد ، لأنه — الأمدى — قال : معنى يشرى : يبيع ، وأراد أن  
الخبين من باع جديد بياضه بالسواد ، وأراد بالسواد الخضاب ، فكانه ذم  
الخضاب .

والأمر بخلاف ما ذكره ، وما جرى للخضاب ذكره ، ولا همنا موضع للكناية  
عنه ، ومعنى يشرى همنا : يبتاع ، لأن قولهم شريت يستعمل في البائع  
والمبتاع جميعا ، وهذا من الأضداد ، نحن أهل اللغة على هذا ، فكانه شهيد  
بالخبين لمن يبتاع الشيب بالشباب ، ويتعوض عنه .

وانما ذهب الآمدى إلا أن لفظة " يشرى " تقع على الأمرين المتضادين ،  
فتحمل ذكر الخضاب الذى لا معنى له هنا ( ) .

...

ثالثا : نشره الأدبى فى الموضوعات غير الأدبية :

} يدخل المرتضى الأدب من أكثر من باب : فهو يدخل الأدب الإنشائى  
فى شعره بجملة ، وفى شطر غير قليل من نشره [ ] ويدخل الأدب الوصفى فى  
كتبه التى اختصت بالنقد وبالموازنة بين الشعراء [ ] ويلج الأدب من وجه غير  
مباشر بدراساته الاصولية ، والكلامية ، والفقهية فى أغلب آثاره [ ]

وقد لاحظنا أن الكثرة الكثيرة من آثاره تتصل بالأدب بطريق  
غير مباشر . . فهو لا ينفك عن تناول الأدب فى كتاباته العلمية ، فكان يركن أحيانا  
كثيرة الى الأسلوب الأدبى على وجه يدخل به فى الأدب الإنشائى وذلك حين  
يتناول ويصور الخواطر الكلامية الدقيقة ، بحيث يجعل من تلك الأفكار القائمة على  
المنطق العقلى مادة لينة مطاوعة للأدب كأنه يكتب رسالة ، أو يجد وصفا شعريا .

يقول وهو يعرض لرأى الأمامية فى صفات الله (١) :

( انا نشهد أن الله — عز وجل — واحد ليس كمثله شئ ، وأنه الأول قبل كل شئ ، والباقي بعد فناء كل شئ ، والعالم الذى لا يخفى عليه شئ ، والقادر الذى لا يعجزه شئ ، وأنه الحى الذى لا يموت ، والقيوم الذى لا يبيد ، والقديم الذى لم يزل ولا يزال ، حيا سميحا بعيدا ، عالما قديرا ، غنيا غير محتاج الى مكان ولا زمان ، ولا اسم ولا صفة ، ولا شئ من الأشياء ، على وجه من الوجوه ولا معنى من المعانى ، قد سبق الأشياء كلها بنفسه ، واستغنى عنها بذاته ، ولا قديم الا وحده ، سبحانه وتعالى من صفات المحدثين ، ومعانى المخلوقين ، جل وتقدس عن الحدود والأخطار والجوارح والاعضاء ، وعن مشابهة شئ من الأشياء ، أو مجانسة جنس من الاجناس ، أو مماثلة شخص من الاشخاص ، وهو الاله الواحد الذى لا تحيط به العقول ولا تتصوره الأوهام ، ولا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير ، الذى يعلم ما يكون قبل أن يكون ، ويعلم ما كان وما سيكون ، وما لا يكون لو كان كيف كان يكون ، قد أحاط بكل شئ علما ، وأحصى بكل شئ عددا ، علم الأشياء كلها بنفسه ، من غير علم أحدثه ، ومن غير معنى كان معه ، بل علم ذلك كله بذاته ، التى لم يزل بها قادرا عالما ، حيا سميحا بعيدا ، لأنه الواحد لم يزل قبل الأشياء كلها ، ثم خلق الخلق من غير فقد ولا حاجة ، ولا ضعف ولا استعانة ، من غير أن يلحقه لحدوث ذلك تخيير ، أو يحسه لغوب ، أو ينتقل به الى مكان ، أو يزول معه عن مكان ... وقد استوى على العرش بالاستيلاء والملك ، والقدرة والسلطان ) .

ونفق فى هذا القسم مع الدكتور عبد الرزاق محيى الدين فى كتابه

---

(١) انقاذ البشر من الجبر والقدر ٠٠ ص ٣٢ — ٤٣ ط النجف .

أدب المرتضى في أن أسلوبه إذ يبحث فيما يتصل باللغة اتصالاً غير مباشر يمكن  
تقسيمه إلى قسمين (١) .

قسم يعمد به إلى الدفاع عن فكرة مذهبية ، أو الحمل على طرح عقيدة  
كلامية ، وعندها يعنى بصوغ العبارة وتجويدها ، أو الاستطراد إلى نظائرها من  
اللغة لتعزيزها وتبريرها ، وذلك في كتاباته عن الكلام والتفسير والحديث .  
والقسم الثاني والذي يريد به المحجة والبحث وبلوغ الحقائق العلمية مخاطباً  
المتخصصين بموضوع البحث فهو يسلك إليه الأسلوب العلمي المقتصد وذلك  
ما يحدث عادة في مباحثه الفقهية والأصولية .

....

من هذا العرض يتضح لنا أن موضوعات نشره متنوعة وأكثرها ما يدخل في  
إطار وحيز الأدب الوصفى والانشائي بطريق غير مباشر وخاصة عند تناوله  
للموضوعات الدينية بكافة فروعها .

\*\*\*

ومن مراجعة مؤلفاته ، نستطيع أن نخلص إلى أن السيد المرتضى كان منوع الثقافة والمعارف ملما بأبعادها ، إذ بين موضوعاتها الفقه والتفسير ، والكلام ، والفلسفة الإلهية ، وعلم الفلك ، والنقد ، والأدب في انشاء أو رواية . عن المؤلفين إلى الوراء

وطابع أسلوب مؤلفاته العام هو الجدلية ، وقوة الجدل المخلص ، والرقعة كل حسب موضعه وموضوعه . فهو إذا تحدث عن الآراء الفقهية ، أو المذاهب الكلامية ، تستشعر منه أنه طالب للحقيقة يسعى إليها بحمق وأصالة في البحث المخلص ، ليس من قصده الجدل لنفسه ، ولا الخصومة لنفسها شأن ما يفعله كثير من المتكلمين أصحاب الجدل والنظر<sup>المناظر</sup> ، أمثال " الجاحظ " ابن الراوندي " و " أبي حيان التوحيدي " وغيرهم ممن قد يجد في الحور حول الآراء وتفسير النحل متعة وغرضا ذاتيا .

ومن حيث التقدير في الأشياء وجدنا المرتضى مقتصدا حتى في الأحكام الأدبية لا يخلو في تقدير الأمور ، ولا في استصدار الأحكام ، شأن ما فعله الثعالبي في ( يتيمته ) ، و " ابن بسم " في ذخيرته ، عندما عرضا لترجمة الأدباء وإنما هو مستشعر مسؤوليته في أحكامه أمام الله الناس .

ومن حيث الأداعهم ميال الى مواجهة المشكلة رأسا ، ومن غير تهيب لها ، أو خروج عنها لسواها ، وإذا استطرد مازجا بين مسألة وأخرى ، أو فن وغيره فانه لا يبعد عن الغرض الا ليقرب منه بوسائل من التوضيح والتشبيـل فاذا استوفى ذلك عاد للمشكلة ذاتها .

وأما عن أسلوبه في بحثه فيما يتعلق ويتصل بأدب اللغة اتصالا غير مباشر فيمكننا تقسيمه الى قسمين :

قسم يحمـد به الى الدفاع عن فكرة مذهبية ، أو الحمل على طـح عقيدة كلامية وعندها يعنى بصوغ العبارة وتحجيرها ، أو الاستطراد الى نـاثرها من اللغة لتعزيزها وتبريرها ، وذلك مـا لاحظناه من الكلام والتفسير والحديث .

وقسم يريد منه مجرد البحث ، وبلوغ الحقائق العلمية ، مخاطبا بها المتخصصين بموضوعه ، فهو يسلك اليه الأسلوب العلمى المقتصد ، وذلك مـا لاحظناه في مباحثه فى الفقه وأصوله .

وكان المرتضى من خيرة الأدباء الوصفيين ، تناول بالنقد كثيرا من الشعر والنثر ، وحكم فى آثار عدد غير قليل من الشعراء والناثرين .

## (( الفصل الثانى ))

:: خصائص نشره الفنية ::

~~~~~

للتنشر خصائص فنية يمكن الحكم عليها والوقوف على أبعادها اذا ما كانت المؤلفات الادبية متوافرة أو مجمعة أو ذات موضوع واحد . . ولقد رأينا فى الفصل السابق أن أهم مميزات نشر الشريف المرتضى هو أن ما تناوله من نشر متناثر فى جميع كتبه ومؤلفاته ، وأن أسلوبه الأدبى يتناول به موضوعاته الدينية وغيرها ، فيخرج من الشعر الى النثر والعكس بأسلوب أدبى . . فوحدة الموضوع الأدبى النشرى لم تظهر فى مؤلفاته وهذه ظاهرة فى نشره . . ولهذا وجدت نفسى اتعقب نشراته فى بعض مؤلفاته . . عند تناولى لموضوعات نشره .

وتجدر بنا الاشارة الى ما اختص به النشر فى القرن الرابع الهجرى ، فقد اختص بالصفات الآتية (١) :

١ - التزام السجع فى كثير من الرسائل ، حتى الرسائل المطولة التى يراد بها تقيد مناظرة أو شرح مسألة كالذى وقع فيها كتبه بديع الزمان الهمدانى ، من المناظرة التى كانت بينه وبين أبى بكر الخوارزمى ، وكالرسالة التى كتبها الخوارزمى الى الشيعة بنيسابور ، ومن كتاب العصر من جانب التزام السجع كأبى حيان التوحيدى والشريف المرتضى .

٢ - الحرص على تضمين الرسائل أطايب الشعر ومختار الأمثال . فمن الكتاب

(١) النشر الفنى فى القرن الرابع . زكى مبارك الجزء الأول ، دار الجيل ، بيروت

من يبدأ رسالته بيت أو بيتين يتقدم بهما كلامه كما كان يفتح الأولسون رسائلهم بحمد الله والصلاة على نبيه ، وفيهم من يختتم رسائله بالشعر .

٣ — الف كتاب القرن الرابع الكتابة في بعض الموضوعات التي كانت خاصة بالشعر كالغزل المديح والمهجاء والوصف ، وذلك لأنهم نقلوا الى النثر محاسن الشعر من الاستعارة والتشبيه والخيال .

٤ — عدم التقيد بصيغة خاصة في بداية الكتب ، فقد كان القدماء يحرصون على الابتداء بحمد الله والصلاة على نبيه ، بعد عبارة من فلان الى فلان التي كثر ورودها في القرن الأول ، ومن كتاب هذا العصر من أخذوا يجرّون على فطرتهم في تخيير البدايات ، فممن من يبتدى ببيت من الشعر ، أو بحكمة مأثورة ، أو مثل معروف ، أو قصة قصيرة ^(١) ثم يدخل في الموضوع ، ومنهم من يدخل في الموضوع مباشرة من غير أن يتقدمه شيء .

أما ختام الرسائل فقد درج أكثرهم في الأغلب على الاكتفاء بمبارة والسلام ، وهي اختصار للكلمة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٥ — الصفات النثرية تطورت على مدى القرون التي سبقت هذا القرن ، ثم ظهرت فيه ظهوراً قوياً لان كتابه أرادوا متعددين أن تكون لهم شخصية فنية تظهر في تجسيم ما كان اسلافهم بشيرون اليه من أنواع المحسنات اللفظية والمعنوية .

(١) انظر ص ٢٢ من رسائل بديع الزمان .

وكتاب العربية في ذلك العصر ينقسمون الى ثلاث طوائف (١) :

١ - طائفة تلتزم السجع التزاما مطلقا ولا تخرج منه الى في قليل من الاحيان ومن أشهر هذه الطائفة بديع الزمان ، والخوارزمي ، والثعالبي ، والصابي والميكالي ، وابن عباد ، وابن دريد ، وابن نباتة ، وابن وشكير .

٢ - طائفة توثق الازدواج وتسجع من حين الى حين ، وعلى رأسهم ابن الحميد ، والتوحيد ، والآمدي ، والشريف الرضي ، والباقلاني ، والمسكري .

٣ - طائفة توثق الجدية في الصياغة الأدبية فلا تسجع ولا تزاج الا قليلا ومن هؤلاء ابن مسكويه ، المرزباني ، وابن فارس ، والجرجاني ، والأصفهاني ، والتنوخي ، وأحمد بن يوسف المصري ،

ومؤلفات الشريف المرتضى وكتاباته المتناثرة
فسي آتتاره الأدبية والدينية والعلمية والثقافية واللغوية ^{اللات} بأنها
كانت تميل الى التقسيم الثاني أحيانا والثالث أحيانا . . ويكفي أن نؤكد على أنه
لا ينتمى الى الطائفة الأولى وهي التي التزمت التزاما مطلقا بالسجع .

أهم خصائص نشره الأدبي :

سنورد فيما يلي أهم خصائص نشر السيد المرتضى مع الإشارة من حين لآخر
الى بعض الأمثلة والنماذج ، وأيضا في اطار بعض الموازنات مع كتاب العربية .

(١) النشر الفني في القرن الرابع . مرجع سابق ص ١٣٧ .

١ - تصوير الخواطر الكلامية الدقيقة بأسلوب أدبي مطاوع :
الى

كان المرتضى يركن أحيانا إلى أسلوب الأدبي في تناوله وتصويره بعض الخواطر الكلامية الدقيقة ، بحيث تأتي تلك الأفكار القائمة على المنطق العقلي بأسلوب أدبي مطاوع ، حتى كأنه يكتب رسالة ، أو يجبر وصفا شعريا . ، وذلك ما يقل أن نشاهده في أساليب المتكلمين ، اللهم الا في أسلوب الجاحظ وأبي حيان التوحيدي وامثالهما من رجال الأدب . ومن ذلك قوله عندما أراد أن يفند القول بالجبر ، ويأتى على شبه الجبر بالنقض ، فهو يسجع ويزاوج ، ويكرر ويعيد ، ليلج بالفكرة نصيبها من الأداء ، وبالعبرة غاية حظها من التأثير (١) .

كل فعله حسن ، وكل صنعه جيد ، وكل تدبيره حكمة ، سبحانه وتعالى عما وصفه به القدريّة الجبريّة المخترعون ، الذين أضافوا إليه القبائح ، ونسبوه إلى فعل الفواحش ، وزعموا أن كل ما يحدث في العباد من كفر وضلال ، ومن فسق وفجور ، ومن ظلم وجور ، ومن كذب وشهادة زور ، ومن كل نوع من أنواع القبائح ، قاله تعالى فاعل ذلك كله ، وخالفه وصانعه ، والمريد له ، والدخل فيه ، وأنه يأمر قوما من عباده بما لا يطيقون ، ويكلفهم بما لا يستطيعون ، ويخلق فيهم ما لا يتنبأ لهم الامتناع منه ، ولا يقدرون على دفعه ، مع كونه على خلاف ما أمر به ، ثم يحذّبهم على ذلك في جهنم ، بين أطباق النيران خالدين فيها أبدا . ويزعم منهم قوم : أنه يشرك معهم في ذلك العدل الاطفال والصغار الذين لا ذنب لهم ولا جرم ، ويجيز آخرون أن يأمر الله العباد - وهم على ما هم عليه من هذا الخلق وهذا التركيب - أن يطيروا في جو السماء ، وأن يتناولوا النجوم ، وأن يقتلوا الجبال ، ويدكوا الأرض ، ويطووا السموات كطى السجل ، فإذا لم يفعلوا ذلك

(١) تنزيه البشر من الجبر والقدر ص ٣٢ - ٤١ ط النجف .

لمجزهم ، وضحف بنيتهم عن احتماله ، غديهم في نار جهنم عذابا دائما ،
فتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

٢ - التزام اسلوب الفقهاء المألف حين يكتب في الفقه أو في أصوله :

لاحظنا أن المرتضى حين كان يكتب في الفقه أو في أصوله ، وهما مادتان
يلزم لهما فهم أساليب ودقائق العربية ، فإنه يلتزم أسلوب الفقهاء المألف ،
فلا يحد إلى الأسلوب الخطابي ، ولا العبارة المسجوعة ، ولا التكرار بقصد
التسهيل والتأثير في المستمع أو القارئ ، ولكن تظهر براعته في تناول هذه
المواضيع فمن قوله وهو يستدل لمذهبه في وجوب مسح الرجلين في الوضوء على
طريق التضييق لا غسلهما ولا التخيير بين الغسل والمسح كما عليه أكثر فقهاء
أهل السنة (١) :

والذي يدل على صحة ما ذهبنا إليه في إيجاب المسح دون غيره مضافا إلى
الاجماع الذي يحولنا عليه - يريد اجماع الامامية - قوله تعالى : " يا أيها
الذين آمنوا اذا قمتم للصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ، وامسحوا برؤوسكم
وأرجلكم إلى الكعبين " . فأمر بغسل الوجه ، وجعل للأيدي حكمة في الغسيل
بواو المعطف ثم ابتدأ جملة أخرى فقال : " وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم " ،
فأوجب بالتصريح للرؤوس المسح ، وجعل للأرجل مثل حكمها ، بالمعطف . فلو جاز
أن يخالف بين حكم الأرجل والرؤوس في المسح ، جاز أن يخالف بين حكم الأرجل
والرؤوس في المسح ، لأن الحال واحدة .

(١) الانتصار ج ١ ص ١٣ - ١٤ ط ايران ١٣١٥ هـ .

وقد أجبتنا على سؤال من يسألنا - فيقول : ما أنكرتم أن الأرجل انم -
انجرت للمجاورة ، لا يعطفها في الحكم على الرؤوس ؟ - بأجوبة منها :

ان الاعراب بالمجاورة شاذ نادر ، ورد في مواضع لا يلحق بها غيرها ،
ولا يقاس عليها سواها ، بغير خلاف بين أهل اللغة ، ولا يجوز حمل كتاب الله عز
وجل على الشذوذ الذي ليس بمعهود ولا مألوف .

ومنها أن الاعراب بالمجاورة عند من أجازها ، انما يكون عند الفارقة مع فقد
حرف العطف ، وايمًا مجاورة تكون مع وجود الحائل ؟ ولو كان ما بينه وبين غيره
حائل مجاور لكانت المجاورة مفقودة ، وكل موضع استشهد به على الاعراب بالمجاورة
مثل قولهم " جحر ضب خرب " و " كبير انامل في بجاد مزمل " لا حرف عطف
فيه حائل بين ما تعدى اليه اعراب غيره للمجاورة .

٣ - هدوء العبارة وتسلسل الأفكار :

كان المرتضى في نشره الأدبي بشقي فروعه وتقسيماته يغلب عليه دائمة -
هدوء العبارة وتسلسل الأفكار ، لا يكرر ولا يسجع ، ولا يستعين بما أوتى من
قدرة على البيان ، وانما يستنبط معتدًا على السائد من قواعد النحو .

وقد ظل فقه الامامية الاستدلالي مطبوعًا بطابع الاستنباط والتخرج اللذين
كان يأخذ بهما المرتضى .

وقد كان صاحبنا كثير من رجال الفقه والحديث والكلام معنيًا بأمر الأدب
متعاطيًا لفنونه - الى جانب عنايته بثقافته الاخرى - فاصبح لهذا من خيرة
رجالها فهما له ، ونقدًا لأصوله ، وانشاءً لضروريه .

٤ — اللفات البلاغية :

كان للمرتضى لفات بلاغية عميقة تستحق الانتباه ، فمن تلك الآثار البلاغية
تعليقه على حذف جواب الشرط في قوله تعالى :
" واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها " بقوله : وكلام
العرب وحى وإشارات ، واستعارات ومجازات ، فان الكلام متى خلا من الاستعارة
وجرى كله على الحقيقة ، كان بعيدا عن الفصاحة ، بريئا من البلاغة .

ومنها التفاته الى خصائص ودقائق حروف المعاني البلاغية — حين تكلم
عن قوله تعالى : " فخر عليهم السقف من فوقهم " فقال : (١)

(وللعرب في هذا مذهب وطريق لطيف ، لأنهم لا يستعملون لفظة " على " في مثل هذا الموضع الا في الشر والأمر المكروه ، ويستعملون اللام وغيرها فـ في خلاف ذلك ، أى : أنهم لا يقولون : عمرت على فلان ضيعته ، ولا : ولدت عليه جاريتي ، بل يقولون : ولدت له جاريتي ، وعمرت له ضيعته ، وهكذا من شأنهم اذا قالوا : قال على ، وروى على ، فانه يقال في الشر والكذب وفي الخير والحق يقولون : قال عني ، وروى عني) .

وتتفق في الرأي مع ما ذهب اليه الدكتور عبد الرزاق محيى الدين فـ في كتابه أدب المرتضى (٢) من أن آرائه البلاغية ، أنها كانت حلقة الوصل بين ما بداه الجاحظ من اشادة الخواطر البلاغية عند نقد النصوص في كتابه " البيان والتبيين " وما انتهى اليه " الجرجاني " من تركيز تلك الخواطر وتصنيفها الى أبواب مستقلة في كتابه " دلائل الاعجاز " و " اسرار البلاغة " وأن خواطره لو جمعت

(١) الامالى ج ١ ص ٣٥٢ .

(٢) ص ١٩٤ .

ووصلت ببعضها لألفت شطرا كبيرا من مسائل البلاغة وبخاصة ما كان أدخل منها
 في علم المعاني . (وتم ليها - وسمي لرسع

٥ - التداخل في المعاني وتعدد لها :

قام المرتضى بتصوير بارع لكيفية لقاء المعانى ، وولادة بعضها من بعض بالتركيب والامتزاج ، أو التداخل فى المعانى ، ونصو على أن دعوى أخذ شاعر من شاعر ، وسرقة معنى من معنى ، أمر يجب التورع فيه ، والتحرّج من إطلاقه ، فالمعانى نفسها إذ تعلق فى الذهن و تقوّر فى رحم الاشعور تتلاقح وتولد كائنا جديدا . لهذا نراه يتحرّج من إطلاق القول فى أخذ شاعر من شاعر ، وسرقة بيت من بيت ، وغاية ما يبيح لنفسه أن يقول ، سبق الى هذا المعنى ، أو كأنه نظر الى هذا المعنى أو لمح بهذا المعنى ذلك المعنى .

ومن ناحية أخرى كان المرتضى مفرم بكثرة التخريج والتأويل ، وادعاء
امكان أن يراد بتعبير ما جملة معان ، وأن يؤدى الى جملة أغراض ، لا مألح من
الأخذ بأحدها ، وهى خاطرة التزمها وعمل بها فى أعماله الفقهية والكلامية ،
وعرج بها الى عمله الأدبى الفنى ، وقد قال : (١)

(وليس يجب أن يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله اذا كان له شاهد من اللغة وكلام العرب ، لأن الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله من وجوه المعاني فيجوز أن يكون أراد المخاطب كل واحد منها منفردا ، وليس عليه العلم بمراد ، بعينه) .

(١) الأملی ج ١ ص ١٩ •

وقد كان أحيانا ينظر الى المعنى فى البيت مجردا عن الأبيات الأخرى وملابساته
كان فن البيت ومعناه فى نفسه فقط وليس فى وقوعه ضمن الاطار الذى أحاط به
وذلك مثلما كان يؤخذ على كثير من النقاد الأقدمين حيث كانوا يقيسون معنى على
آخر ، ويوازنون بين المعانى خالية من الروابط .

٦ - المحاجة العلمية للموضوعات الأدبية :

من تتبع كثير كتب المرتضى لاحظت أنه عندما يعالج موضوعا أدبيا يستقصى
وجوه القول فيه ، ويلم باطرافه المختلفة . كأنه يبحث فى مسألة علمية فيتحقق
المعنى ويدقق فى الالفاظ .

* * *

الأثر الادبى الكبير الذى يعكس اتجاهه الأدبى وخصائص نثره الأدبى :

حين نستعرض كتب العربية النفيسة التى حوت الوان المعارف وزخمرت
بأشتات الطرائف ، وحفظت بين دفتيها نتاج القرائح وحقائق السير والتاريخ
والاخبار ، ونصوص الشعر واللغة ، فاننا بلا مرأ نجد لها فى كتاب أمالى
المرتضى أو كما سماه صاحب غرر الفوائد ودرر القلائد ..

فقد نظم فى المقد الذى يضم كتاب الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ
وعيون الاخبار لابن قتيبة ، والمقد لابن عبد ربه ، والاغانى لابی الفرج الاصفهاني
وغيرها من الكتب التى حفلت فى سماء الآداب العربية كالنجوم ، وأرست قواعد لها
كالأطواد ، وعمرت بها مجالس العلماء وسوامر الأدباء .

وقد ^{كشها} انحلاها المرتضى في أزمان متعاقبة ، تنقل فيها من موضوع الى موضوع ، ومن غرض الى آخر .

فقد أول الآيات واختار طائفة من الأحاديث التي يختلف العلماء في تفسيرها وتأويلها ويبد والتعارض فيما بينها وحاول تفسيرها وتأويلها مستعيناً بشواهد الشعر واللغة .

ثم عرض لمسائل في علم الكلام مما اختلف فيها الرأي .. ودار حولها الجدل واصطرعت الأقلام وأقيمت المناظرات ، وكان فيما جادل وناقش رقيقاً في الجدل غيفاً في المقال .

كما أودع في الكتاب بجانب ما بسط من تأويل الآيات والاحاديث وعرض المسائل ، مختارات من المصطفى المنخول من الشعر وحر الكلام تناولها بالشرح والنقد والموازنة ، وذكر صدرها من تراجم العلماء والشعراء واصحاب الأهواء والآراء الخاصة .

واختار أيضاً بعض الموضوعات التي كانت مقاصد شعراء العربية في الجاهلية وصدر الاسلام كالمدائح والاهاجي والمراثي والسير ووصف الشيب والطف وغيرها ، وتناولها بالنقد في كثير من الاحيان .

وقد كان المرتضى بحكم ما جهز به من وقوف على اللغة وأساليبها ، وتأثير ما زود به من ثقافات متنوعة ، من أقدر ناقد عصره ان لم يكن أقدرهم جميعاً على التصرف في النص والتحكم في بواطنه وقضاياها ، وبلوغ أقصى ما يحتمله من دلالات .

ونخلص الى أن المرتضى كان يمشى الى الادب بروح المتكلم الفقيه ، ويسير في الفقه والاصول بروح الأديب وقلمه . بأسلوب جزل ورصين .

وأخيراً فلنطالع أسلوبه وجزاليته وروصاته ورقته في هذه النماذج الأدبية (١) :

(١) النماذج الاربعة من كتابه الأمالى الجزء الأول ص ٤٧ ، ٢٧٣ ، ٣٠٨ ، ٦٣٢ على الترتيب .

النموذج الأول : قال في مسألة عن المنافع

~~~~~

اعلم ان المنافع التي عرض الله تبارك وتعالى الاحياء لها ثلاث : منفعة  
تفضل ، ومنفعة عوض ، ومنفعة ثواب ٠٠ فأما المنفعة<sup>(١)</sup> على سبيل التفضل فهي  
الواقعة ابتداء من غير سبب استحقاق ، ولفاعلها أن يفعلها وله ألا يفعلها ،  
وأما منفعة العوض ، فهي المنفعة المستحقة من غير مقارنة شيء من التعظيم  
والتبجيل لها ٠٠ وأما منفعة الثواب فهي المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل ،  
فمنفعة العوض تبين من التفضل بالاستحقاق ، والثواب يبين من العوض بالتعظيم  
والتبجيل المصاحبين له ، فكان التفضل أصل لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه  
وتأخر ما عداه لأنه لا سبيل للمنتفع أن ينتفع بشيء دون أن يكون حيا له شهوة ،  
والابتداء بخلق الحياة والشهوة تفضل ، فقد صح أنه لا سبيل الى النفع بمنفعة العوض  
والثواب الا بتقدم التفضل ٠٠

### النموذج الثاني : في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي يسميها القوم

~~~~~

المسكة :

اعلم أن أجوبة المحاور والمناظرة انما تستحسن وتؤثر اذا جمعت مع
الصواب سرعة الحضور ، فكم من جواب أتى بعد لأي ، وورد بعد تقاعس ، فلم
يكن له في النفوس وقع ، ولا حل من القلوب محل الحاضر السريع ، وان كان
المشاغل أعرق في نسب الاصابة ، وأخذ بأطراف الحجة ، ولهذا قيل : أحسن
الناس جوابا وأحضرهم قريش ، ثم العرب ، وان الموالي تأتي أجوبتها بعد فكرة
وروية .

النموذج الثالث : تأويل آية :

ان سأل سائل عن قوله تعالى " سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها " وان يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا ، وان يروا سبيل الحق يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين . .

فقال ما تأويل هذه الآية ، على ما يطابق العدل فان ظاهرها كأنه مخالف له .

الجواب : أقول له : فى هذه الآية وجوه ، منها ما ابتدأناه فيها ، ومنها ما سبقنا به فحررناه ، واحترزنا فيه من المطاعن ، وأجبنا عما لعله يعترض فيه من الشبه .

أولها : أن يكون تعالى عني بذلك صرفهم عن ثواب النظر فى الآيات ، وعن العزوا للكرامة اللذين يستحقهما من أدى الواجب عليه فى آيات الله تعالى وأدلته ، وتمسك بها .

والآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة ، ويحتمل أن تكون معجزات الانبياء عليهم السلام خاصة ، وهذا التأويل يطابقه الظاهر ، لأنه تعالى قال : " ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين " فبين أن صرفهم عن الآيات مستحق بتكذيبهم ، ولا يلحق ذلك الا بما ذكرناه . . .

النموذج الرابع : عن العرض :

فأما قوله صلى الله عليه وسلم " كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه " .

فقد ذهب قوم الى أن عرض الرجل انما هو سلفه من آباءه وأمهاته ، ومن جرى مجراهم .

وذهب ابن قتيبة الى أن عرض الرجل نفسه ، واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر أهل الجنة ، فقال " لا يبولون ولا يتغوطون انما عرق يجري من أعراضهم مثل المسك " أى من أبدانهم . ومنه قول أبي الدرداء " أقروض من عرضك ليوم فقرك " أراد من شتمك فلا تشتمه ، ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به ، ودع ذلك قرضا عليه ليوم الجزاء والقصاص . . . وقال آخرون وهو صحيح : العرض موضع الطح والذم من الانسان ، فاذا قيل ذكر عرض فلان ، فمعناه ما يرتفع به أو ما يسقط بذكره ، ويحج أو يذم به ، وقد يدخل فى ذلك ذكر الرجل نفسه ، وذكر آباءه واسلافه ، لأن كل ذلك مما يحج به ويذم ، والذي يدل على هذا أن أهل اللغة لا يفرقون فى قولهم . . شتم فلان عرض فلان ، وبين أن يكون ذكره فى نفسه بتقبيح الأفعال ، أو شتم سلفه وآباءه ، ويدل عليه قول مسكين الدارمى

رب مهزول سمين عرضـــــــــــــــــه

وسمين الجسم مهزول الحسب

ولعلنا نكون بهذا قد اعطينا صورة واضحة عن نشره .

« الباب الثالث »

والمغزاة منه

الفصل الأول: المدح

الفصل الثاني: الفخر

الفصل الثالث: الرثاء

الفصل الرابع: الموالاة

الفصل الخامس: الغزاة

الفصل السادس: الوصف

الفصل السابع: الزهر

الفصل الثامن: الوعد والاعتبار

تمهيد :

الشريف المرتضى فى أغراضه الشعرية لم يكن بدعا فى الشعراء ، فقد طبع على غرار من سبقه من شعراء الأمة العربية الذين تنوعت أغراضهم الشعرية نتيجة لحوامل شتى فجاءت أغراضه متعددة متنوعة ، فصلاته بالخلفاء والملوك والأمراء والوزراء دفعت به الى المدح والتهنئة بشتى المناسبات ، كما أن تنوع معارفه وأصدقائه وتلامذته أدى به الى القول فى الرثاء والخطب والشكوى والاعتذار وأيضا أثر زهده فدفعه الى الكتابة فى بعض الأغراض الدينية ، كما أن اعتزازه بنفسه أدى به الى تعدد القول فى الاعتذار والحماة .

وعلى الرغم من اختلاف أغراضه ^(١) استطاع بشاعريته القوية ، وإغتنمه النافذة ، وضاحته الفياضة ، وقدرته الباهرة ، أن يبرز كل ذلك على طراز من التصوير ونعت من التعبير يجعله فى مقدمة الفحول من شعراء العربية .

وأهم أغراضه الشعرية ما يلى :-

- | | |
|------------|---------------------|
| (١) المدح | (٢) الفخر |
| (٣) الرثاء | (٤) الاخوانيات |
| (٥) الفضل | (٦) الوصف |
| (٧) الزهد | (٨) الوعظ والاعتبار |

وفيما يلى تتناول هذه الأغراض بالشئ المفصل :

(١) مقدمة الديوان ، سورة المرتضى من شعره ص ١٧ .

• الفصل الأول •

:: المدح ::

المدح تعداد لجميل المزايا ، وصف للشمائل الكريمة ، واطهار
للتقدير الذى يكتفه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا ، وعرفوا بمشمل
هاتيك الشمائل .

وليس من المفالة فى شئ أن نقول : ان المديح يعتبر فنى
شعر الحرب ، من أبرز الفنون الشعرية على الاطلاق ، رافق قيشارة
الشعر العربى منذ وجودها الأول فكان وترا رنان الصوت فيها .

يقول الأستاذ أحمد أبو حاقه فى كتابة فن المديح (١) :

• واذا كان لكل أدب من آداب الأمم ميزة تميز بها ، وفن اهتم
به من دون سائر الفنون ، فان ميزة الشعر العربى هى المديح ، حتى
ليكاد هذا المديح أن يطفى على كل ما جاء من مدائح لدى الأمم
جمعا .•

والحق أنه اذا كان المديح معاينة للفضيلة ، وذكر للمحاسن ،
وتمجيدا للبطولة ، وتقنيا بالمآتى العظام ، فأحرى به أن يكون مدرسة
أخلاقية للوقوف على أسباب الشجاعة والكرم والاباء والأنفة وحب المسجد ،
والطمح الى المحالى ، والعدل والحلم ، والمروءة ، وغير ذلك مما يصح
أن يمتدح به العظماء من رجالات القوم .

(١) فن المديح وتطوره فى الشعر العربى ، أحمد أبو حاقه ، الطبعة
الأولى آذار (مارس) ١٩٦٢ م ، منشورات دار الشرق الجديد ،
بيروت ص ١٥ .

ونرى أنه في الثالب ما يكون الشعراء الذين يخلقون الأهمية الكبرى على مثل هذه الصفات ، غير شاذين عن الرأي العام السائد فـسـى مجتمعاتهم ولا يمكنهم أن يمتدحوا أمراء إلا بما توافق الناس على اعتباره فضيلة ومظهرا من مظاهر العظمة .

والذى لا ريب فيه أن اقدام الشعراء على مثل هذا العمل يشكل اسهاما فعالا من جانبهم فى بلورة المثل العليا ، وخص الناس على الاتجاه نحوها . من هنا كان شعر المديح ذا فوائد جمة تضاف الى فوائد الفنية ، فهو علاوة على ما يحتويه من روعة التصوير ، وجمال التعبير ، ورهافة الحس ، وعمق الشعور ، وسعة الخيال واثارة الحوافف وتحريك الوجدان ، وإقامة المشاركة بين الشاعر وبين من يقرأ شعره أو يسمعه ، فإنه يطلعنا على أساليب المعيش لدى القوم ، وعلى عاداتهم وتقاليدهم وآدابهم العامة ، ونظمهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، كما يطلعنا على أخبار العظماء وأعمالهم ، ويؤرخ للأحداث الكبرى التى اشترك فيها هؤلاء العظماء .

جاء فى عدة ابن رشيق^(١) وفى نقد الشعر لقدامة بن جعفر^(٢) :

• ان الفضائل التى يمتدح بها الناس من حيث هم ناس ، لا من حيث هم مشتركون فيها مع سائر الحيوانات ، على ما عليه أهل الأسباب من الاتفاق فى ذلك إنما هى أربع : العقل والصفة والعدل والشجاعة .

ولكل من هذه الفضائل الرئيسية فروع ثانوية تنفرع منها .

وعلى سبيل المثال ، فتقابة المعرفة والبيان والسياسة والصـدـع بالحجة والعلم والحلم عن سفاهة الجهلة وغير ذلك مما يجرى هـذا

(١) عدة ابن رشيق ص ١٠٤ .

(٢) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ٣١ .

المجرى انما هى داخله فى باب العقل ، والقناعة ، وقلة الشهوة ، وطهارة
الآزار ، داخله فى باب الحفة . وهكذا .

وقد دفعت علاقات صاحبنا الشريف المرتضى بالخلفاء والوزراء والملوك
والقواد وسائر الوجهاء الى المدح الذى تدعو اليه المناسبات والمجاملات
والحاجات ، والشريف المرتضى فى مدحه للخلفاء والملوك والوزراء عزيز
الجانب ، طاهر الشم يتناوله برفق ، ويعالجه بهودة ، ويحاوله
بحكمة ، فلم يؤوله الممدوح ، ولم يجعل نفسه مطية له ، ولم يرض أن
يرفعه وينحط أمامه ، بل أننا نراه يمدحه بما أراد من كلمات ويضفى
عليه ما شاء من الصفات من غير أن يكون ذلك على حساب عزة نفسه ،
وشرف أصله ، ونبل محتده ، وسمو أسرته وطهارته وكبريائه ، بل أننا
نراه أحيانا يمزج المدح بالفخراؤ الحامسة .

ومن أمثلة قصائده فى المدح ما قاله فى عيد الفطر سنة ٤٣٢ هـ
مادحا القائم بأمر الله فى قصيدة رقيقة : (١)

عليك أمير المؤمنين سلامي * وفى يدك الخولى زمام^٢ غرامى

فى الشطر الأول نجد المرتضى قد حيا الخليفة تحية لا تخلو من
براعة فى الاستهلال ، حتى يصل فى الشطر الثانى أن يضح فى يد
الخليفة الطولى زمام غرامه دليل المحبة والود ، فالشعراء يضعون أزمسة
الغرام فى أيدي من أحبوها .

(١) الديوان ج ٣ ص ٢٥٠ .

وَأَنْتَ الَّذِي لَمَّا بَلَغْتَ دِيَارَهُ

بَلَغْتَ الْمُنَى عَفْوًا وَنَلْتَ مَرَامِي

يتطلف السيد المرتضى ويقول للخليفة أنه حينما بلغ دياره قد نال المرام وبلغ المنى .. وليس هذا - كما نرى - اشعار من المرتضى بأن بلغ دياره لم يكن حينها ولم يأت سهلا كما ورد في أدب المرتضى^(١) فقد سجل التاريخ أن الشريف كان أول البايعيين للقائم بأمر الله وكان مقربا لديه فلم يكن في حاجة الى الشعور ببعد ديار الخليفة عنه وعدم قدرته على الوصول اليها ولكن قوله في البيت المذكور من باب أدبه ولطفه وتواضعه وزهده *

ومن القصيدة قوله :-

وَحُبُّكَ تَارِيْفِي سَوَادٍ جَوَانِجِي

وَأَنْتَ صَبَاحِي فِي سَوَادٍ ظَلَامِي

لقد أثوى المرتضى حب الخليفة في سواد قلبه ، وقد يكون قصده سبداً قلبه ، كما أنه جعله ذلك الصباح الضير في سواد ظلامه ، ومن اللطيف أن يجعل المرتضى حب الخليفة في سواد جوانحه ، والتالي فهو الصباح في سواد ظلامه *

ومنها قوله :

فَوَادِيكُمْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُفَهَّقٌ * مِنَ الْحَرْفَيْنَا وَالْبَحُورُ طَوَامٌ^(٢)

في هذا البيت يمدح المرتضى الخليفة القائم بأمر الله ويذكر أن رادى كرمه ممتلئ ومحوره واسعة ولا ينسى أن يحمد الله على ذلك *

(١) أدب المرتضى ص ٢٧٤ *

(٢) مفهق : ممتلئ *

ثم يأتي الى قوله :

هنيئاً بهذا العيد يا خير مفضل
 كما كنت عمر اليوم خير صيام
 فان تركوا مأكلاً ومشارباً
 فانك تترك لكل حرام
 وان جانبوا بعض الآثام تورعوا
 فانت الذي جانبت كل آثام

فهو يهنئ الخليفة بالعيد ويمدحه كخير مفضل كما كان خير صائم
 ويقول ان الناس وان تركوا في رمضان المأكول والمشرب فانه دائماً
 يترك المحرمات ، وان جانب الناس بعض الآثام وابتعدوا عن بعض
 الذنوب من الورع فهو قد جانب كل آثام .

ولقد سبق ان ذكرنا بعضاً من قصائد الشريف التي نظمها في
 مدح أسرته وكذلك في بعض الخلفاء ، وفيما يلي نتناول نماذج أخرى
 في هذا الغرض :

قال يمدح بها الدولة ومهنته بالمهرجان الواقع في صفر سنة ٤٠٢هـ (١)

قصيدة مطلعها :

أمن أجل من سارت بهن الأباعر
 ضحى والهوى فوهن قلبك طائر

ومنها قوله :

إلى ملك الأملاك أعلمت ما دحا^١
قوافي تتاب^٢ العُلا وتزاور^٣
نواز لا يدنو الكلال^٤ وجيقها
ولا يتشكى^٥ أيهم^٦ الصافر^(١)
حملن إليه من ثنائس بفضل^٧
وانعامه ما لا تقبل^٨ الأباغر^٩
إلى حيث حل^{١٠} المجد جماً عديده^{١١}
وحيث يكون السؤدد المتكاسر^{١٢}
فأنت الذي أوليتني النعم التي
تغيب^{١٣} النجوم الزهر^{١٤} وهي ظواهر^{١٥}
غرائب لم تهق^{١٦} إليهن^{١٧} فكرة^{١٨}
ولا احضرتها في القلوب الضائ^{١٩}
عرفت بهن^{٢٠} الناس لما أصبني^{٢١}
فبان صديق^{٢٢} أو عدو^{٢٣} مكاشير^{٢٤}
كان^{٢٥} الذي يثنى بهن^{٢٦} وما وفي^{٢٧}
بجلائهن^{٢٨} كافر^{٢٩} وهو شاكس^{٣٠}
وقيلك ما فت^{٣١} الملوك فلم يكن^{٣٢}
لتوجانهم^{٣٣} من نظم لفتى جواهر^{٣٤}
إلى أن مضى^{٣٥} عنى^{٣٦} ومن كان بعده^{٣٧}
ومسارت^{٣٨} بتقرضى^{٣٩} علاك^{٤٠} السوائر^{٤١}

(١) الوجيف : ضرب من السير السريع ، والأهن : التعب .

فناءٌ حَدَّثَهُ مِنْ عَمَلِكَ كَرَامَتٌ
 ثَقَالَ عَلَى الْأَعْنَاقِ غَرُّ غَرَائِرُ
 كَانَتْ أَنْشُرَهُنَّ رَبُّ لَطِيمَةٍ
 تَجَمَّعَتْهَا فِي سَوْدِ دَارَيْنِ عَاطِرُ (١)
 فَهَبَّ لِي مَا فَرَّطْتُ فِيهِ وَمَا مَضَتْ
 ضِيَاعًا بِهِ عَنِّي السَّنُونُ الْفَوَائِرُ
 وَدُونِكَ مَنَى الْيَوْمَ كُلَّ قَصِيدَةٍ
 مَهَذَّبَةٍ قَدْ ثَقَّتْهَا الْخَوَاطِرُ
 إِذَا أُنْشِدَتْ قَالَ الصَّيْخُونَ هَكَذَا
 تَنْظُمُ فِي أَهْلِ الْفَخَارِ الْمَخَاخِرُ

ومنها :
 وَهَنَّتْ يَوْمَ الْمَهْرَجَانِ فَانْسَاءُ
 زَمَانُ كَرِهَرِ الرُّضَى أَخْضَرُ نَاضِرُ

* * *

وقال ضمن قصيدة يمدح فيها سلطان الدولة بن بهاء الدولة
 في النيروز من سنة ٤١٦ هـ (٢) :

- (١) أنشورهن : أنشورهن من ثا الحديث اذا نشره وأنشاه ، واللطيمة :
 العنبرة لظمت بالمسك ، وجمعها : نشرها ، ودارين : فرضة
 بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند .
 (٢) الديوان ج ٢ ص ٤٩ .

لقد فقت الألى سلفوا ملوكاً
 كما فقت يعينهم اليساراً
 وجرتهم وما كانوا يطباءً
 وظلتهم وما كانوا قصاراً
 وكان الملك قبلك فى أناسٍ
 وما يلفوا الذى لهديك صاراً
 ولو أن الألى من آل كسرى
 رأوك عسوساً بالدنيا اقتداراً
 لما عقدوا على فؤديده تاجاً
 ولا جعلوا بمعصمه السواراً (١)
 وأنت أشفهم خلقاً وخلقاً
 وأكرمهم وأزكاهم نجاراً (٢)
 وأظهرهم - وقد ظفروا - امتاناً
 وأطهرهم - وقد قدروا - ازاراً

وأطعنهم بمذى خطيل وريداً
 وأضربهم بمذى فقير فقاراً (٣)
 فله انصلاتك نحو خطيب
 خلعت إلى تداركه المذاراً (٤)
 وحولك كمل أباء حارون
 يحترم فى مكارمه الفزاراً (٥)

-
- | | |
|-----|------------------------------------|
| (١) | الفوم : جانب الرأس مما يلي الأذن . |
| (٢) | النجار : الأصل . |
| (٣) | ذو خطل : الريح ، وذو فقر : السيف . |
| (٤) | خلق العذار : ترك الحياء . |
| (٥) | الحرون : المستحق والصعب القياد . |

إذا ما هجته هيجت منه
وقد حَذَقَ العُدَاةَ بهِ قِطَارَا^(١)
وَأَنْ أَيْقَظَتْهُ فِي لَيْلٍ شَغَبٍ
فَقَدْ أَوْقَدَتْ مِنْهُ فِيهِ نَارَا
عَادَ الدِّينَ خَلَّ عَنْ الْهَوِيَّتِي
فَإِنْ لِكُلِّ جَائِعَةٍ مَطَارَا^(٢)

ومنها أيضا :
أَزْرَتُكَ يَا مَلِيكَ الْأَرْضِ مَنِي
ثَنَاءٌ مَا اسْتَطَبْتُ بِهِ الْفَخَارَا
فَمَدَحُكَ قَدْ كَسَانِي الْفَخْرَ بَرْدَا
وَأَسْكُنِي مِنَ الْعَلِيَاءِ دَارَا

ويختصها بقوله :
أَدَامَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ فِينَا
وَحَوْلَكَ الْمَهَّةَ وَالْخِيَارَا
وَلَا زَالَتِ نَوَارِيضُ اللَّيَالِي
تَعُودُ لِمَا تُرْجِيهِ مَسَارَا
وَأَسْجِدُكَ إِلَهَ كُلِّ يَوْمٍ
سَعُودَا لَا تُحِطْ لَهُ مَسَارَا

(١) حَذَقَ بهِ : أطاف ، والعداة : الأعداء ، وقطارا : أى كالقطار المتصل
من الأهل .

(٢) الهويتي : الرفق ، والجائعة : الباردة .

ولا أعزى لكم أبداً شـاراً
ولا أقوى ولا أخلص دياراً^(١)
ولا أغنى بغير رضاك حكماً
ولا أجري به فلکاً مداراً

وقال يمدح أباه ويعرض ببعض أعدائه في قصيدة مطلعها :^(٢)
شدَّ عُرُوضَ المَطَى مُفْتَرِيساً
فلم يَفْزُ طالبٌ وما داباً
ومنها قوله :

لولاك كَانَتْ جَدّاً حائِلة
تُسَحِّحُ أخْلَافَهَا ولا حَلِيباً^(٣)
ومن عجيب الزمان أن يدعى
شَاوُكَ فَمَلَّ لم يعد أن كَذِباً^(٤)
لم يدر والجهل من سَجِيَّتِهِ
أنَّكَ أحرزت قلبه القَبِيلاً
وأنَّه لا يكون رأساً على إلا
قوام من كان فيهم ذنباً
وصمة فسى الرجال أن يطأوا
عقب امرئ كان بينهم عقباً

-
- (١) الشعار : الثوب الذي يلي البدن ، وأقوى : أقفر .
(٢) الديوان ح ١ ص ٥٥ .
(٣) جداء : ليس في ضرعها لبن ، والحائلة : المتغيرة ، والأخلاف : جصح
الخلف بالكسر وهو الضرع .
(٤) الشاو : الفاية ، والفسل : الرذيل لا مرؤة له .

أو يتعموا ساعة من الدهر من
 كان لمن شئت تابعا حقيبا (١)
 وإن جرؤا كنت أنست غرتهم
 سيقا وكان الحزام واللبيبا (٢)
 وقد درى كل من له بصير
 أنك سدت العجيم والحرى
 وقدتهم ناشئا ومنتهيبا
 ونبت عنهم تكهلا وريبا
 وإن دجؤا كنت فيهم قسيبا
 أو خمدوا كنت فيهم لهبا
 وإن علا بينهم تشاجرهم
 سللت للقول مقولا ذريبا (٣)
 يأتى بفصل من الخطاب لهم
 يقطع ذاك اللجاج واللجبا
 كلمهم الرمح عند طعنته
 والسهم أصمى والسيف إن ضربا (٤)
 وكنت فيهم ممن يحاولهم
 حصنا حصينا ومحقلا أشبا (٥)

-
- (١) الحقب : المؤخر أو المردف كالحقيقة .
 (٢) اللبي (بالفتح) : سير يشد فى اللبة من صدر الدابة ليمنع استئثار
 الرجل .
 (٣) المقول (كمنجل) : اللسان ، والذرب : الفصح .
 (٤) اللهدم : الماضى من السيوف أو الأسلحة .
 (٥) الأشب : الوعر أو المصن .

وكان وقد حضر في بعض العشايا بحضرة وزير الوزراء ابي غالب
محمد بن علي الملقب بفخر الملك ، واعتق عرض ثياب من مناع هــ
بصرها وتقلبها ، فلما انصرف ، انتقد اليه من فاخر كل شئ ، رآه فيها
ومن كل جنس من أجناسه مقرونا بتوقيع يده : * حكم ثقيب الثمباب
للحاضر حكمه في الهدية * فكتب جوابا عن هذا التوقيع ارتجالا (١) :

ياخير باد في الأنام وحاضر
واحق مول في الزمان لشاكر
وأشق من وطأ الكواكب مرتقى
وأعز من ليث العرين الخادر
قد جاءني التّشريف منك كأنه
قطع الرياض عقيب غيث ماطر (٢)
وأنه برد الشهاب نضارة
أو بشر آونة الريح الزاهر
أنواب عز لم يكن للابس
الأرياش مفاخر وماثر (٣)
يجرون فوق ذرا المجرة عزّة
ويطرن فوق النسر ذاك الطائر (٤)
ولقد سننت شريعة للجود في
غير الهدية أنه للحاضر
لم تعرض ما شئ الكرام وكم لنا
من ناقص عن غاية أو قاصر

-
- (١) الديوان ج ٢ ص ٧٥ .
(٢) القطع (بالكسر) : البساط وما قطع من الأغصان .
(٣) الرياش : اللباس الفاخر .
(٤) النسر الطائر : نجم .

حتى جعلت لظهير أو ناظير
كل الذي رَمَقَهُ عَيْنُ الناظير
شَاطَرَتْنِي تَمْلِكُ النَّفَائِسَ قَاسِمًا
بَيْنِي وَبَيْنَكَ كُلَّ عِلْقٍ فَاخِرٍ (١)

ومنها :

الأول

هيهات منك الولون وإن هم
صاروا من المعروف خير هائير
سبقوا وجُزّت مداهم متمهلاً
سَبَقَ الكريمة للهجين العائير (٢)
فمتى أضفناهم إليك فانصبا
فسنا الشامد الى الخضم الزاخير (٣)
فاخروتيه فخر الملوك على الوري
وعلى الطوالح في المحيط الدائر
فلقد فضلت جميعهم بفنائيل
وفواضيل ومكارم ومكاشير
ومحاسن نظم الزمان لفرقتي
ملك الملوك بها سموط جواهر (٤)
واسلم وإن لقيت صررف زماننا
هذا الأنام معاشرًا بمعاشر

-
- (١) العلق (بالكسر) : الجوهر الثمين .
(٢) الكريمة من الخيل : الأصيل ، والهجين : المتولد من أبوين مختلفين .
(٣) الشامد : الماء القليل ، والخضم : البحر .
(٤) السموط : جمع السمط وهو الخيط مادام فيه الكلو .

فِي ظِلِّ مَلِكٍ ضَلَّ عَنْ أَيْدِي الرَّدَى
وَأَزُورُ عَنْ سَنَنِ الْحِمَامِ الزَّائِرِ (١)

ودراستی لديوان السيد المرتضى وجدته كثير المدح لفخر المملكه
بحيث يعد من أكثر من كتب فيهم الشريف مدحا (٢).
وقال يمدح جلال الدولة في عيد الفطر سنة ٤٢٦ هـ في قصيدة
مطلعها (٣):

لَمْسِي مَغْرُلٌ وَلَمْسُنْ سَلَاحُكُمْ مَنَزَلُ
فَدَعُوا الْعَذُولَ عَلَى هَوَاكُمُ يَعْزَلُ

ومنها قوله يهنته بالعید :
وَلَكِ الْجَدَائِدُ فِي حِلَابِكَ طَالِبَا
دُونِي وَفِي كَهْفِي الضَّرِيقُ الْخَفَلُ (٤)
فاسعد بهذا العيد وأبق لثلاثه
يعضى الوری ولك البقاء الأطول

وقال يمدح الملك بهاء الدولة ويهنته بالنوروز الواقع في شعبان
من سنة اثنتين وأربعائة بقصيدة مطلعها (٥):

(١) السنن (بالتحريك) : الطريق .

(٢) الديوان ج ١ ص ٣١ و ٨٣ و ١٧٢ و ٢٢١ و ٢٧٠ .

ج ٢ ص ٢٥ و ٢٠٤ .

ج ٣ ص ٣٦ و ٥٢ و ٥٦ و ١٠١ و ١٠٤ و ١٠٦ و ١٥٢ و ١٧٨ و ٢٧٥ .

(٣) الديوان ج ٣ ص ٢٧ . (٤) الجدائد : جمع الجداء وهي الناقة التي

ذهب لبنها ، والحفل : جمع الحافل وهي الضرع الممتلئ .

(٥) الديوان ج ٣ ص ١٧٤ .

أَرَقْتُ لِلْبَرْقِ بِالْعَلِيَاءِ يَضْطَرُّ
وَهَذَا وَغُهُ لَوْ أَنَّهُ أَمَمٌ (١)

ومنها قوله :

بَنَى بَوِيَّةً أَتَمَّ اللَّهُ نِعْمَتَكُمْ
وَلَا يَزِلُّ مِنْكُمْ فِي الْمَلِكِ مُحْتَكِمٌ
وَأَنْتَ يَا مَلِكَ الْأَمْلاكِ عَشْرُ أَبْدَاءٍ
فَمَا سَلِمْتَ لَنَا فَالْخَلْقُ قَدْ سَلِمُوا
وَأَنْعَمَ نِعْمَتَ بَذَا النَّيُّوزِ مُرْتَقِيًّا
إِلَى الْمَحَلِّ الَّذِي لَمْ تَرَقْ قَدَمٌ
مُتْلِفًا كَلِمًا تَهْوَى وَإِنْ قَصَّصْتَ
عَنْهُ الْأَمَانِي مَوْصُولًا لَكَ النِّعَمُ

وَقَالَ قَصِيدَةً يَمْدَحُ بِهَا الْوَزِيرَ أَبَا الْمَعَالَى عَبْدِ الرَّحِيمِ مَطْلَعُهَا : (٢)
عَنِ الْخِيَالِ لَنَا لِيَالِي الْأَبْرِقِ
وَالرَّكْبِ بَيْنَ مَسْهَدٍ وَمُسْوَاقٍ (٣)

ومنها قوله :

يَاسِيدُ الْوُزَرَاءِ مِنْ مَلَايِ وَمِشْنِ
آءٍ وَمَخْلُوقٍ وَمَنْ لَمْ يَخْلُقِ

-
- (١) الأم : القرب .
(٢) الديوان : ج ٢ ص ٣٥٢ .
(٣) الأبرق : الأرض ذات الرمل والحجارة والطين ، ومنزل من منازل بني عمرو بن ربيعة .

لا زلت بين تملك وتحكيم
ابداً وبين تصعيد وتحليق
فى خفض عيش لا يزول نطقه
عن ساحتك وظل عز محديق
للمدرك حيث تشتجر القنا
تحت المجاج على ظمور الصبق

ومنها :
أنا فى بنى عبدالرحيم مخبي
وأذا علفت فمهم متعلقى
وينشرهم عبق ولولا أنسه
يا صاحبي نشر لهم لم أعبق (١)
أعطيتهم ودى ولو بيدي المنى
شاطرتهم من مدتى ما قد بقى
ولو أن فى كفى الشباب وقد مضى
لئذله وخصتهم بالرياق (٢)
فى أى شعب من شعوب مرادهم
- حتى أتاهم - لم أخب وأعنى (٣)

-
- (١) النشر : الرائحة الطيبة ، وعبق به الريح : لعق .
(٢) الريق من الشباب : ابانه وأوله .
(٣) الشعب : طريق بين جبلين ، وناهم : أتى تهامة ، وأخب وأعنى :
من الخيب والعنى (بالتحريك) وهما ضربان من السير السريع .

فَبَايَ أَمْرٍ فِيهِمْ لِمَ التَّبَسُّ
وَمَايَ حِلٍّ مِنْهُمْ لِمَ اُعْلَسَقِ ؟
كَمْ أَنْقَذُوا مِنْ حَتْفِ كَرْبٍ وَاسِعٍ
أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ كَفٍّ خَطْبٍ ضَيِّقٍ
وَرَقَّوْا مِنَ الْغَلِيَاءِ مَا لَا يُرْتَقَى
وَأَتَوْا مِنَ الْغَايَاتِ مَا لَمْ يُلْحَقْ
وَمَتَّى رَأَيْتَهُمْ رَأَيْتَ تَقَرُّسِي
مِنْ دَارِهِمْ وَتَخَصُّصِي وَتَحَقُّقِي

وَقَالَ يَهْنِيءُ بِالْخَلَافَةِ الْقَائِمِ بْنِ الْقَادِرِ وَيَذَكِّرُ مَوَدَّتَهُ لَهَا وَيَمْدَحُهَا ،
تَصِيدَةً يَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا (١) :

أَقِيلَا فِشَانُكُمَا غَيْرُ شَانِي
وَلَسْتُ بِطَوَّعِكُمَا فَاتِرَا نَسِي

وَمِنْهَا قَوْلُهُ :
فَدَوْنُكُمَا دَوْلَةٌ لَا تَبِيدُ
كَمَا لَا يَمِيدُ لَنَا النَّيِّرَانِ
بِنَاهَا لَكَ اللَّهُ فِي شَامِخٍ
بَعِيدِ الرَّعَانِ رَفِيعِ الْقَنِانِ (٢)

-
- (١) الديوان ج ٣ ص ٣٣٨ .
(٢) الرعان : جمع الرعن وهو أنف الجبل ، والجبل الطويل والقنان : جمع القنة كالقنة من الجبل زنة ومعنى .

فقد علم الملك ثم الملوك
 أنك أولاهم بالرهبان
 وأنك أضرمهم بالصيام
 وأنك أطعمهم بالسنان
 وأنك أبدلهم للبدور
 وأملأهم في قري للجفان
 وأنك سلما وحيا أحق
 بظهر السرير وظهر الحصان
 وأنك في خينات الخطوب
 أبعدهم عن محل اللبان
 فله درك يوم التوت
 عليك الخطوب التواء الثاني
 وقد ذهبوا عن طريق الصواب
 وأنت عليه وما ثم ثمان
 دعوك إليها دعاء الركوب
 سري الليل للقر الأضحيان (١)
 وقالوا لهم إلى خطير
 تفتيح بالشر لا بالشنان (٢)
 عشية لأموا ثمار النكول
 وذاقوا جنى عجزهم والتواني

(١) الأضحيان : والضحيان : الضئ .

(٢) الشنان : جمع شنان ، وهي القرية الصغيرة الخلق ، وقمقق لسه
 بالشنان : روعة بما لا حقيقة له .

ولاحت شواهـد مشنـورة
ودل على النار لون الدخان
وأشمرنا الحزم قبل اللقاء
بيوم يسيل ردى أردنان^(١)
وأنت على ظهر مجدولة
من الشد والطرد جدل العنان^(٢)
لأن الذى فوقها راكب
قرا يذبل أو سرائى إبان^(٣)
الى أن جذبت صباب الرقاب
وشم المخاطم جذب العيران^(٤)
وغيرك ينعدم فى فائت
وليس له غير غنى البنان

ومنها قوله :
فياؤكـن أدياننا والجمال
لملتنا فى نأى أو تـدان
أبوك الذى سامنى مدحـه
ومازلت عنه طويل الحـران^(٥)

-
- (١) الأردنان والأردن : ما خالطت حمرة صفرة .
(٢) المجدولة : المفتولة .
(٣) القرا : الظهر ، ويذبل : اسم جبل ، والسراة : أعلى الشىء .
كظهر البعير وغيره ، وأبان : جبل .
(٤) المخاطم : الأنوف ، والعيران (بالكسر) : عود يجعل فى وتـره
أنف البعير .
(٥) الحران : صهوة الانقياد .

إلى أن ثناني إليه السواد^١
 منه وكرمني فاشتراني
 وما زال يجذبني باليدين
 حتى عطفني إليه عناني
 ولما رقاني ولم أعيه
 وأعييت من قلبه من رقاني^(١)
 فسيرت فيه من الصائبات
 دراكاً نحور العدا والمعاني
 واطربته بغنائ المديح
 فأغنيت عن غناء القيان
 فخذ مني اليوم ما شئت من
 صنيع الضمير ونسج اللسان
 كلاماً يفرور إليه البليد^٢
 ومنقلبه سرعاً كل وإن
 شمساً يبرج بالهاغبين
 ولما هتفت به ما عساني^(٢)
 غنياً بمنعتي لم يطف
 بلفظ فلان ومعنى فلان
 فلو رامه الأفق ما ناله
 ولولاك كفوا له ما عداني

-
- (١) رقاء : قرأ عليه الرقية ، وهي العوذة .
 (٢) الشمس : من الخيل وغيرها : من صعب قيادة وامتنع على راكمه .

وقال وكتب بها الى الوزير أبى الفرج محمد^(١) بن جعفر بن قسانجس قصيدة مطلعها^(٢) :

ما ضرَّ طيفك لو والى زيارتى
ما بين تلك المحانى والثنيات^(٣) ؟

ومنها قوله :

لأنت من دون هذا الخلق كلهم
أحقّ فينا وأولى بالمسئولة
قد نسي إليك فما يقتادني بشر
إلا فتى كان مأوى للفضيلات
وأشدد يديك بما ناولت من مقتى
ومن غرامى ومن ثاوى موداتى^(٤)

ومنها قوله :

وأنت من معشر تروى فضائلهم
سادوا على أنهم أبناء سادات
البالغين من العليا ما اقترحوا
والقائمين بصعوبات الملوك

(١) من أسرة قسانجس التى نبغت فى أيام بنى بويه ، وأبو الفرج هذا هو ذو السعادات وزير الملك أبى كالجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة ، أخباره فى المنتظم (ج ٨ ص ١١٦ و ١٢٩) وفى الكامل لابن الأثير فى حوادث السنين ٤٣١ و ٤٣٧ و ٤٤٠ .

(٢) الديوان ج ١ ص ١٣٥ .

(٣) المحانى : جمع المحنة والحنية (يفتح الحاء وتسكين النون) منعطف

الوادى والثنيات : جمع الثنية وهى الطريق فى الجبل أو المقبة .

(٤) مقتى : مهتى .

ويشهدون الوقي من فرط نجدتهم
والرعب فاش بالباب خليات
كان ايديهم في الناس ما خلقت
إلا لهذا الأيادي والعطيات
مقدمين على كل الأنعام عالا
محكمين على كل القضايا
فإن تقسمهم تجدهم منزلا ونسلا
طالوا النجوم التي فوق السماوات

وقال وكتب بها الى الوزير أبي المعالي (١) بن عبد الرحيم عند
عودته من سقى الفرات قصيدة يقول في مطلعها (٢) :

لم يبق لي بعد المشيب تصابي
ذهب الشباب وعده أطرابي

ومنها قوله :

عج بالوزير أبي المعالي أينقي
واجعل إليه غيبي وإيابي (٣)
واقطع به - كي لا أسافر - أنسعي
واعقر له - كي لا أهرم - ركابي (٤)

(١) هو عميد الدولة وإكفاة محمد بن أبي القاسم الحسين بن علي بن عبد الرحيم ، وكان جده علي بن عبد الرحيم من عمال عند الدولة

البويهية ، ترجمة ابن الجوزي في المنتظم ج ٨ ص ١٣٤ .

(٢) الديوان ج ١ ص ١٠٦ . (٣) الأينقي : جمع الناقة .

(٤) الأنسج : سير من جلد مظفور تشد به الرجال ، وأريم : افارق .

فهو الذى قد كنتُ عمرى أبتغى
وأرومُ مقترحاً على أنصابتى^(١)
وإذا بلّغتنِ بى المُنَى موفورةً
فشعابُ غير المدلجين شعابتى^(٢)
لى من وداذك واصطفائك رهبةً
حُبُّ أتيه به على أحابى
وإذا ملأت من الثناء سامعى
فكأن ملأت من الثراء عيابى^(٣)
وإذا رضيت فقد حظيتُ فأنسى
أرضى بأن ترضى وذاك طلابى
لى كل يوم من جميلك منةً
غراءُ تأتيبنى وتقرعُ بابى
وكرامةً لم يدن منها مكرمٌ
عقتُ بها دون الأنام ثبابى
كرمتنى فملكت منى ريقاً
تأبى أنعتاقاً يوم عتق رِقَابى^(٤)
وتركنى وقفاً عليك إقامتى
والى ديارك مؤلى ومأبى
كم لى إليك شفاعَةٌ مقبولةٌ
وتدأُ مسموع النداءُ مجاب

-
- (١) الأنصَاب : الفنايات • (٢) المدلجون : السائرون ليلاً •
(٣) العياب : جمع عيبة وهى الوعاء •
(٤) الريقة : حبل فيه حلق كالعرى ترهق به (أى تشد) المواشى •

وقال وكتب بها الى الوزير أبى على الحسن بن حمد يشير عليه
بمخاللة قوم من أعدائه كانوا أشاروا عليه بالخروج من بغداد ، ويمدحه
فى قصيدة يقول مطلعها (١) :

أيا ظبيّةً فى رُسى جاسِم
سُقيت حيا واكفِ ساجِم

ومنها قوله :

أقول وقد بشروا بالوزير
ألا مرحبا بك من قـاـدِم
وردت ورود زلال السحاب
شِن على كبدِ الحائِم (٢)
وكنا وأنت بعميد المزار
نشرا فرادى بلا ناظم
نصائحُ فيك عيون العُدَاة
ونحذر من قبضة الظالم

ويبدى له النصيح فى قوله الذى أنهاه بمدحه :

وانسى أشير برأى يضِمُّ
إلى النصيح تجرّبة العالم
أقم حيث يشجى بك الحاسدو
ن واخل الهوادة للنّادم

(١) الديوان ج ٣ ص ٢٢٣

(٢) الطائم : العطشان .

وكن غصةً في لَهَاءِ الْعَدُوِّ
 ورغماً على مَعْطِيسِ الرَّائِمِ
 ولا تَعْمَدَنَّ عَنْ نَدَاءِ الرِّيحِ
 وعن هَبَّةِ الثَّائِرِ الْعَازِمِ
 فلا بدَّ من وَبْئَةٍ لِلذَّئَابِ
 طَلَسَا إِلَى الْفَنَمِ السَّائِمِ (١)
 ولستُ بِمُسْتَطْطَىٍّ لِلزَّمَانِ
 وقد ضَمِنُوا سُرْعَةَ السَّالِمِ
 ولولاكَ كُنْتُ تُفَوِّرُ الْجَنَابِ
 نِ لَا اسْتَمِمْ إِلَى رَائِمِ (٢)

وقال يخاطب ويمدح الشريف نقيب النقباء (أبا الحسن) الزينبي
 ويصف ما رُجَّه الله تعالى من الطال بينهما (٣) :
 المصنوع المودع لها
 ألا إِنِّي وَهَيْتُ الْيَوْمَ نَفْسِي
 لِمَنْ هُوَ فِي الْمَوَدَّةِ مِثْلُ نَفْسِي
 وَمَنْ لَوْلَاهُ لَاسْتَوَيْتُ بَاتٍ وَرَدِي
 وَلَا اسْتَخَشَنْتُ مَسِيَّ عِنْدَ لَمْسِي (٤)
 فَنِي نَاطَ الْإِلَهَ بِهِ فَرَوَعِي
 وَلَفَّ بِأَصْلِهِ أَصْلِي وَجَنَسِي (٥)

-
- (١) الطلسة (بالضم) : كالفبرة وزنا ومعنى .
 (٢) الرائم : المحب والخطوف .
 (٣) هو أبو الحسن بن علي الزينبي نقيب العباسيين ، توفي بدار مصر سنة ٤٢٧ .
 (٤) الديوان ج ٢ ص ١٢٧ .
 (٥) استموا الورود : وجدده وميثا واستوخمه . (٦) ناط : علق .

أصول به على كلب الأعداء
 وأوى منه في هضبات قدس
 وضوء جبينه ليلاً وضحاً
 إذا قابلته بدري وشمس
 فقل للزنبى مقال خيل
 صريح الود لم يلبس بلبس

ومنها أيضا :

فداؤك أيها المحتل قلبى
 حياة مروع الأحياء نكس (١)
 يمرد قبل بارقة المنايا
 ويتخذ الهزيمة شر ترس (٢)
 فكم شاهدت قلبك من رجس
 وددت لأجلهم ما كان حسى
 حدث بأن عقدتهم ضعيف
 وكانوا فى الركابة فوق حدسى

ومما تقدم توهم مع المترجمين له من السابقين واللاحقين أنه
 لا يوضح فى قائمة الشعراء المادحين الذين لاهم لهم من وراء الأعمال
 بالخلفاء والسلاطين والوزراء والأعيان ، ونظم الشعر فى الاشادة بهم سوى
 جمع المال وتلقى المنح ، ولكنه ولا شك كان يقبل الصلات والهدايا

-
- (١) المروع : الخائف ، الفزع ، والنكس : منكس الرأس أى ذليل .
 (٢) يمرد : ينحرف ويهرب ، والترس : الصفحة المستديرة من الفولاذ
 يستعملها المحارب للوقاية من الضرب والطعن .

منهم التي لا تنم عن العن والفضل بين الواصل والموصول . فقد كان ممن
الشراء بحيث يترفع عن ذلك .

والظاهرة التي تستدعي الانتباه في مدائحه و خلوها - فسي
الغالب - من الجالفات التي ينكرها الدين ويأبأها العقل التي انتشرت
في عصره بشكل لم يسبق له مثيل . وسوف نعود - ان شاء الله -
لهذه النقطة بتفصيل أكثر عند التحدث عن آراء بعض النقاد في شعره .

وقد مدح رحمه الله كثيرا من أقاربه و كما مدح معاصريه من خلفاء
بنى العباس و ومن ملوك آل بويه - وخاصة من استولى منهم على بغداد -
ومدح وزراء العهد البويهى - وخاصة من كان يتعاون وياي في الحقل
السياسى - كما مدح أيضا العديد من أصدقائه (١)

(١) الديوان و قصائده في التهنئة والمدح :

ج ١ ص : ٣١٤٦ ٤٢٤ ٤٤٤ ٥١ ٥٥ ٥٥ ٣٤٦٢ ١٠٦٤٨٥٤٨
١٣٥ ١٧٧٥ ١٨٠ ٢٢١ ٢٣٦ ٢٤٠ ٢٤٦ ٢٥٣
٢٥٧ ٢٦٠ ٢٦٥ ٢٧٠ ٢٧٥ ٢٨٤ ٢٧٨
٢٨٨

ج ٢ ص ٧ : ١٩٣ ١٨٦ ١٨٣ ١٨١ ١٢٧ ٦٥ ٥٥ ٩٥ ٤٦ ٣٧
٣٦٢ ٣٥٢ ٣٣٨ ٢٩١ ٢١٤ ٢١٢ ٢٠٤

ج ٣ ص : ٦٦ ٦٤ ٦٠ ٥٦ ٥٢ ٤٩ ٤٥ ٣٦ ٢٧ ١٩
١٣٧ ١٢٦ ١٣٤ ١٢١ ١١٧ ١٠٦ ١٠٤ ١٠١ ٨٧
٢٢٥ ٢٢٣ ١٩٤ ١٩٠ ١٨١ ١٧٨ ١٧٤ ١٥٢
٢٩٦ ٢٨٥ ٢٧٥ ٢٧١ ٢٥٠ ٢٤٥ ٢٣٣ ٢٣٠
٣٣٨ ٣٣٣ ٣٣١ ٣٢٦ ٣١٧

الفصل الثانى

:: ((الفخر)) ::

ان طبيعة التجربة الشعرية تعبر عن تنازع الوجود وتحقيق الذات
واذا ما قدر للمرء ان ينتصر على العقبات التى تعترض سبيله ، ووفق نفسى
تحقيق مثله ومطامحه ، فان ذلك يورى لديه شعورا بالزهو والنبظة ، وأحيانا
بالمعظمة وأيضا البطولة .

والفخر تعبير عن الناحية الايجابية من صير الانسان ، انه تعبير
عن النصر والتكاثر ، والشعور بالرضا عن النفس وعن الوجود .

وكان الفخر فى الشعر الجاهلى وكذلك الشعر الأموى ، تعبيراً
عن نفس كثيرة الصخب ، كثيرة العجب بذاتها ، تشتت بالانفعالات النيفة ،
وتنصرهمها على المفاخرة بالأصل والكرم والشجاعة ، وما الى ذلك من
قيم مقررّة .

لقد كان الفخر يدل على انسان يرضى بواقع الوجود ، كما تواقع
الناس على فهمه ، مؤمناً بالدين ، يباهى أقرانه اذ يبرزهم ويتفوق عليهم
فى اكتساب الفضائل وفى البطولة .

أما فى العصر العباسى فقد غدا يعايش حضارة كبيرة التعقيد ،
ويلتفت الى الوجود التفات متفحص مدقق مدقق ، لا يقبل التقليد يقينا ،
ولا المادّات حقائق (١)

(١) فن الفخر وتطوره فى الشعر العربى ، ايليا حارى ص ١٩٦٥ طبعة
بيروت ١٩٦٠م . وجاء فى لسان العرب المحيط لابن منظور تقديم
الشيخ عبد الله الحلايلى ، واعداد وتصنيف يوسف خياط ، ونديسم
مرعشلى ، بيروت المجلد الثانى ص ١٠٦ ، الفخر والفخار مثل ==

ويختلف شعر الفخر من شاعر لآخر حسب ظروف كل منهم ، كما يؤثر في ذلك الأصل والنسب والموقع من المجتمع والآمال التي يرجو تحقيقها ويسعى إليها .

(وكان الشعر خلاصة مظهر الحاسة والفخر ، يستباح فيه أن يقول صاحبه عن نفسه ، أو عن قبيلته ما شاء ، بالصدق أو بالكذب ، بالحسب أو بالباطل .

وطبع الذوق العربي على استساغة ذلك ، دون مطالبة المفتخر بالقصد والاعتدال فيما يدعى لنفسه ، أو ينسب إليها ، فكان ذلك ممن أسباب حل الشعراء على الفلو فيما يدعون لأنفسهم من شمع وأبـاء ، وكرم وشجاعة ، وحلم وحزم ، وإن لم يكونوا من ذلك على نصيب (١)

وهذه بعض الأبيات من أقواله في الفخر :
يقول في إحدى قصائده (٢) :

أما الطريف من الفخار فعدنا
ولنا من المجد الطيد سنام (٣)
ولنا من البيت المحرم كلما
طافت به في موسم أقدامه

== نهر ونهر ، والفخر والفخار ، والفخارة والفخيري والفخورا : التصريح بالخصال والافتخار بعد القديم ، والتفاخر : التعظيم والتعظيم والتكبر ، والمفخرة (بفتح الخاء) الماثرة وما فخر به .
(١) أدب المرتضى ص ٢٦٢ .

(٢) الديوان ج ٣ ص ١٦٤ .

(٣) الطريف من المال المكتسب ، ويقابله التليد وهو الموروث .

فيقول ان الفخار لدينا موروث وتلبد ولنا أعلى درجات المسجد
وقمة سنامه ولنا من البيت الحرام في كل المواسم المكانة الأولى ، حيث
أضاف :

ولنا الحَطِيمُ وَزَمَزَمُ وَتَرَاتِنَا
نَعْمَ التَّرَاتُ عَنْ الْخَلِيلِ مَقَامُهُ (١)
ولنا المشاعر والمواقف والذي
تهدي إليه من منى (أنعامه
وَجَدْنَا وَمِنْهُ رَحِيمٌ عَنِ الدِّ
بيت الحرام وَزُعْزَعَتْ أَصْنَامُهُ (٢)

ومن افتخاره بوالده قوله (في نفس القصيدة أن أيامه غمره
برغم ما يكيد الأعداء :

وَأَبِي الَّذِي تَدُو عَلَى رِغْمِ الْعِرَا
غَرًّا مَجَلَّةً لَنَا أَيَّامُهُ

ومن قصيدة أخرى يفخر فيها بأن منهم النبي والصنو على
ابن أبي طالب ، والبهلول والحسين والحسن والمباين . . يقول (٣)

مِنَّا النَّبِيُّ وَالْوَصِيُّ صِنُّوهُ
ثُمَّ الْبَهْلُولُ وَالْحُسَيْنُ وَالْحَسَنُ
وَعَمُّنَا الْعَبَّاسُ ، مَنْ كَفَّنَا
أَنْبَاءَهُ الْفَرُّ مَبِيعُ الزَّمَنِ

-
- (١) الحطيم وزمزم والمقام : مواضع مقدمة في المسجد الحرام .
(٢) الصنو : الشفيق وابن العم ويريد به علي بن أبي طالب .
(٣) الديوان : ج ٣ ص ٤٧ .
(٤) أدب المرتضى ص ٢٦٤ .

وفى رأينا ، أن الشريف المرتضى يعد من أصدق الشعراء لهجة
وأكثرهم وصلا بين ما يفعل وما يقول ، فالرجل من الأسرة العلوية ففى
أزكى الفروع وأعلاها ومن المكانة الاجتماعية فى صدر المنتدى المهييب ،
ومن العلم والأدب وأصالة الرأى حيث يشار اليه بالبنان ، ولا تكساد
تعبر وريقات من ديوانه الا واجهتك قصيدة فاخرة ، أو مقطوعة متحمسة ،
يجرى الفخر فيها من روافد لا تكاد تنضب غزارة .

والقصيدة الرائية التالية ، شاهد على ما ألم به . . فخر السيد
ذو معانى خلقية مثالية ، وهى كثيرة الشبه بقصيدة المتنبى (١) .

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيدا وما قولى كذا ومعنى الصبر
فى الوزن والروى والأغراض ، وهى ليست دونها فى المعانى وفى
استيفاء وجود الفخر ، والقصيدة تقول (٢) :

لَقَلَّ غَنَاءُ الْعَتَبِ وَالْمَجْرُمِ الدَّهْرِ
ضَلَّتْ أَمَانٌ لَا يُبَلِّغُهَا الْعُمُرُ (٣)
لَعَمْرُ الْحَلَا لَا ظَلَّتْ طَوْعَ شَكِيَّةٍ
وَأَنْ كَانَ قَلْبِي مَا يَحِلُّ بِهِ وَتَرُ
لَكَ اللَّهُ قَلْبًا مَا أَقَلَّ اكْتِرَائُهُ
بِمَا يَتَفَادَى مِنْ تَحَطُّهِ الصَّبْرِ

(١) أدب المرتضى ص ٢٦٤ .

(٢) الديوان ج ٢ ص ٧ .

(٣) لقل : فى جواب قسم محذوف مقدر .

وسيان عندي سرورة وخاصة
 قنوى اثرائى وللجيز العسر (١)
 هجرت فضول العيش إلا ألقها
 وفى القوم من يداوى على حلمه الوفير (٢)
 أغف وأسباب المطامع جملة
 وأعلم والألباب يخدمها المكسر
 لكل زمان خطة من مذاهبي
 وأشقى الورى من لا يصرفه الدهر
 ولم أر إلا من يهوى عند شديدة
 ويأخذ من وافي تجلده الضر
 صمت ولم أصمت وفى القول فضلة
 وقلت فلم يأنس بمنطق الهجر (٣)
 وإنى قليل الريث فيما يرمنى
 لذاك ركابى ليس يحظى بها هجر
 غنى بنفسى عن عديدى ومحشرى
 وإنى من يلقى على غيره الفخسر

-
- (١) الخاصة : الفقر .
 (٢) الوفير : المال .
 (٣) الهجر (بالضم) : الفحش والقبح فى الكلام .

طوى عني الانصاف من غير ريب ^{صغر}
وما بي الى الانصاف من أحد ففر
الا ليت شعري هل أرى غير صاحب
على تلظى سره ولي الجمهر
فما أمتري إلا وفاء ^{مسرراً}
مديفاً ينادى من جوانبه الفدر ^(١)
إذا ما ترامت بي سجايا مخالل
فأهون ما ترمى يداي له الهجر ^(٢)
صديقك من ارضي مفيك قوليه
ولم يحره من فح عهدك ما يحسو
أما وأبي ما بت طوع مضيمية
وقد عرفتني نفسها البيض والسمو
أبيت انقياداً للأنام بجله
وذاك صنيع يستجيب له الشكر ^(٣)
يود رجال أن أهش إليهم
وقل عن الشحنا ما ينفع البشر
وأنسى بي من لا يلين قياده
خلائق طالت أن يطاولها ذكر

-
- (١) أمتري : معناها هنا اكسب ، والصرد : القليل ، والمديسق :
الممزوج غير النازل .
(٢) المخال : الصاحب .
(٣) البكر (والفتح) : الفتى من الابل .

عَدِمْتُ الْمُنَى مَا أَكْدَرَ الْعَيْشَ عِنْدَهَا
 وَلَوْلَا الْمُنَى مَا اسْتَجِدَّ السَّفَرُ السَّفَرُ^(١)
 وَمَنْ عَمَرَتْ دَارُ الْمُنَى مِنْ هَمِّهِ
 تَمَادَى وَرَبَّحَ الْمَجْدَ مِنْ مِثْلِهِ قَقَرُ
 وَمَا كَلَفَنِي بِالْمَمَرِ أَهْوَى وَفُورِهِ
 وَعِنْدَ الْفَنَاءِ يَسْتَوِي الْغَزَرُ وَالْدُّثَرُ^(٢)
 وَدَاءُ الْوَرَى حُبُّ الْحَيَاةِ وَشَدَّ مَا
 تَفَاقَمَ خُطْبُ الدَّاءِ مَا كَانَ لَا يَسْبِرُ
 بِنَفْسِي مِنْ لَا يَقْبِضُ اللَّوْمَ سَمُّهُ
 وَلَا يُجْتَنَى مِنْ فِرْعَ مَنَاطِقِهِ عَذْرُ
 جَرَى إِذَا ضَاقَ الْمَرَاكُ بِأَهْلِهِ
 مَلَأَ إِذَا أَكْدَى مِنَ الْأَمَلِ الصَّدْرُ^(٣)

وَيَخْتَمُ قَصِيدَتَهُ بِقَوْلِهِ :
 وَهَلْ مِهْجَى قَدَرٌ رَضِيَ النَّاسُ مِثْلَهُ
 إِذَا كَانَ هَمِّي لَا يَحِيطُ بِهِ قَدْرُ
 سَقَى اللَّهَ دَهْرًا لَمْ أَطْعِ فِيهِ رَقِيبَةً
 وَلَمْ يَنْهِنِي مِنْهُ مَالٌ وَلَا زَجَرٌ^(٤)

-
- (١) السفر (بفتح السين) : المسافرين •
 (٢) الفناء : الموت والهلاك • والنزر : القليل • والدثر : الكثير •
 (٣) الطوى : الكافى الثقة • والفنى المقتدر • وأكدى : افتقر وقل خيره ومخل •
 (٤) الرقبة : الرقباء •

نصيبك مما يكر الناس ذكركه
ومحصله في عرض أفعالهم ننزر^(١)
فللمجد ما أهوى البقاء وريثا
جاني به عمر ودافني عمر

وقال في الافتخار قصيدة أخرى مطلعها^(٢)
لي من رضاك ما يفني عن السراج
ونور وجهك في الظلماء مباح^(٣)

ومنها قوله :
قل للذين أرادوا مثل مفخرتي
أنى لكم مثل غزاتي وأوضاحي^(٤)
وهل تهيتون إلا في حى كفى
وفى خفارة أسيافى وأرامحى ؟
من فيكم وقد اشتدَّ الخصامُ له
من دونكم مثل إياحى وأفاحى

-
- (١) النزر : القليل ، أى نصيبك مما يجمع الناس من المال حسن الذكر .
(٢) الديوان ج ١ ص ٢٠٣ .
(٣) الرضا (بالضم) : الرقيق أو رغبة العسل . والراج : الخمر .
(٤) الفرة : بقعة بيضاء تكون في جهة الفرس ، والأوضح : جمع
الوض وهو البياض .

وقد بلغت مراماً عزّ مطلبه
 لم تلبسوه وحيى غير أطلح^(١)
 وكم ثوت منكم الأحوال فاسدة
 حتى صرفت إليها وجه إصلاح
 لا لذة لى فى غير الجميل ولا
 فى غير أودية المعروف أفراحى
 دفعت عنكم بما تجلوا القيون وقد
 دفعت الشر عجزاً عنه بالراح^(٢)
 سمان سرى وجهرى فى ظهارته
 ومستوى خمري فيه وترواحى^(٣)
 إن كان يحكم مالا يفارقكم
 فليس غير الأيادى البيض أراحى
 قوم إذا ركبوا يوماً على عجل
 ضاق الفضاء وسدوا كل صحاح^(٤)

-
- (١) اطلح : جمع طليح وهو الهزيل ، والعيس : الابل البيض مفرد هـ المذكر أعيس والأنثى عيساء .
 (٢) القيون : جمع القين وهو الحداد يعنى أنه دفع عنهم بالسيوف وغيرها مما تجلوها الصياقل ، والراح : الدعة .
 (٣) الظهارة : (بكسر الطاء) ما يظهر للعين ، والشعر (بالتحريك) : التستره والترواح : الرواح أو الذهاب بعد الزوال .
 (٤) الصحاح والصحاحان : المفازة .

ويختتم قصيدته بقوله هذه الأبيات :

تري جِئادَهُمْ في كُلِّ مَمَّـتَرَكٍ (١)
تُلْقِي من الأَرْضِ صَفَاحًا بِصَفَاحٍ
هُمُ الْبَحُورُ لَمَنْ يَعْتَادُ رِفْدَهُمْ
وَالنَّاسُ ما بَيْنَ أَوْشَالٍ وَخَضَاحٍ (٢)
لو طاولوا النِّجَمَ لَمْ يَطْلُعْ على أَحَدٍ
أو صاولوا النَّارَ لَمْ تَظْهَرْ لِقْدَاحٍ
أولَاكَ قَوْمٍ فَجِئُونَنِي بِمِثْلِهِمْ
في مَنْزِلٍ هَابِطٍ أو ظَاهِرِ ضَاحٍ
مَعَالِمٌ لا مَرُورُ الدَّهْرِ يُخْلِقُهَا
ولا يَخَافُ على مَحْوِ لَهَا مَاحٍ

ومن أقواله المعروفة في الفخر ، قوله هذه القصيدة التي يقول مطلعها:

برِئاعِكُمْ يَا أَهْلَ يَثْرَبَ حَاجِجِي
وعَلَيْكُمْ دُونَ الْأَنْعَامِ مَحَاجِجِي (٣)

ومنها :

وَأَنَا الَّذِي اسْتَوْتَنْتُ ذِرْوَةَ هَاشِمٍ
وَحَلَلْتُ مِنْ عَدْنَانَ فِي الْأَثْبَاجِ (٤)

-
- (١) الصفاح : الحجارة الصريضة .
(٢) الأوشال : جمع الوشل وهو الماء القليل والضخاح مثله .
(٣) الديوان ج ١ ص ١٧١ . (٤) المعاج : الاقامة .
(٥) الاثباج : جمع الثبج ، وهو من الشئ أعلاه ووسطه وما بين الكاهل والظهر .

وَالزَّاحِمِينَ تَرَفَعْنَا وَنَنْزَعُنَا
 لِلطَّالِعَاتِ رُجُىً عَنِ الْأَمْجَاجِ
 وَالسَّاجِدِينَ إِلَى دِيَارِ عَدُوِّهِمْ
 أَذْيَالُ كُلِّ مَعْضِلٍ رَجَمَاجِ (١)
 كَالْبَحْرِ تَلْتَمِعُ الْأَسْنَةُ وَالظُّهَى
 فِي قَعَرِهِ بَدَلًا مِنَ الْأَمْوَاجِ
 يَحْوِي رَجَالًا لَا يَالُونِ السَّرْدَى
 إِلَّا رَدَى فِي غَيْرِ يَوْمٍ هَيْجِ
 نَبَذُوا الْحَيَاةَ وَأَمْجَاجُوا أَرْوَاحَهُمْ
 بَيْنَ الْمَنَآيَا أَيْمًا إِمْرَاجِ (٢)
 وَأَتَوْا عَلَى صَهَوَاتٍ جُرُودٍ ضَمَرِ
 مَلَأَى مِنَ الْأَلْجَامِ وَالْإِسْرَاجِ (٣)
 أَكَلَ الْفِوَارُ لَحْمَهَا وَتَعَرَّقَتْ
 أَوَالِهَا أَنْيَابُ كُلِّ فُجْجَاجِ (٤)
 فَاتَتْ كَمَا شَاءَ الشَّجَاعُ خَفَائِفًا
 مِثْلَ الْقِدَاحِ تُجِيلُهُنَّ لَحْمَاجِ (٥)

-
- (١) المعضل من الجيوش : الكيف الذى تضيق به الأرض ، من عضل المكان
 اذا ضاق بأهله ، وجيش رجراج : اذا كان يعوج ولا يكاد يسير .
- (٢) أَمْجَاجُوا : غَلَطُوا ، وَالْأَمْجَاجُ : الْخَلْطُ .
- (٣) الصَّهَوَاتُ : الظُّهُور ، وَضَمَرُ : ضَامِرَاتُ .
- (٤) الْفِوَارُ : مَصْدَرُ غَاوَرٍ وَهُوَ كَالْفَارَةِ وَالْمُهْجُومُ فِي الْقِتَالِ ، وَتَعَرَّقَتْ أَوَالِهَا :
 أَهْزَلَتْ أَعْضَاءَهَا مِنْ تَعَرَّقِ الْعَظْمِ إِذَا أُزِيلَ مَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ ، وَالْفُجْجَاجُ :
 الطَّرْقُ .
- (٥) الْقِدَاحُ : السَّهَامُ .

لا يفصمون إذا الرجالُ تخاصمت
إلا المقاتل من عظيم التلجاج^(١)
وإذا الوجوه تكالحت حذر الردى
فوجوههم أقمار كل عجاج^(٢)
ومتى شبيههم طلبت وجدتتهم
ضربوا على أحسابهم برتجاج^(٣)
ولقد طلبت على العظيمة مصعدا
فرجعت منقلباً على أراجسي
وقال أيضا في الفخر قصيدة مطلعها^(٤):

قد كان يدرك عندكن السؤل
فالآن لا وصل ولا تعليل^(٥)

وبعض في القول :
مبوتهم مأوى الرشاد ومنهم
سطر الكتاب ونزل التنزيل^٩
وتراهم صباحاً وكل عشية
يأتونهم مكال أو جبريل^٩

-
- (١) المقاتل : جمع العقيلة وهي الكريمة المخدرة من النساء .
(٢) تكالحت : من الكلج وهو العبوس .
(٣) الرجاج : الباب العظيم .

- (٤) الديوان ج ٣ ص ٣١٠ .
(٥) السؤل : السؤل وهو الحاجة وما يسأل .

فَهُمْ عَنِ الْأَمْرِ الدَّيْنِيِّ جَوَامِدُ
 وَهُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْعَلِيِّ سُبُحُولُ
 بَيْتِ أَقَامِ دَعَامِهِ وَقَبَابِهِ
 أَمَا إِمَامُ أَوْ أَخُوهُ رَسُولُ
 بَيْتِ يُنَاجِي اللَّهَ خَلَالُ بِهِ
 وَعَلَيْهِمُ الْأَمْلَاقُ فِيهِ نَزُولُ
 وَمَسَاكِنُ مَا غَابَ عَنْ أَفْوَاهِهِمْ
 فِيهِمْ تَقْدِيرُ وَلَا تَهْلِيلُ
 لَهُمْ مَنَى وَالْمَوْقِفَانِ وَزَمَمٌ
 وَالْبَيْتُ وَالتَّطَوُّافُ وَالتَّجْوِيلُ
 وَالْحِجَرُ وَالْحَجَرُ الَّذِي لَصَفَاتِهِ
 أَبَدَ الزَّمَانِ الْقَمُّ وَالتَّحْمِيلُ (١)

(٢) وقال أيضا في الفخر قصيدة مطلعها :
 خَلَّهَا أَنَّهُمَا تَرِيدُ الْفَيْمِ
 طَالَمَا أَنْجِدَ الصَّحْبُ سَقِيمًا (٣)

(١) الحجر (بالكسر) : ما حواه الحطيم المطاط بالكعبة شمالا ، والحجر
 (بالتحريك) : يعني الحجر الأسود ، والصفة : الحجر العريض
 الأملس .

(٢) الديوان ج ٣ ص ٢٠٧ .

(٣) الفحيم : اسم واد .

ومنها قوله :

نحن قومٌ إذا دُعِيَ الناسُ للفخـ

رِ إفاًلاً يُدعى إليه قُروماً^(١)

ومتى عدّوا محلّةً فخر

لم تكن تلك زُفراً وحطيماً

من أناسٍ كانوا كما اقترح المجـ

دُ جنوحاً عند الحِفاظِ لزوماً^(٢)

لم يحلّوا دارَ الهوانِ وكانوا

فى المعالى فوق النجومِ نجوماً

فهمُ للزمانِ أضحاهُ الفـ

رُ ولولاهمُ لكان بهيماً

وإذا استلّت الجيادُ وأبكت

ن جلوداً أو اعصرن حميماً^(٣)

ورأيت الرّماحَ يجعلن يوم الـ

قُرّاً بالطعنِ فى النحرِ جحيماً^(٤)

ولبسوا البيضَ والرّماحَ دروعاً

لم يصونوا إلا بهنّ الجسوما

-
- (١) الافال : جمع الأفيل وهو فصيل الناقة وما فوقه ، والقروم : جمع القرم وهو البعير الفحل للفحلة والضراب .
- (٢) جنوحاً : أى مائلين ثابتين .
- (٣) الحميم : المرق .
- (٤) القر : برد الشتاء .

ومنها أيضا :

قد خفطنا ما كان جِدًّا ضاع
ودعنا ما لم يكن مدعوما
ونا استنتج الرجاء وقد كان عصيا
رجاء الرجال قبل عقيمنا
وإذا هبت الخطوب ولم تك
في كئينا العظيم ثم العظيما

وإذا شانت القروف أديما
من أناس من ذا أصح أديما (١)
ولنا غزوة بها نمطر المظا
لهم عدلا ووزق المحروما

والمراد

ونلاحظ أن فخر الشريف المرتضى ، فخر غزوة ، واعتزاز ، يجمع بين
الشدة واللين ومعنى بين القوة والركة ، خاصة ما كان منه يتعلق بقومه ،
أما فخره بنفسه فيصدر صدورا طبيعيا عن اخلاق الشريف وكرمه وزهده .

وديوانه يزخر بالقصائد التي قالها مفتخرا (٢) بقومه أو بنفسه ، كما
أنه يجمع بين الفخر وبعض الأغراض الأخرى كدم الزمان ، والتعريض
بالأعداء .

(١) القروف جمع القرقة (بالكسر) والقرقة هي القشرة تعلوا الجروح عند

البرء ويراد بها هنا الحبيب ، والأديم : الجلد .

(٢) الديوان ، قصائده في الفخر والحماسة :

وقد هو ذكر بعض النماذج الأخرى من قصائده في غرض المدح عند
التحدث عن أسرته وأثرها في شعره *

-
- = ج ١ س : ٥٢٦٣٨ ٥٣ ٧٩ ١٠٠ ١١٨ ١٢١ ١٣٩ ١٦٣ ١٧١ ١٩٤ ٢٠٣ ٢١٥ ٢٢٩
ج ٢ س : ١٤٧ ١١٧ ١١٢ ١٠٣ ١٠١ ٣٣ ٣٠ ٧ ١٥١ ١٧٣ ٢٠٠ ٢٣٣ ٢٣٥ ٢٦٩ ٢٧٧
٢٩٥ ٣١٧ ٣٢٠ ٣٣٥
ج ٣ ص : ٣١ ٨٤ ١٠٩ ١٠٩ ١٥٩ ١٦٨ ٢٠٧ ٢١٠ ٢٢٠ ٢٦٠ ٢٦٩ ٣٠٣ ٣٤٧ ٣٦٧

الفصل الثالث

الرثاء ::

الرثاء من الموضوعات البارزة في الشعر العربي ، إذ طالما بكى شعرائنا من رحلوا من دنياهم وسبقوهم الى الدار الآخرة ، وهو بكاء يتعمق في القدم منذ وجد الانسان .

ولكن أمة موثيها ، والأمة العربية من الأم التي تحتفظ بسترث ضخم من المراثي ، وهي تأخذ عدها ألوانا ثلاثة ، هي الندب والتأبين والمزاء (١) .

أما الندب ، فهكاه الأهل والأقارب حين يحصف بهم المسوت ، فيئن الشاعر ويتفجع ، إذ يشمر بلطمة مروعة تصوب الى قلبه ، فقصدا أصابه القدر في ابنه أو في أبيه أو في أخيه ، وهو يترنج من هول الاصابة ترنج الذبيح ، فيمكي بالدموع الفزار ، وينظم الأشعار يث فيها لوعة قلبه وحرقة ، والشاعر لا يندب نفسه وأهله فحسب ، بل يندب أيضا من ينزلون منه منزلة النفس والأهل من يحبهم ويؤثرهم ، ومراثى الشيعة خير الأمثلة التي تصور ذلك .

وليس التأبين نوحا ولا نشيجا ، بل هو أدنى الى الشاء منه الى الحزن الخالص إذ يخر نجم لامع من سماء المجتمع ، فيشيد به الشعراء منوهين بمنزلته السياسية أو العلمية أو الأدبية أو الثقافية ، وكأنهم يريدون أن يصورها خسارة الناس فيه .

(١) فنون الأدب العربي ، الفن الثنائي ٢ ، الرثاء ، دار المعارف بمصر ، المقدمة لشوقي ضيف مارس ١٩٥٥ م .

والعزاء مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين ، إذ نرى الشاعر ينفسذ
من حادثة الموت الفردية التي هو بصدد ها الى التفكير فى حقيقة الموت
والحياة ، وقد ينتهى به هذا التفكير الى معان فلسفية عميقة .

و ديوان الشريف المرتضى يزخر بمراث كثيرة مشوثة فيه توحى الى
قارئها مدى الأسى والكمد والخرقة واللوعة على الموشين ، ومدى الوفاء .
وقد شهد لطول عمره مصارع أبيه وأخيه الشريف الرضى ، وأخواته ،
وزوجته وأكثر أساتذته وبعض اخوانه فى الأدب والعلم ، وشطر من
تلاميذه ، وله فيهم جميعا مراث طالما تكررت ، كما كان الحال مع
أبيه وزوجته والوزير فخر الملك .

وقد قال يربى أخاه الرضى وقد توفى فى محرم (سنة ٤٠٦ هـ) ،
وقد جزع المرتضى فذهب الى الكاظميين لئلا ينظر أخاه فى السياق ^(١)

قَدْنَسَى إِلَيْكَ فَقَدْ أَضَتْ شَمَاسَى
وَكُفَيْتَ مِنِّي الْيَوْمَ صَدَقَ مِرَاسَى
وَلَقَيْتَنِي مُخْشَعًا لَا يُرْتَجَى
نَفْسَى وَلَا يَخْشَى الْمَشْيَةَ بَاسَى
أَسْرَى بِأَهَادٍ بِكُلِّ مُضَلَّةٍ
وَأَحُوبُ مُظْلَمَةٍ بِأَبْلَاقِ مَقْيَاسِ

ونرى المرتضى فى استهلاله للقصيد قد وفق توفيقا كبيرا ،
فقد صور ما أنزل به فقد أخيه من ضعف وخشع أنه سلس وقيد ^{الحياء} بعد
جماح ، وضعف بعد قوة ، وعاد لا يخشى بأسه ولا يرتجى نفعه ، يسرى

ليل حياته من غير سراج منير يستتير به في مد لهجات الخطوب ، ، ولا
يستطيع دفع الهموم الهاجعة عليه ، لانها ضارية .

ومن قصيده أخرى قالها يعزى الخليفة القادر العباس ويروى
ولمعه : (١)

ما في السُّلُو لنا نصيبٌ يُطلبُ
الحزن أقهر ^{المصيبة} والمصيبة أغلبُ
لك يارزية في فؤادي زفرة
لا تسطاع ومن جفوني صيب (٢)

فهو يصف في قوله الحزن والمصيبة التي هو فيها بأنهما أقهر
وأغلب في نفسه بحيث لا يملك أن يطلب منه مواساة وسلوا ومن هول
الوفاة فأن ^{بفؤاده} زفره لا تستطاع احسد تحطها ، وينزل المطر
من جفونه بكاء على القعيد .

وفيما يلي بعض النماذج الأخرى من شعره في الرثاء
قال يروى جده الحسين بن علي ومن قتل من أصحابه في يوم
عاشوراء (٣) وهي إحدى القصائد المتعددة التي ذكر فيها الموتى
جده الحسين ويوم النديرو ما حدث فيه (٤) .

(١) الديوان ج ١ ص ٤٧ .

(٢) الصيب : المطر .

(٣) الديوان ج ٢ ص ٤١ .

(٤) الديوان ج ١ ص ١٣ ، ٣٥ ، ٦٨ ، ١٤٥ ، ٢٩٠ .

ج ٢ ص ٢٨ ، ٤١ ، ٥٣ ، ٩٢ ، ١٦٣ ، ١٧٦ ، ٢٥٥ .

ج ٣ ص ٧٧ ، ٢٦٤ ، ٣٤٢ .

يقول مطلع القصيدة :

أما ترى الريح الذي أقصرا
عراه من ريب الهلى ما عرا
لو لم أكن صبّا لسكّنيه
لم يجر من دمعى له ما جرى

وبها قوله :

وقفت فيه أينقأ ضمّرا
شذب من أوصالهن السرى^(١)
لى بأناس شغل عن هوى
ومعشرى أبكى لهم معشرا
أجل بأرض الطف عنيك ما
بين أناس سربوا العثيرا^(٢)
حكّم فيهم بفى أعدائهم
عليهم الذؤمان والأنسرا
تخال من لألاء أنوارهم
ليلى الفياضى لهم مقصرا
صرعى ولكن بعد أن صرعوا
قطروا كل نسي قطرا^(٣)
لم يرضوا درعا ولم يلبسوا
بالطمع إلا العلق الأحمر^(٤)

(١) الأينقأ : والنق : جمع الناقة ، والضم : الهزلات ، وشذب : قطع ،
وسربوا البسوا ، والعثير : العجاج .
(٢) أرض الطف : كربلاء ، وسربوا : البسوا ، والعثير : العجاج .
(٣) قطروا : صرعوا .
(٤) العلق : الدم .

قل لبني حربٍ وكم قلوبيةً
سَطَرها في القوم ^{عن} سَطَرها
تهتمُّ عن الحقِّ كان الذي
أُنذركم في الله ما أنذرا

ومنها :
يا حُجَّجَ اللهِ على خلقه
ومن بهم أبصر من أبصرا

قد جعل الله إليكم كما
علمتمُ المبعثَ والمحشرَ (١)
فإن يكن ذنبٌ فقولوا لمن
شفعكم في الحفوانِ يفوسرا
إذا توليتكم صادقاً
(٢) فليس مني ((مُكْرَرٌ مُكْبِرٌ))
نصرتكم قولاً على أنني
لأملُ بالسيفِ أن أنصرا

(١) المبعث والمحشر : يوم القيامة ، وهو يوم الحساب .

(٢) منكر ونكير : ملكان يحاسبان الميت في قبوه .

أنظر وقتاً قيل لي يح به
 وحق للموعود أن ينظر^(١)
 وقد تهصرت ولكنني
 قد ضقت أن أكلم أو أصبر
 وأي قلب حملت حزنكم
 جوانح منه وما فطر^(٢)
 لا عاش من بعدكم عائش
 فينا ولا عر من عسرا
 ولا استقرت قدم بعدكم
 قرارة مبدى ولا محضرا^(٣)
 ولا سقى الله لنا ظامئنا
 من بعد أن جنبتم الأبحرا
 ولا علمت رجل وقد زحزحت
 أرجلكم عن متبى منبرا^(٤)
 منبرا

وقال يوشى أحد أبناء عموته^(٥) ، فى قصيدة .

-
- (١) الجوانح : الضلوع .
 (٢) المبدى : محل البدو ، والمحضر : محل الحضر ، والمبدى أيضا البداوة ،
 والمحضر تالحضارة .
 (٣) ذكر منها شئ فى (الشهاب ص ٨٣) وفى طيف الخيال ص ١٠٠ ، ١٠١ .
 (٤) الديوان ج ١ ص ١١٢ .

منها قوله :

رَأَيْتَ الْمَجْدَ حَسْبَ وَلَا
عَلَى كَيْلٍ فَنِي نَسْبُ (١)
ضَوَا عَنِّي فَمَا لَكَ
ة لِي بِالْمَارِدِ الْعَذَابِ
وَلَا غَمُوضٍ ^{عموض} وَلَا أَرْضٍ
لِعَيْنِي ^{لِعَيْنِي} وَلِلْجَنبِ
وَقَدْ كُنْتُ بِهِمْ دَهْرًا
رَخِيَ ^{البال} الْبَالُ وَالْقَلْبِ
بِنَفْسِي مَن نَأَى عَنِّي
وَمَا إِنْ مَلَّ مِنْ قُرْبِي
قَضَى مِنْ قَبْلِ أَنْ أَقْبُ
ضِي نِيَّةٍ وَلَهُ نَحْسِي
وَمَا أَنْ تَقْلُنَا ^س
عَلَى الرَّغْمِ إِلَى الْمَتَرِبِ
وَأَضْجَعْنَاهُ فِي غُيْرَا
طَسْبَاءَ ^{طَسْبَاءَ} عَلَى الْجَنْبِ

دَفَنَّا الْمُضَبَّ فِي الْأَرْضِ ^{عَصَبِ}
 وَكَمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ غَضَبٍ ^(١)
 قَالَ لَمَّا أَتَاهُ نَحَى فخر الملك * ((سنة ٤٠٧)) بِدِيهَةِ: ^(٢)
 أَتَانِي وَالزَّكَاةُ يَأْتِي نَجِيهِمْ
 بِمَا سَاءَ أَوْسَرُ الْفَتَى وَهُوَ غَافِلٌ
 بِأَنَّ الَّذِي سَأَلَتْ شَعَابُ النَّدَى بِهِ
 تَلَقَّيْتُ عَلَى رَغْوِي عَلَيْهِ الْجَنَادِلُ ^(٣)
 وَحِلٌّ بِدَارٍ لَيْسَ عَنْهَا مَعْرُوجٌ
 وَلَا نَازِلٌ فِيهَا بَدَى الدَّهْرِ رَاحِلٌ
 بِضَامٍ يُسْقَى غِرَّةً أَكْثَرُ الرَّدَى
 فَلِلَّهِ حَقُّ غَمَلِهِ ^{عَالِهِ} ثُمَّ بَاطِلٌ
 فَإِنْ غَبَتَ عَنَّا فَالنَّجْمُ غَوَائِبُ
 وَإِنْ زَلَّتْ عَنَّا فَالْجِبَالُ زَوَائِلُ
 وَمَا أَنْتَ مُقْتَبِلٌ وَذَكَرُكَ خَالِدٌ
 بَلْ أَنْتَ لِمَنْ قَدْ ظَلَّ بَعْدَكَ قَاتِلُ
 فَلَا حِلَّتَنَا لِلْجِلَادِ ضَوَامِرُ
 وَلَا فَرَّقَتَنَا مِنْ بِلَادٍ رَوَاحِلُ

(١) المضب: السيف . (٢) الديوان ج ٣ ص ٤٤ .
 (٣) الشعاب بطون الوديان مفردتها شعب ، والجنادل : الصخـور
 العظيمة مفردتها الجندل .

ولا تهكِّمِ ضَا الميرونَ وانمسا
 بكته المواضي والقنا والموامل^(١)
 ولولا هناتٌ سوف يُقلعُ غرهمسا
 ضحى أوعشياً قال ما شاء قائل^(٢)

وقال يرمى جلال الدولة حيث توفي في شعبان سنة ٤٣٥ هـ
 وكان مهجلاً للمرتضى معظماً^(٣) :

المطلع :
 دعوا اليوم ما عودتم من تصبّر
 فإن نزاعى غالباً لنزوعسى^(٤)
 فما القلبُ منى فارغاً من تذكّر
 ولا العين منى غير ذات دمعى

ومنها قوله :
 وقالوا بركن الدين ولت يد الردى
 فخر صريعاً وهو خير صريع
 فشبهوا لهيب النار بين جوانجسى
 وجشوا أصولى بالجوى وفروعسى

-
- (١) الموامل : جمع العامل وهو الريح .
 (٢) الهنات : الداهية ، ويقطع : يذهب ويرحل .
 (٣) الديوان ج ٢ ص ٢٣٠ .
 (٤) النزوع : الاشتياق .

فلو كنت أستطيع الفداء فديته
 وأعياء بداء الموت كل جيعي
 وشاظرته همرى الذى كان طالما
 عليه بما أهواء خير طلوع
 وقالوا اصبر والصبر كالصبر طعمه
 إذا كان خرق ما بغير رقع
 ومن رجل لا كالرجال فضيلة
 ومن جهل على البناء رفيع
 وعزاك من سقاك كل مرارة
 وحياتك من لقاك كل وجيع
 ولو كنت أرجو عودة لاحتسنته
 ولكنك ملئ بغير رجوع
 كأننى ملسوق وقد قيل لى ضى
 وما كنت من ذى شوك بلسيع
 فأى انتفاع بالربيع وانيسه
 زمانى وقد ولى الردى برميم

ومنهى المبد قصيدته ببعض الأبيات التى نشتف منها شعوره
 باقباله على الموت ، فقد كتب هذه القصيدة قبل عام واحد من وفاته :

” الفصل الرابع ”

:: ((الاخويات)) ::

كان للشريف المرتضى العديد من الأصدقاء الذين يادله الجود ، وكانت صلاته واتصالاته ومجالس علمه وثقافته الواسعة وكرمه وزهده وأدبه ، من أهم العوامل - في رأينا - التي جعلت له صداقات متعددة ، كما وقد بحثت في ديوانه عما قاله في الأصدقاء والأخوان ، والصداقة ، فوجدتها كثيرة جدا بدرجة تلفت النظر إليها ، وتدعو الى الانتباه . فهو يدحهم ويهنئهم ويعزيهم ، ويمعاتهم ، ويثنيهم ويعتذر لهم ، ويشكرهم ويسأل عن أحوالهم ، ويشاركهم مختلف المناسبات .

وقد كتب الى أبيسى الحسين البقى وكانت علاقته به وطيدة قصيده عاتبه فيها على الاخلال بزيارته يقول فيها : (١)

أصنأ الوصل والتصافى

وهذا للتقاطع والتجافى ؟

وهذا للمسودة عن ملال

كما نهزت حصيات القذاف

وسيراً في الجفاء على طريق

شديد تنكر الاعلام خاف

فهو يسأل صديقة ويتساءل عن سبب عدم زيارته هل هو البخل والشح بالوصل والصفاء ، وزيادة في القطيعة والجفاء ، وهل هو ما نبذ

الموده وهل منها كما تنبت الحصىات المقدوفات • وهل هو يسير فسى
جفاء على طريق ليس به علامات يستدل بها •

ويختتم قصيدته بقول رقيق موجه الى البتى يستفسر فيه عن موعد
التلاقى بعد الجفاء • وعن تلاقى الذنوب • ويقول له انه لا داع للقطيعة
فان كان اقترى اثما أو ذنباً فيكفى اعترافه به ليذهب بذنبه •

فيا راضى الجفاء متى التلقى
ويا جانى الذنوب متى التلقى
وان كنت اقترفت إليك جرماً
فقد ذهب اعترافى باقترافى

وقال يجيب الحميد أبا بكر القهستاني (١) عن قصيدة وردت منه (٢):
أبكت زفراء الحب إلا تصفداً
ويأبى لهيب الوجد إلا توقداً

تذكرت بالفورين نجداً ضاللةً
ومن أين ذكرى غائر الدار منجداً (٣)

(١) هو على بن الحسين القهستاني من أهل قوهستان (معرب كوهستان) ومناها موضع الجبال وموقعها بين هراة ونيسابور وهي عسدة مدن • وأبو بكر الحميد المذكور أديب فاضل له شعر حسن مدح ببعضه القادر بالله العباسى وكتبه أبا طالب بن أيوب "عيد الرؤساء" يذكر لنا ياقوت فى معجم الأدباء سنة وفاته لا مولده (راجع معجم الأدباء ط مصر ج ١٣ ص ٢١ - ٣١) •

(٢) الديوان ج ١ ص ٢٤٣ •

(٣) الفوران : مثنى الفور وهو اسم موضع وأصل الفورما انهبط من الأرض • والفائر : المنجد المرحل •

مضى البين غنا بالحياة وطيبها
 فلم يبق بعد البين شي * سوى الردى
 فقل للذى ينوى الفراق وعنده
 بأننى مطيق فى الفراق التجلدا
 وعدت ببين يسلب العيش طيبه
 فما كان ذاك الوعد إلا توعدا (١)
 وما كان عندى أن يفرق شملنا
 ويبعد عن دار العميد تمعدا
 وما سرنى أن سرت عنى وأننى
 مقيم بأرض أو تغيب وأشهدا

وقال يهنى * الأستاذ أبا الخطاب حمزة (٢) بن ابراهيم بالمهرجانات
 الواقع فى سنة ٤٠٣ هـ فعاتبه على تأخر أجوبة بعض كتبه ، قصيدة مطلعها (٣):

عرفت الديار كسحق البرود
 كأن لم تكن لأنيس ديارا (٤)

-
- (١) البين : الفراق ، والتوعد : التهديد بالشر ، والوعد يكون بالخير .
 (٢) ولد سنة ٣٣٩ هـ ودرس علم النجوم ، واتصل بيهها الدولة بن غسند
 الدولة ، وبلغ بعلم النجوم عنده منزلة لم يبلغها أمثاله ، وكان
 الوزراء يخدمونه ، وحمل اليه فخر الملك مرة مائة ألف دينار
 فاستقلها ، ثم تدنت حالته وافتقر واغترب ، وتوفى على ذلك سنة
 ٤١٨ هـ . راجع الكامل فى حوادث هذه السنة .
 (٣) الديوان ج ٢ ص ٣٢٧ .
 (٤) السحق : البالية ، والبرود : جمع البرد وهو الثوب .

ومنها قوله :

فما كنت للريح إلا السنان
ولا كنت للسيف إلا الفرار^(١)
وانك في الروح كالمضرحي^(٢)
أضاق على الطائرات المطارا^(٣)
وكم لك دون ملك الملوك
مقام ركبته إليه الخطارا
وملبس كالتباس الظلام
مأضمت فيه من الرأي نارا

ومنها ايضا :

ولى نقشة بين هذا المديح
صبرت فلم أعط عنها اصطبارا
وأنتى فلا ذكر لي في المغيب
وما زادنى ذاك إلا ادكارا
وانى لأخشى وحوشيت منه
أن يحسب الناس هذا ازوارا

(١) الفرار (بالكسر) : الحد .

(٢) المضرحى : من الطيور الجوارح كالصقر والنسر .

ولو قبل النَّاسُ عذرَ امْرِئٍ
لَأُوسِعَهُمْ عَنْ سِوَايَ أَهْذَارَا
فليس لهم غير ما أَبْصَرُوهُ
عَيْنَانَا وَعَدُوا سِوَاهُ ضَمَارَا
وكانت جوابات كسبي تجبي
إِلَى سِرَاعٍ بِفَخْرِ غِزَارَا
فقد صرن إِمَّا طَوِينِ السَّنِينِ
وإِمَّا وَرْدَنِ خَفَافَا قِصَارَا

* * *

ويقول مهنثا بالمهرجان :
فلا زلت يافاج المشكلات
تنال المراد وتكفي الحذارا
وهنئت بالمهرجان الذي
يمود كما تنهيه مِرَارَا

وقال مجيبا بعض أصحابه وقد كتب إليه أبياتا طالبا منه الاجابة
على وزنها (١) :

أُتْرَى يَمْزُوبُ زِمَانَنَّا
غَضًا بِأُودِيَةِ الْفَضَا (٢)

(١) الديوان ج ٢ ص ١٦٧

(٢) الحضب : السيف ، والمتضى : المستل .

قَسْرٌ بِصَفْحَةٍ خَسِدَةٍ
 غَضَبُ الْحَاسِنِ مُتَضَيٍّ (١)
 مَلَكْتُهُ قَلْبِي وَكَيْفَ
 رَجَعَ الَّذِي قَدْ أَقْرَضَا
 وَلَقَدْ أَقُولُ وَكَيْفَ أَرَى
 عَجَبًا قَضَاءُ مَنْ قَضَى
 أَنْتَ الصَّحِيحُ فَكَمْ تَكُونُ
 نَ لِمَنْ يَحِبُّكَ مُرَضًا
 وَإِذَا عَشِقْتَ فَلَا تَزَا
 لُ لِأَهْلِ عَشِيقِكَ مُبْغَضَا
 بَدَلْتَ رَأْسِي أَسْوَدًا
 لَمَّا هَجَرْتَ بِأَبْيَضَا
 مَا ضَرَّ رَامِي مَهْجَتِي
 لَوْ أَنَّه لِي أَنْبَضَا
 وَمَجْدَدَ الْإِعْرَاضِ لَو
 قَبْلَ التَّلَاقِ أَعْرَضَا

وقال، وكتب بها الى بعض أصدقائه من الرؤساء وهو الأستاذ الجليل
 أبو سعد محمد بن خلف (النيرمانى) ، وهى من أوائل قوله ، يقول
 مطلع القصيدة (٢) :

(١) الغضب : السيف ه والمتضى : الستل .
 (٢) الديوان ج ٣ ص ٣١٧ .

حَتَامٌ نَمَى عِنْدَكُمْ أَزْمَانِي
وَحَبَّكُمُ طَرَقَ الزَّمَانُ جَنَانِي

ويقول فيه في القصيدة نفسها :
مازلتُ أفحصُ في الوري عن مثلي
حتى ظفرت بمن أقول كفاني
طمعتُ إليه عين كل رثاسه
لولا ما نظرت إلى انسان
لو شاء ما فاتته أبعد رتبة
يسمى إليها الخلق بالأجفان
لكنه نظر المالك دونـه
فزهى على السلطان من سلطان
سبق الكرام السالفين إلى الملا
والسبق للإحسان لا الأزمان

ومنها :
هذا الذي ذكره أنس ناظري
وهو أهوى أوجدني من الأشجان
أهدى إليه من كلامي أيما
لكن لها من مدحيه بمكان (١)
تجاذب الخطاب دون جنائنها
ويرد عنها أجمل الفتيان

(١) الأيم : التي لا زوج لها ، والبعل : هو الزوج .

وقال وكتب بها يذكر ما بينه وبين القاضى أبى القاسم التنوخى
من المؤانسة ومطلعها (١) :

رَمِ النَّجَاءُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْهُونِ
وَلَا تَعَجُّ بِصَدِيقٍ غَيْرِ مَأْمُونِ (٢)

ومنها :

لَوْ لَا التَّنَوُّخِيُّ لَمْ آتَنِ إِلَى أَحَدٍ
وَلَا أَجَبْتُ وَدَادًا مِنْ يَنَادِينِي
وَلَا رَأَيْتَنِي عَيْنٌ لَأَمْرٍ أَبَدًا
إِلَّا عَرِيًّا خَلِيًّا غَيْرَ مَقْرُونِ
لَيْلَى بِزُورَتِهِ فِي مَشْرِقٍ يَقْنِي
وَالصَّبْحُ أَسْعَدُ صَبْحٍ حِينَ يَأْتِينِي (٣)
كَأَنَّهُ مَبْهَجٌ أَضْحَى يَشْرَنْسِي
وَمَطْرَبٌ أَبَدًا أَمْسَى يَفْتِينِي
لَوْ يَسْتَطِيعُ حِمَانِي كُلُّ بَاهِقَةٍ
وَبَاعِدُ السُّودِ فِي رَأْسِ عَنِ الْجَوْنِ (٤)
يُطِيعُنِي وَهُوَ مَسْنٍ لَا امْتِنَانُ لَهُ
كَأَنَّهُ طَوَّلَ هَذَا الدَّهْرَ يَمْصِينِي

(١) الديوان ج ٣ ص ٣٣٤ .

(٢) الهون : الذلة والمهانة .

(٣) اليقنى (بفحتين) : شدة البياض .

(٤) الباهقة : الداھية ، والجون : البيض .

كم ليلة بت منه في بلهنية
أعطيه ما يبتغي مني ومعطيني (١)
كأننا باخضرار من تذكرنا
نمسي ونصبح في خضر البساتين

وهكذا نلاحظ أن شاعرنا المرتضى قد تناول في غرض الاخوانييات
مختلف أغراض الشعر الأخرى ، فهو يهني ، ويمدح ، ويرثي ، ويماتب ،
وينصح ، ويشارك في مختلف المناسبات التي تمر باصدقائه واخوانه .

(١) البلهنية : طيب العيش وسعته .

الفصل الخامس

:: ((الفـِـزْل)) ::

الفزل الصق الفنون الأدبية بحياة الرجل والمرأة ، وهو أكثرها رواجاً وأمتاعاً وأشهرها ، لأن المرأة نصف الرجل وتنام عيشه وحياته ، يكمل بها ما ينقصه من بهجة وسعادة ، وهى مبعث الرضا والغضب والفرح والترح ، وهى معينة والهامة لأنها مظهر الجمال الحى فى دنياه ، شغلت حياة الأدباء والمتأديين والقراء وأيضاً المستمعين ، والهبت خيالهم وأقلامهم ، وملأت صحفهم وأوقاتهم .

وقد قام الأدب العربى بنصيب وافر فى الفزل العالمى ، فتغننى بالمرأة وأنشد باسمها وجعلها موضع الاستهلال فى مديحه وحماسه ، وخصها بقصائد ومقطعات ، فشغلت عددا كبيرا من الصفحات يربو على نصف الأدب العربى ^(١) ، لذلك كثر الفزل وتضخم حتى ليشكل ديوانا كبيرا جدا ، يحبه الناس ويقبلون عليه سماعا وغناء .

والذى يتصفح ديوان الفزل العربى يحار فى تعدد ألوانه وأصنافه ، ويعيبه أن ينشأ فيه كتابا يحصر معانيه فى سفر .

وغزل يفزل : غزلاء بالمرأة : حادثها متوددا اليها ومظهرها اعجابه بها ، والفزل مصدره غزل : فسن من فنون الشعر يثبته الشاعر عواطف الحب نحو المحبوب ، ويضمنه الشكوى أو الاستعطاف أو وصف لذات الهوى وما الى ذلك .

(١) فنون الأدب العربى ، الفن الفنائى ، الفزل ، التمهيد ، د . سامى الدهان اصدار دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٦٤ م .

ورغم كثرة ما كتب الشريف المرتضى من قصائد غزلية ، إلا أننا لم نجدده ، شاعرا غزلا ، فهو رجل مقسم القلب بين المعاني وفاتنات الأعمال ، وإذا كان للحب زاوية في قلبه ، وللحسن تسرب إلى حناياه ، فأحس بلسانه أن يضل طريقه من بنات العلوم والأفكار .

وقد امتنع الشريف عن الهجو الفاحش تكريما ، وعن وصف الخسرة فجسدها ، ير به أن يمتنع عن الغزل إلا ما كان لائقا مناسبا برجس السياسة والدين (١) .

ونشارك الدكتور عبدالرزاق محيي الدين رأييه في أن أحسن غزل الشريف ما لم يتكلف به ، وما لم يعن بملاحقة المعاني المقتبسة فيه من فحول الشعراء ، مما ينظمه مترسلا ، وخاصة ما كان من قصائده على بحر قصير مثل قوله ان حبيبه الذي كلما زاد ^{زاد} حبه باله زاد هو بمد وحسنا ، ومع ذلك يقول ويتمنى ان يزداد احسانا كما يزداد حسنا ، فقد اذن قلبه ما لاقاه من حبه ، ويدعو المرتضى الله ألا يرى في حبيبه ما رأى هو منه اشفاقا عليه ، ويقول لحبيبه .. كن كما تريد وكما تشاء ولكن أنا سأكون كما تحب أنت !!

قلْ لجاني كلما سيمَ وصالا زاد ضنا
لينه يزداد احسانا كما يزداد حسنا
قد لبسنا من جوى حبك ما أبلى وأضنى
لا أرانا الله في نفسك ما أبصرت منا
كن كما شئت فإننا كيفما آثرنا كنا

ولنستعرض بعض أقواله في الغزل *

قال في الغزل (١)

عليكم يرجو الشفاء وإنما الـ
مليل ولا يرجو الشفاء عليل
إذا كان دأى بالهوى وهو قاتل
فإن أسأتى فى الرجال قليل (٢)
وما بي إلى أن أكم الحب حاجة
وفى كل أحوالى عليه دليل
فهل لي إلى أن يبرح الحب مهجتي
كما لم يكن فيها الفداء سبيل
كأنى لما أن ذكرت فراقكم
تمشت بعقلي فى الصحاة شمول (٣)
فما أنا عن شكوى الصباة ساكن
وإن أشكها لم أدرك كيف أقول
وسيان عدى قبل بلوى بالهوى
أضن ضنين أم أنال منيل
وما المزالا سلوة لا هوى بها
وكل أسير بالفراغ ذليل

وقال أيضا في الغزل ، وكأنه كان يحذر الحب ولكنه ابتلى به (٤) :

-
- (١) الديوان ج ٣ ص ٣٨ .
(٢) الأساة : جمع الأسى وهو الطبيب .
(٣) الشمول : الخمرة .
(٤) الديوان ج ٢ ص ٩٢ .

سَأَوَّنَنِي قَلْبِي فَرَحَنَ بِهِ
 (١) عَنِّي وَكَمْ بَيْعٍ عَلَى غُرَرٍ
 وَأَخَذَنِي مَنِيَّ مَا سَمَحْتَ بِهِ
 فِي الْيُسْرِ مِنْ حَالِي وَفِي الْعُسْرِ
 وَكَلَلَنِي عَيْنِي كُلَّمَا مَرَّهَتْ
 (٢) بِبِكَائِهَا مِنْهُنَّ بِالسَّهْرِ
 وَوَعَدَنِي مَا لَا يَفِينُ بِهِ
 مِنْ غَيْرِ مَعْدِرَةٍ لِمَعْتَبِرٍ
 قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ مَا بَلَيْتُ بِهِ
 دَهْرًا وَكَمْ بَلَوَى مَعَ الْحَنْدَرِ

وَقَالَ أَيْضًا مِنْ مَقْطَعَاتِهِ فِي الْفَزْلِ (٣) :
 يَا نَاقِضًا لِمَهْودٍ مَنْ لَمْ يَنْقُضِ
 كَمْ مَقْبِلٍ نَالِ الْمَنَى مِنْ مَعْرِضِ
 مَطَرَتْ عَلَيْنَا مِنْ سَمَائِكَ جَفْوَةٌ
 هَاطَلَتْ وَلَا مَعُ بَرْقِهَا لَمْ يَوْمِضِ

(١) الغرر : التعريض للمهلك والخطر .

(٢) مرهت عينه : فسدت .

(٣) الديوان ج ٢ ص ١٦٩ .

والنسيب من ألوان الغزل وأن خصه قوم بالحنين دون الوصف الحسى •
وقد كتب صاحبنا المرتضى قصائد ومقطوعات عديدة للنسيب • ظهر
لنا منها ما كان يتميز به من رقة شعور • ودماثة خلق • • ونستعرض فيما
يلى بعضاً منها • من أقواله فى النسيب (١) !

زرتُ هنداً ومن ظلامٍ قميصى
لا بوعيدٍ ومن نِجادٍ رداءى (٢)
واحتقنا وبيننا جفنٌ ماضٍ
فى فراشِ الرؤوسِ أى مضاء (٣)
وتجافستُ عنه وليس لها ران
أنصفتُ عن جواره من إباء
أنه حارسٌ لنا غير أن لي —
من علينا من جملة الرقباء
لك فى النحر من عيونٍ تميم
فاحسب به تيممة الأعبداء (٤)
هو ساءٍ عن الذى نحن فيه
من حديثٍ وقيلةٍ واشتكاء

-
- (١) الديوان ج ١ ص ٢٢ •
(٢) النجاد (بالكسر) حمائل السيف •
(٣) فراش الرؤوس : عظام قحف الرأس الخفيفة •
(٤) التيممة : خرزة أو ما يشبهها تعلق على الاطفال لوقايتهم من المين •

فلئن مسَّ فيه بعضُ غباءٍ
فعناءٌ مستثمرٌ من غائبي

وقال أيضا في السيب (١) :

ولمّا التقينا والرّقيبُ بنجوةٍ
وقد حان من شمس النهار مغيبٌ (٢)
أبحنا الهوى ما شاء منا ورويت
عيونٌ ظمأً في الهوى وقلوبٌ
فلم تك إلا ساعة ثم زعزع الـ
تلاقى شمالٌ للنوى وجنوبٌ
ولولا النوى ما كان للدهر زلّة
ولا لليالئ الماضيات عيوبٌ

ومن مقطوعاته أيضا (٣) :

مررنا على سربِ الطباءِ عشيّةٍ
فلم يعدنا حتى تقنصنا السربُ
وكنّا نظنّ القربُ يشفى سقامنا
فلم يك إلا كلّ أدوائنا القربُ

-
- (١) الديوان ج ١ ص ٢٧ •
(٢) النجوة : ما ارتفع من الأرض •
(٣) الديوان ج ١ ص ٢٨ •

ويخرج المرتضى عن وقاره بعض الشيء في قوله (١) :

وليس أردت طروق الفتاة
صوت اللسان بعيد السماع
فسترى مكتم والجهار
وضاق العناق فصار المررداء
لها ملبسا ولباسي الخمار
وما لقنا كالتفاف الفصون
جميعاً هنالك إلا زار
وطاب لنا بعد طول البعاد
رواء الحديث وذاك الجوار
شربت برقتها خمرة
ولكنها خمرة لا تُدار
كأن الظلام بأشراق ما
أنالت وأعطته منها نهـار
وأثر في جيدها ساعدي
وأثر في جانبي السوار
فلو صببت الكأس ما بيننا
لما خرجت من يدنا المقار (٢)

(١) الديوان ج ٢ ص ٢٩

(٢) المقار (بالضم) : الخمر .

وقال أيضا في النسب (١) :

أيا شجرات الوادِ يمين لملني
أعج بما تظللنه فأقيل (٢)

وفيكّن لي ما تشتهي النفس من مني
وليس إلى ما تشييه سبيل
ولو أننى منكن زودت ساعة
تروح في اظلالكن عليل
وما أبتغى إلا القليل وكم شقى
كثير سقام في الرجال قليل

وقال أيضا في نفس الغرض (٣) :

أملكتنى وزعمت أنى
لك خائف منى الملاله
وأطمت فى وما أطمت
ت محرفاً أبداً مقاله
وعلمت منى ما علمت
فليم علمت على الجهاله

(١) الديوان ج ٣ ص ٤٣

(٢) أعج : أميل : واquil : أستريح القيلولة

(٣) الديوان ج ٣ ص ٧٣

يَا مَن جَفَانِي فِي الضَّحَى
وَأَزَارِنِي وَهْنًا خِيَالَهُ (١)
وَحُرْمَتٍ مِنْهُ صَحِيحَةً
وَقَبْلَتٍ مُضْطَرًّا مُحَالَةً
هَلْ ضَامِنٌ مِنْكُمْ لَنَا
ضَمَنَ الْجَمِيلِ فَمَا بَدَالَهُ
وَلَحَلْ هَذِهِ النَّمَاذِجُ تَوْضِيحٌ لَنَا غَزْلُهُ :

(١) وهنا : ليلا والوهن : وقت منتصف الليل .

” الفصل السادس ”

:: ((الوصف)) ::

من أغراض شعر الشريف المرتضى التي تناولها كثيرا في ديوانه هو الوصف ، الوصف العام الذي خلا من تناول ما كان شائعا وقتئذ مثل الخمر والفناء ، ووصف الطيف والخيال ، ووصف الشيب والمشيب^(١) .

وفي كل هذه الأغراض تناولها الشريف المرتضى بأسلوبه الرصين المهنّب ، وإن كان قد خرج عن وقاره نوعا ما عند تناوله لوصف الطيف والخيال حيث لم يجد حرجا في جموح خياله أحيانا .

ولتعدد فروع الوصف لدى الشريف المرتضى رأينا أن نقسم الفصل الى ثلاثة أجزاء .

- أ - الوصف العام .
- ب - وصف الطيف والخيال .
- ج - وصف الشيب والمشيب^(١) .

وفيما يلي تناول هذه الفروع من الوصف .

أ - الوصف العام

الوصف باب من أبواب الشعر يقوم على تمثيل الطبيعة ونهتها بحيها وجامدها ، وعلى تمثيل الانسان ونحته بشكله وعواطفه وتصرفاته ، وعلى تمثيل العمران ونحته بصروحه وحدائقه ، وإثارة^(١) .

(١) الرائد معجم لغوى عصري .

وجاء في لسان العرب^(١) أن الوصف ليس في دقة الحد لأنه تعريف
بالصفات العرضية اللازمة للمعرف الميزة له عن غيره .

وجاء في محيط المحيط^(٢) ، وصف الشيء يصفه وصفا ، ووصفه نعته
وحلاه بما فيه ، ويقال الصفة إنما هي في الحال المتحركة ، والنعت بما
كان في خلق أو خلق .

وقد خلا شعر المرتضى من الموضوعات الوصفية التي كانت ذائعة
وكان يتناولها شعراء العصر العباسي ، فالخمرة بأنواعها وندمانها وسقاتها
والغناء بطرائقه وآلاته ، والجواري والفلمان والقيان ، والقصور والحدائق
والرياض وأطياب الطعام ونوافع الطيب ، كل ذلك لم يظفر من شعر
المرتضى بنصيب وربما يرجع ذلك إلى زهده وورعه وعدم ميله إلى زخارف
الدنيا .

ومن قصيدة يصف فيها الحج وصفا دقيقا ، فيصف وقت السفر
وأحوال وهيئات المسافرين وما تكبدوا من زاد الأخطاء والذنوب معهم ،
حتى إذا بلغوا الحج وأدوا الفريضة أفرغوا ما في حقائبهم ، واستحققوا
الغفران بدل الذنوب ، عارضا في أثناء ذلك ما أدوا من آداب هذه
الفريضة وسننها ، من الطواف والاعتمار واستلام الركن والسعي بين
الصفا والمروة والنحر والاستغفار فنراه يقول^(٣) :

عُجْنَا إِلَيْهِ صَدُورَ الْيَعْمَلَاتِ وَقَدْ
نَضَا الصَّبَاحُ ثِيَابَ اللَّيْلِ عُرْيَانَا

(١) ابن منظور ، لسان العرب المحيط

(٢) محيط المحيط ، بطرس لبناني ، المجلد الثاني .

(٣) (١٩٠) - ٢٥ ص ٩٨ ح

مُخَلِّقِينَ

مُخَلِّقِينَ تَهَادَوْا فِي رَحَالِهِمْ
 مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ أَفْرَادًا وَأَقْرَانًا
 حَلُّوا حَقَائِبَهُمْ فِيهَا مَفْرَغَةً
 وَاسْتَحَقُّوا مِنْ عَطَاءِ اللَّهِ غُرَانًا
 مَنْ بَعْدَ مَا طَوَّقُوا بِالْبَيْتِ وَاحْمَرُوا
 وَاسْتَمَلُّوا مِنْهُ أَحْجَارًا وَأَرْكَانًا
 وَوَدَّكَو السَّعَى بَيْنَ الْمَرْوَتَيْنِ ^{↑ المروتين} بِفِي ^{نُصِي} ^{وَرَدُّو}
 حِينًا بِالْمَرْوَةِ حَيْثُ وَفُوقَ الرِّثِّ أَحْيَانًا
 وَغَرُّوا " بِنَى " مِنْ بَعْدِ حُلَّتِهِمْ ^{صَلُّوهُمْ}
 كَوْمَ ^{الطَّلَا} الْمُسْنِيَّاتِ وَشِيَانًا
 وَاسْتَمَطَرُوا بِعِمْرَاسِ الْمُؤْتَفِينَ وَقَدْ
 غَامَتْ عَلَيْهِمْ سَمَاءُ اللَّهِ رِضْوَانًا

ونستعرض فيما يلي بعض نماذج من أقوال الشريف المرتضى فسي
 الوصف ، قال يصف قد را كبيرا استملاحا (١) :

وَدُهُمْ كَسَوْنَ اللَّيْلَ سَوْدَ ثِيَابِهِ
 عَلَيْهِنَّ فِيحَاءُ الْفَرْجِ فَـ ^(٢) قُورُ
 عَلَتْ وَالْمَنَى تَرْنُو إِلَيْهَا كَمَا عَلَا
 مَلِكٌ عَلَى كَرْسِيِّهِ وَأَمِيرٌ

- (١) الديوان ج ٢ ص ٢٤٠
 (٢) الدهم : جمع الأدهم وهو الأسود ، والفيحاء : الواسعة وفيحاء
 الفرج يعني بها القدور

يَحْزَنُ لِأَضْيَافِ الشِّتَاءِ فَكُلُّ مَنْ
 أَرَادَ الْقَرْيَ مِنْهُمْ فَهُوَ قَدِيرٌ
 كَانَ شَحْمُ الْبَزْلِ الْكُومِ وَسَطَهَا
 (١) يَطَارِحُهُ فَوَارِهِنَ صَبِيرٌ
 فَمَا لِلْبَيْوتِ دُونَهُنَّ مَفَالِقُ
 وَلَا لِلْكِلَابِ حَوْلَهُنَّ هَرِيرُ
 فَكَمْ هُجِرَتْ مِنْ أَجْلِهِنَّ شَيْلَةٌ
 (٢) وَذَاقَ الرَّدَى حَتَّى فَهَقْنَ بِمَعِيرِ

وَقَالَ فِي بَيْتَاءِ قَنْصَهَا ابْنِ عَرَمٍ لَيْلًا (٣):
 فَجَمَعَتْ مَا احْتَسَبَتْهَا فِي زَمَانِي
 نَادَمْتُ بَنِي غَرَائِبِ الْأَحْزَانِ
 وَأَشَدَّ الْخُطُوبِ عَفَا بِنَفْسِي
 مَا أَتَى بَفْتَةٍ بِمَعِيرِ أَوْ أُنِ
 أَيْهَا الْآخِذِي بِشَأْنِ التَّسْلَى
 جَلَّ مَا بَنَى عَنْ طَاعَةِ السُّلْوَانِ

-
- (١) البزل : الابل التي بزلت أنيابها ، والكوم : جمع الأكوم والكوما ، وهي الناقة الضخمة السنم ، ويطارحه يقاذفه ، وصبير : السحاب الأبيض تلبدًا وكثافة .
 (٢) الشعلة : الناقة السريعة وفهقن : امتلأن .
 (٣) الديوان ج ٣ ص ٢١٦ .

رُسِتَ عَذْلِي وَأَنْتَ تَجْهَلُ مَا بِي
 وفؤادي مستيقن ما غانسي
 خلجت في بئنا نبوة دهر
 مولج بالنفيس من أثمانسي
 بمث الدهر نحوها يد شخص
 موعج الكيد تائر الأضماني
 غالها فرصة وما النافل الوس
 نان كفوا للراصد اليقظان
 لو أتى مملنا بيوم رداها
 لانشني غانسا من الحرمان
 أمكتته حشاشة طالما خا
 بت لديها وسائل الإمكان
 صدها الحين عن تعاطي حذار
 منه والحين غلة الأذهان^(١)
 إن تكن عجلت فما مهلة المر
 جى على سنة الردى بأمان^(٢)
 ذات جسم يحكى الزرجد قد نب
 طت ذراة بمنسر مرجانسي^(٣)
 وخواف قد فارقت لونها الأظ
 هر فيها بمنظر أرجوانسي^(٤)

(١) الحين (بفتح الحاء) : الهلاك

(٢) المرجى : المؤخر

(٣) نبط : علق ، والمنسر : المنقار

(٤) الخوافى : ريش ما تحت الجناح

غصة اللوثى تبصر العين منها
 روضة أخملت بلاستان^(١)
 ترجع القول كالصدى فى أقاصى
 درجات الإفصاح والتبيان
 تحض الصدق إن أجابت سؤ ولا
 وهى خلو من فهم تلك المعانى
 لا استقلت من بعد فقدك ورقا^{*}
 تبكى الدجى على الأغصان

المدون

وقال يصف ويذكر ايوان كسرى وقد كان خرج اليه وشاهده ، وفلك
 فى شعبان سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة^(٢) :

هل مجير من غصة ما تقضى
 أو شفيح فى حاجة ليس تقضى
 يا خليل أنخ بشرقى ساباط^{*}
 مناخا على الركائب دحضا^(٣)
 وتلفت فى بنى آل ساسان^{فيها}
 غاء الزمان ثلما ونقضا
 فرصات أصبحن وهى سسا^{*}
 ثم أسيين بالحوادث أرضا
 وشرى ينبت النعيم إذا أن^{*}
 بت ترب البلاد عشا وحضا^(٤)

-
- (١) أخملت : كستها الخمائل ، والخمائل : الشجر الملتف ، ومفردها خميلة .
 (٢) الديوان ج ٢ ص ١٦٠ .
 (٣) ساباط : بلد بمداين كسرى ، والدحض : الزلق .
 (٤) الحمض : ما ملح وأمر من النبات .

قد رأينا الإيوان إيوان كسرى
 فرأينا كالطود طولا وعرضا
 أو جلال جلنفع حسب الأيـ
 لام حتى أعدته اليوم نقضا (١)
 أثر الرجل في قراه ندما
 نلن منه بعضا وأغين بعضا (٢)
 فهو يلقيك بادننا بعد ما أبـ
 لى كرور الأيام منه وأنضى (٣)
 عرق الدهر حسنه وهو بـاق
 كالمدي ترق التربة نضا
 فترى العين فيه أبهة المـ
 لك وعشا لأهله كان خفـ (٤)
 فهى تفشاء بالتكر وحشا
 خلقا ثم بالتذكر غـ
 ومشينا فى عرصة لم نزل فيـ
 بها أمور الملوك تضى وتضى

-
- (١) الجلنفع : الخليط الأحق والمقصود هنا المتين العظيم ، والنقض :
 المنقش من البناء .
- (٢) الرجل : مركب البحر وهو أصغر من القتب ، الظهر ، والندوب ،
 جمع الندب (بفتحتين) : ما بقى من آثار الجرح بعد البر ، يريد
 أن الزمان أثر فى هذا الإيوان كما يؤثر الرجل فى قرا الجمـ
 المرحول ، على سبيل الاستعارة .
- (٣) البادن : السمين الضخم ، وأنضى : أبلى .
- (٤) عرق العظم : أزال ما عليه من اللحم ، والمدي : جمع المديـة
 وهى السكين ، والتربة : عظام الصدر ، والنض : مصدر نحض
 كحرق السالف تفسيرها .
- (٥) خفى العيش : لينه .

كل قمر كالليث إن هججهوه
عن صريح له أزم وأغضى^(١)
لبس الملك يافعا ووليدا
وأرتقاء شدا إليه ورهبا^(٢)
وجشا ناشئا على خشب الملك
ك فارجا في العالمين وأغضى^(٣)

ومنها :

وعرائين لا يطور بها الرغب
م وأيد يطلن بسحا وقبضا^(٤)
ورؤس بسين الأنعام رؤس
وجسوم غذين بالمرز مضيا^(٥)
ولقد مضى هجومي على الدا
ر بلا آذن على الدار مضيا^(٦)
مرحبا أسحب الإزار على أج
رد ينزو طورا ويقبض قبضا^(٧)
حيث كانت ضلوع من ولج الإ
حواب ينفضن بالمخافة نفعا

-
- (١) القمر : الشجاع ، هججهوه : صاحوا به وهيجوه ، وأزم زمزمة الأسد : صوت
(٢) اليافع : الشاب .
(٣) أرجا : أرجأ أى أخر .
(٤) العرائين : جمع العرين وهو أعلى الأنف ويريد بهم سادة الناس ، ولا يطور بها الرغب : أى لا يقربها أو يعتورها الذل .
(٥) المضى : الخالص من كل شئ .
(٦) مضى : ألمنى وأحزنى .
(٧) الأجرد من الخيل : القصير الشعر الأصيل ، وينزو : يشب ، القبض : ضد البسط .

ورِباعٌ كانت غيوض أسود
 أصبحت للنباح مأوى ومفضى (١)
 ومناخٌ للجد يحظى ويرضى
 فيه من لم يكن على الدهر يرضى
 عقروا عنده المطى وألقوا
 — وقد استوطنوا — "نجادا وفرضا" (٢)
 بين قوم يزيدهم عذل الله
 تَوَام في المكرمات حثا "ومضا" (٣)
 سكنوا جانب المدائن في أبى
 سيف كالشمس يوسع الحين ومضا
 يأخذون الأموال بالسيف حتى
 يهبوها الرجال نقلا وفرضا (٤)
 كلما "أتلوا أخلفوا" كوفى "ال
 قوم "أم الغنى ليقتضى قرضا (٥)

- (١) الفيوض والأغياض : جمع الفيضة وهي مجتمع الشجر .
 (٢) النجاد : حمائل السيف ، والفرس : كالحزام للدابة .

- (٣) الض كاللح وزنا ومعنى .
 (٤) النقل : ما يفعل استحبابا ، والفرس الواجب .
 (٥) أتلوا من سهو الناسخ ، يعنى أنهم كلما أنفقوا المال عوضوا مكانة لينفقوه مرة أخرى كأنهم مديونون بذلك كمقتضى القرض .

ومهمسون يُحسَبُ الأمنُ من مَو
 لاهمُ الخوفَ والمهجة بغضا
 وجليدُ الرجالِ إنَّ واجهه
 غيبن اللَّحظَ من جدارِ غضا
 كيف أرضى عن الزمان وما أُر
 ضى كريماً قبلَى الزمانُ فأرضى
 نقترسه جذباً وميثاً ونمير
 به ضبيماً ونرتقى منه برُضا (١)
 ليس يُتقى إلا ويُفنى ولا يُعْطى
 على قليلاً حتى يظا طاً خفا
 سنه الليث كلما هم أن يع
 د رُبا زاد انحطاطاً ورضا
 وفكرى فيمن يساق إلى المور
 ت مدا الدهر كيف يطعمُ غضا

ومن استقراء ديوان المرتضى وجدناه قليل الوصف ، وقد خلى شعره
 من تلك الموضوعات التي تناولها شعراء العصر العباسي مثل الخمرة بأنواعها
 وآلاتها ، وندمانها وسقاتها ، كما أن الغناء بطرائقه وآلاته لم يجد منه

(١) نقترسه : نطلب قراه أى ضيافته أو من الفعل اقترى البلاد : إذا سار
 فيها وتبعها كقترأها ، ونميره : من الفعل مرى الناقة إذا مسح
 ضرعها لتدر اللبن ، والضببع : المجدب ، والبرض (بضم الباء)
 والبهضة : الأرض التي لا نبت فيها ، والبرض (بالفتح) : القليسم
 من الماء وغيره .

أى صدى ، وأيضا الجوارى والفلان والقيان لم يهجن فى المرتضى شجنا ،
ولم يسحرن له لبا ، والصور والحدائق والرياض ، وأطايب الطعام ونوافسح
الطيب خلت من شعره وكأنه لم يكن يعيش فى بغداد ، وإنما فى جسد
من الأرض .

هذا ولم تتجاوز قصائده ومقطعاته فى الوصف عدد أصابع اليد^(١) .

(١) الديوان : ج ١ ص ٧٩ .

ج ٢ ص ٢٤ ، ١١٧ ، ١٦٠ ، ٣٠٣ .

ج ٣ ص ٢٩٨ ، ٣١٦ .

بـ " الطيف " و " الخيال "

يعد الشريف المرتضى من أفضل من كتب في طيف الخيال ، وله فيه
كتاب كبير وقد ذكره ومدحه ووصفه .

ومن أقواله : (١)

يا طيف زنا ان نشطت لنا
فالركب بالأهواء قد نزلنا
عد النهار مطيعة لغيب
وخشد الظلام على السرى جملا^(٢)
ودع التسلل فالهيب اذا
مل الوصال تطلب العلم
عجل سراك الى ضاجتنا
واذا حضرت فلا تشب عجلا
من أين علم من غادره

قطع الخيال الجهل أم وصلا ؟

وأراد أن زيارة النهار كالمطية اللابئة^{اللاعبة} التي لا يمكن السير عليها فيجب
العدول عنها الى سرى الليل الذي يسد ولا يظهره ويعترف السيد
بنفسه بمانحة معنى البيت الرابع ويقول عنه " من جود ما مدحت به
زيارة الطيف أنها غير معلومة لمتبع ولا محسوسة لمترصده^(٣)

(١) طيف الخيال للمرتضى ص ١٢٦ .

(٢) اللغوب هو الكلال والتعب .

(٣) طيف الخيال ص ١٢٧ .

وقد اولع الشريف المرتضى بوصف الطيف ولما بالغا ، وقد وضع كتاب طيف الخيال الذى جاء فى مقدمته قوله (١) :

((وما يفيد تقديمه : أن الطيف قد يوصف بالمدح تارة ، والذم أخرى ولدحه وجوه متشعبة :

فما يمدح به أنه المشتاق المضم ، ويمسك رفق المعنى المقيم ، ويكون الاستمتاع به والانتفاع به ، وهو زور واطل ، كالانتفاع لو كان حقا يقينا .

وهل فوق بين لذة الخيال فى حال تمثلها وتخيلها وبين لذة اللقاء الصحيح والجمال الصريح ؟ وبعد زوال الأمرين ومفارقة الحالين ما أحدهما فى فقد متعته وزوال منفعتة - الاكصاحه .

وما يمدح به أنه زيارة من غير وعد يخشى مطلقه ، ويخاف ليلته (٢) وفوته . واللذة التى لم تحتسب ولم ترتقب يتضاعف بها الالتذاد والاستمتاع . وأنه وصل من غير قاطع ، وزيارة من غير هاجر ، وتعالى من غير مانع ، ومذلل من غير ضنين ، وجود من يخيل وللشئ بعد ضده من النفوس وموقع معروف غير مجهول .

ومن ملج مدحه وغريبه ، أنه : لقاء واجتماع لا يشعر الرقيب بهما ، ولا يخشى منع منهما ولا اطلاع عليهما ، والتهمة بهما زائلة ، والريبة عنهما عادلة ، وأنه تمتع وتلذذ لا يتعلق بهما تحريم ، ولا يدنو اليهما تأسييم .

(١) طيف الخيال ص ٥ - ٧ .

(٢) اللئ : انطوا الأمر . والمطل : تسويق الأمر وعدم الوفاء به مسرة بعد أخرى .

ولا عيب فيهما ولا عار ، وقد قاما مقاما فيه ذلك اجمع . وهذا المعنى
الأخير مما عندى أنى سابق اليه وببديء به ، لأننى ما رأيت الى الآن لأحد
فى نظم ولا نشر .

وقد تعجب الشعراء كثيرا من زيارة الطيف على بعد الدار ، وشحط
المزار ، ووعرة الطرق ، واشتباه السبل ، واحتدائه الى المضاجع من غير
هاد يرشده ، وعاصد يحضده ، وكيف قطع بعيد المسافة بلا حافر ولا خف ،
فى أقرب مدة وأسرع زمان ، لأن الشعراء فرضت أن زيارة الطيف حقيقة ،
وأنها فى النوم كاليقظة ، فلا بد من ذلك من العجب ، مما تعجبوا منه
من طى البعيد بغير ركاب ، وجوب البلاد بغير صحاب .

ومن المعانى المقصودة فى الطيف أن يلم بذكر ماهيته وسببها ،
والمقتضى لتخيله وتصوره ، كما قال أبو تمام ^(١) :

نم فما زارك الخيال ولكن
لك بالفكر زرت طيف الخيال

* * *

وكما قلت ^(٢) :

وعهدى يتمويه عين المحب
يسم على قلبه الطائر

(١) ديوانه ص ٣٨٨ .

(٢) الديوان ج ٢ ص ٦٢ ، من قصيدة كتبها الى الوزير أبى على الحسين بن
محمد وكان بواسط يخبره عن استيحاظه ، ويحثه على العودة الى بغداد .

فلما التقينا برغم الرقا
د موه قلبى على ناظرى

...

وهذا المعنى أيضا مما ابتدعه واخترته فى وصف الطيف ، لأننى
ما علمت سابقا اليه ، وعاشرا به .

فأما ذم الطيف ، فانه قد يذم بأنه : باطل وغرور ، ومحال ، وزور ،
ولا انتفاع بما لا أصل له ، وانما هو كالسراب اللامع ، وكل تخيل فاسد ، وربما
ذم بأنه سريع الزوال ، وشيك الانتقال ، وبأنه بهيج الشوق الساكن ،
ويضرم الوجد الخامد ، ويذكر بغرام كان صاحبه عنه لاهيا أو ساهيا .

وهذه المعانى فى المدح والذم ، قد تتشعب وتتركب وتمتزج
فيتولد بينها من المعانى ما لا ينحصر ولا يضبط بحسب قوة طباع
الشاعر وصحة قريحته وغريزته .

وقيل أن نستعرض بعض نماذج من أقوال المرتضى في الطيفاء
اتفق في الرأي مع الدكتور عبد الرازق محيي الدين في أن ما نظمه نسي
هذا الغرض لم يلفه أحد من الشعراء من حيث عدد الأبيات ، كما أثنى
معه أيضا في أنه كان في وصفه للطيف متحررا على خلاف عادته في موضوع
الغزل (١).

ومن مظاهر تحرره وانطلاقه قوله (٢) في بداية قصيدة :

أَمْسِكْ سِرِّي طَيْفًا وَقَدْ كَانَ لَا يَسْرِي
وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاجِعُونَ عَلَى الْفُخْرِ (٣)
تَجَبَّتْ مِنْهُ كَيْفَ أَمْ رَكَابِنَا
وَأَرْحَلْنَا بَيْنَ الرَّحَالِ وَمَا يَسْدِرِي
وَكَيْفَ اهْتَدَى وَالْقَاعُ بَيْنِي وَمِنْهُ
وَلَمَاعَةُ الْقَطْرِ لَمَاعَةُ الْقَطْرِ (٤)
وَأَفْضَى إِلَى شُعْتِ الْحَقَائِبِ عَرَسُوا
عَلَى مَنْزِلٍ وَعَرَّ وَدَوِيَّةَ قَقَرٍ (٥)
وَقَسَمَ لِقَا أَعْضَادِ كُلِّ طَلِيحَةٍ
بِهَامٍ مَلَاهُنَ النَّعَاسِ مِنَ السُّكْرِ (٦)

-
- (١) أدب المرتضى ص ٢٤٥ .
(٢) الديوان ج ٢ ص ٦٢ .
(٣) الفخر : الجواد من الخيل .
(٤) لماعة القطرين : السعابة ، والقطر : المطر .
(٥) الشعث : جمع الأشعث وهو المغبر ، وعرسوا : نزلوا للاستراحة ، والدويّة :
البيداء .
(٦) معنى البيت كما فسر المرتضى في طيف الخيال : أنهم توسّدوا
أذرع المولى كلالا واستعجالا وتصلكا وتخشنا ، والهام : السرور
والطليحة : المتعبه .

سَرَوَا سِمَاكَ الرَّمَحِ فَوْقَ رُؤُسِهِمْ
 فَمَا هُمُومًا إِلَّا عَلَى وَقْعَةِ النَّسْرِ^(١)
 وَمَا تَهْجِعُ لِي وَنَحْنُ عَلَى الْكُرَى
 وَكَأَنَّا تَرَوِينَا الْحَتِيقَ مِنَ الْخَمَرِ^(٢)
 أَضْمَ إِلَيْهِ سَاعِدِي إِلَى الْحَشَا
 وَأَنْفَرُشُهُ مَا بَيْنَ سَحَرِي إِلَى نَحْرِي^(٣)
 تَهْنِئَتُهُ وَاللَّيْلُ سَارٍ بِشَخْصِيهِ
 إِلَى مُضْجِي حَتَّى التَّقِينَا عَلَى قَدَرِ

وَقَالَ فِي الطَّيْفِ^(٤) :
 وَلَيْلَةٌ زَرَّتْنَا وَاللَّيْلُ دَاغٍ
 عَلَى عَجَلٍ وَنَحْنُ عَلَى الْبَرَاقِ^(٥)
 وَجَدْتَنَا بِتَقْيِيلِ الثَّيَابِ
 عَلَى رَغَمِ الْوَشَاةِ وَالْعَنْسَاكِ
 تَلَاقِينَا بِمَارُوحِ ظُمُيَا
 عَشِيَّةَ مَا لِأَجْسَادِ تَلَاكِ

-
- (١) سَمَاكَ الرَّمَحِ : نَجْمٌ ، وَوَقْعَةُ النَّسْرِ : تَدْلِيهِ لِلْفُرُوبِ ، وَهُومًا : مِنْ التَّهْوِيمِ وَهُوَ زَلْزَلَةُ الرَّأْسِ مِنَ النَّعَاسِ .
 (٢) الْكُرَى : النَّوْمُ .
 (٣) السَّحَرُ : الرَّئِيسَةُ .
 (٤) الدِّيْوَانُ ج ٢ ص ٣٥٥ .
 (٥) الْبَرَاقُ : جَمْعُ الْبَرَقِ وَهُوَ الْمَوْضِعُ فِيهِ رَمْلٌ وَحِجَارَةٌ وَطِينٌ .

ولمّا أن تفرّقنا رجعتنا
إلى ما نحن فيه من الفراق
فإنّ بك باطلاً لحقّ فيه
فكم من باطلٍ طمو السداق

وقال يصف طيف الخيال (١) :
وزور زارنى والليل داج
فعلّنى بباطله ... وولى (٢)
سقانى ريقه من كسب دهر
مذوداً عن مراشفه محلاً (٣)
وأولى فوق ما أهواه منه
وما يدري بما أعلّى وأولى
وأرخص قربه بالليل من لى
سألنا قربه بالصبح أغلى
نعمنا بالحبيب دجى فلمّا
تولى واضمحل لنا اضمحلاً
فإنّ بك باطلاً فسقيم حب
أفانق به قليلاً أو أبداً (٤)

-
- (١) الديوان ج ٣ ص ٦٩ .
(٢) الزور : الزائر ، داج : مظلم .
(٣) المذود : المبعد المحرود ، والمراشف : الشفاء ، والمحلا : أصله
المحلا : مهبوز أى المبعد .
(٤) أبل من مرضه : أفانق وايضا بوى .

فلاق لا نخاف ولا نهالسي
بمن أوحى به وعليه . . (١) ولا
ولو أن الصبح يطبع أميري
لما كشف الظالم ولا تجلس

وقال في الحليف أيضا (٢) :
يا قاتلي إن كنت نسر
ضى من ودادي بالمحال
فلسوف أقمع من لقيبا
ثمك لي بطيف من خيال
زود بمزود مثليه
خذو الأديم على مثال
كهمف استجرت الصدق فسي
هجرى وكذبا فسي والسي
وجعلت فمك فسي الفحسي
وتركت بمرّك فسي الليالي
ما نلتقي إلا كمال
زعمت أمان في الكرى ليس
أنست الهيب فلم صنوب
عك لي شبيهه بالتقالي (٣)

(١) في طيف الخيال * لا يخاف بدل لانخاف .

(٢) الديوان ج ٣ ص ١٣٦ .

(٣) التقالي : التهاضي .

وَأَرَى نَوَالِكَ فِي يَدِي
 إِنْ رَمَيْتَهُ صَبَّ النَّسْوَالِ
 وَالرُّخْصَى عِنْدَكَ كُلُّهُ ^{غَالِ}
 فِي بَاطِلٍ وَالْحَقُّ غَالِ

وَقَالَ كَذَلِكَ فِي نَفْسِ الْغُرَى (١) :
 مَا ضَرَّ مَنْ زَارَ وَجُنَّحِ الدَّجَى
 يَكْحَلُ مِنْهُ الْأَفَقُ بِالْإِثْمِ (٢)
 لَوْ زَارِنِي وَالصَّبْحَ فِي شَيْءٍ ^{جَنَّةٍ}
 بَلَوْنَهَا الْفَاقِحَ فِي ^{مَجْدٍ} (٣)
 كَيْفَ اهْتَدَى لِي فِي قَيْصِ الدَّجَى
 مَنْ كَانَ فِي الْإِصْبَاحِ لَا يَهْتَدِي
 أَخْلَفَنِي وَعَدُّكَ فِي زُورٍ
 فَكَيْفَ وَاقَيْتَ بِمَلَا ^{مُوعِدٍ}
 لَيْسَتْ يَدَاكَ وَمَا زِدْتَنِي
 فِي النَّوْمِ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ فِي يَدِي
 بِمَا كُنتُ يَوْمَئِذٍ ^{الْأَرَا} ^{أَنْتَ}
 مُضَاجِعُ جَسْمِي عَلَى مَرْقَدٍ
 حَتَّى إِذَا الصَّبْحُ بَدَأَ لَمَحَهُ
 كُنْتُ مَكَانَ الْأَنْزِ الْأَهْمَدِ

-
- (١) الديوان ج ١ ص ٢٦٤ .
 (٢) الاثم : حجر يكتحل به .
 (٣) المجد : القيص الذي يلي البدن .

وزار قلبي والهوى كله
زورة طرفى الأتني الأكسد

ومن أقواله فى الطيف (١) :
لقاموك ياسلمى وإن كان دائما
يعز علينا أن يكون لماما
وقد كان صبا يملأ المين قرة
فصاد يقول الكاشحين ظلاما
كلا الهجر منك الطرف أن لاتعرجى
على الحى أيقاظا وزرت نياما
ولم يشف ذاك القرب وهو مرجم
من القوم سقا بل أثار سقاما
وما كان إلا باطلا غير أننا
كفينا به من يلموم ملاما

وقال فى الطيف وزيارات الأحلام (٢) :
ألا ليمت عيشا ماضيا عنك بالحي
وإن لم يعد ماض عليك بمسود

(١) الديوان ج ٣ ص ٢١٤

(٢) الديوان ج ١ ص ٢٢٦

على غفلة جاء الكرى باثنا لنا
 بلا موعد والزائرون همود
 فيها مرجحاً بالطارقى بعد هجعة
 تقرُّ به الأحلام وهو بحيد
 وعلمنى كيف الحال لقائه
 وأنسى التقاء واللقاء هو (١)
 وما نحن إلا فى إصار عدامة
 وعند كرانا أن ذاك وجود (٢)

وقال فى الدليف يصف لذيق الكرى وأهميته (٣) :
 فديته من زائر زارنى
 والليل مسود الجلابيب
 زار وفيه كل ما ينبغى
 فى الناس من حسن ومن طيب
 ولم يخبرنا أنهم لنا زورة
 لميازب الآراء مكذوب (٤)
 باطله روت لنا غلبة
 والحق لم يأت بمطوب (٥)

-
- (١) الكسود : الشاق .
 (٢) الاسار : القيد . والعدامة : الفقر .
 (٣) الديوان ج ١ ص ١٢٠ .
 (٤) الميازب : البعيد .
 (٥) الغلة (بالضم) : العطش .

لولا الكرى ما جاد لى بالمنى
ممشق يعشق تحذيبى
وكيف لا أهوى لذيق الكرى
محباً جاء بمحبوب

وقال يصف الزيارات الوهمية واللقاءات الخيالية (١) :
وسدنى كهمه وانقضى
ونحن فى سكرة من الوسن (٢)
وماك عندي الى الصباح وما
شاع التقاء لنا ولم يبين
خادعنى ثم عد خدعتي
لمقلتي منة من المنى
فليت ذاك اللقاء مازال أو
ليت خيالا فى النوم لم يكن
وزارنى زورة بلا عيدة
وما أتى وقتها ولم يحين
فإن تكن زورة موهمة
فقد أضل فيها الظن (٣)
وإن تكن باطلا فكم باطل
عاش به ميت من الحزن

(١) الديوان ج ٣ ص ٢٤٢ .

(٢) الوسن : النعاس والنوم الخفيف .

(٣) الظن : جمع الظنة (بالكسر) وهى التهمة .

ومما قاله أيضا في الطيف (١):
 بأبى زائرا أتانى جنحا
 لا ودادا منه فعنى ومينى (٢)
 زاده ضنه بموضع الما
 لك قلبى بخلا على وضننا (٣)
 لم ينلنى شيئا وعند رقادى
 أنه جاءنى فأنى وأقبنى (٤)
 صد صبحا والعين منى يقظى
 وسرى وأصلا وعينى وسنى
 وجفا بالنهار من بعد أن خيب
 حل لى أنه أتانى وهننا (٥)
 زورة ما درى بها ذلك الزا
 ثر ربحى فكيف يوجب منا
 هولاه عنهما وما بت فيه
 لم يحطه علما ولم يك ظننا
 فهى تعليلة لصب عليل
 أو خداع يهدى لقلبى المعنى
 فهى مثل المراب أو مثل لفظ
 ماله حاصل ولا فيه معنى

-
- (١) الديوان ج ٣ ص ٣١٢
 (٢) جنح الليل : ظلمه .
 (٣) الضنة والضم : البخل .
 (٤) أقتى : جعل لها قنية (بالضم) أى أصل مال .
 (٥) الوهن : منهك الليل .

وقال أيضا في الطيف^(١) :

نأيننا فمن دون اللقاء تائب^٢
 وسهب عنف بالمطايا ونفس^(٢)
 فلا وصل إلا ما تقرب بيننا
 أكاذيب من أحلامنا وتلف
 فله فسي جنح الدجنة عائم^٣
 تصيدني بالمب فيها يطوف^(٣)
 بخيل عليهما والنهار شعارنا
 وفي الليل منهل العطية مسوف^(٤)
 وأغنى وما أثناك إلا تولى^٤
 صال محال أو لقاء مخوف^٥

وله في طيف الخيال^(٥) :

وزائر زارني وهنأ يغالطني
 ولو لبست ثياب الصبح لم يزر

-
- (١) الديوان ج ٢ ص ٢٥٤ .
 (٢) نأينا : بعدنا ، والتائب : جمع التوبة وهي المفازة ، والسهب (بالفتح)
 القلاة ، (وبالضم) المستوى البعيد من الأرض ، والنفس : المهوى
 بين جبلين .
 (٣) الدجنة : الخلعة ، وجنحها : قطعة منها ، والحائج بالمكان : المقيم
 فيه والمنحطف عليه ، ويطوف : يكرر الطواف
 (٤) الشعار : أصله الثوب الذي يلي البدن ، والمنهل : المنصب .
 (٥) الديوان ج ٢ ص ١٠٥ .

تَهَتَّ لَهُ وَتَوَرَّ اللَّيْلُ مُسْبِلَةً
بَيْنِي وَبَيْنَ يَقِينِي وَالْكَرَى مَكْرَى
وَلَوْ أَرَادَ خِدَاعِي غَيْرَ ذِي وَسْئِنٍ ^{بِغِي}
لَكَانَ مِنْ نَيْلٍ مَا يَنْطَلِقُ عَلَى غُرُرٍ ^(١)

وقال في نفس المحض (٢):

تَزُورِينَنَّا وَهَنَاءً وَلَوْ زُرْتَ فِي الضَّحَى
لَأُطْلِقْتَ مِنْ ضِيقِ الرِّثَاقِ أَسِيرَا
وَمَا كَانَ مَا أَشْعَرَ تَنِيهِ زِيَادَةً
وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لِقَلَمِيبِي زُورَا
فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَقًّا فَإِنِّي جَنَيْتُهَا
إِلَى أَنْ بَدَأَ ضَوْءُ الصَّبَاحِ سُرُورَا
فَجَاءَتْ إِلَى لَيْلِي الطَّوِيلِ فَخَيَّلَتْ
لِسَمْعِي أَوْ قَلْبِي فَعَادَ قَصِيرَا
لِقَاءَ شَفَى بِحَضْرِ الْفَلِيلِ وَلَمْ أَكُنْ
عَلَيْهِ وَإِنْ كُنْتُ الْقَدِيرَ قَدِيرَا
وَمَا كَانَ إِلَّا فِكْرَةٌ لِفَكْرِي
وَذِكْرًا جَنَى مِنْهُ الظَّالِمُ ذِكُورَا
وَلَمَّا انْقَضَى مَا صُرْتُ إِلَّا كَأَنَّنِي
مَحُوتَ بَضْوِ الصُّبْحِ مِنْهُ مَطُورَا

(١) الضر : الخطر .

(٢) الديوان : ج ٢ ص ٦٠

ومن قصائده المطولة في الطيف (١) :

وزائر ما أجبنه
ما زار إلا في سفيه (٢)
ومن لبي في غلس
فلا عدونا عنقه (٣)
ذو ددن وانمسا
نعشق فيه ددنه (٤)
بهجرني مجاورا
يسمع قولبي أذنه
حتى إذا حل النوى
حدا إلى ظمئه
لم يبات إلا في دجى
صبحه ما أضه
وزارني في وطني
مخليا لبي وطنه
ثم أطاب وسني
لما أطار وسنه
أبدلني هجراني
بـزورة مؤتمنه

(١) الديوان ج ٣ ص ٣٠٩ .

(٢) السنة : أول النوم والخفيف منه .

(٣) عن : عرض ، والغلس : الظلام .

(٤) الددن : اللهو واللعب .

باطلية لكم ^١
 من المسمى صنفه
 ما أحسن النصر على
 مقاطع ما أحسنه
 فليتها زينة ^٢
 تكون منه ديدنه
 ما بعث الواشي إلى
 ما نحن فيه ظننه
 ولا رمى ذى فطين ^٣
 إليه يوما فطنه
 فبست ليلتي كله
 أضرم منه غننه
 والثم الصدغ الذى
 عقرته وزرقته ^(١)
 لولا الدجى يشفح لى
 لما لقيت مننه
 جاد بيه مسترخيا ^٤
 وما نكدت ثمنه
 فى ساعة كأنهيا ^٥
 لئذاة ألف سنه
 وأصل فيها سكن ^٦
 بعد فراق سكنه

(١) عقرته : جعله كالعقرب ، وزرقته : جعله كالزرقين (بضم الزاء وكسرهما)
 وهى الحلقة .

ما أنصف الدهر الذي
أخافني وأمنني
القيى إليه رستي
ثم أجر رستي
ما أغبن الحب لمن
حظله ما أغنني
معتن يكره إن
فارق منكم مني
وسابح فسي دارن
ولا يبيط دزمني (١)
ثم طعنين همي
تقبله من طعني
أو زمن يموت من
حيث غشوم أرضي
قلت له فقرا إلى
نواليه ومكني (٢)
يا مالكاً لي بهوى
أسررتي وأعلنني
ومن إذا غابن حس
نياً بدير تم غنمي
هل عودة لملها
فقال لي ما أدوني

(١) الدرن : الوسخ ، ويميط : يزيل .

(٢) المسكة : الدلة والخضوع .

ومن أقواله أيضا في الطيف (١):

وزائير ما زار آلا
في سواد الظلم
جاد ولم يدّر بما
جاد ولما يحلّم
ومتع القلب من الـ
خير بما لم يقدم
بات الكرى يشفع لى
فى نيل تلك النعم
عظيمة ما طلبت
ومنه لم تفر
لا عيب إلا أنها
زيارة فى الحلم

وقال يذم الطيف (٢):

خادعتنى بزيارة الحلم
وظلمت لما جئت فى الظلم
وعددتها جهلا بموقعها
من جملة الاحسان والنعم
وظننت أنك طارد سقمها
فجلبت لى سقما على سقمى

(١) الديوان ج ٣ ص ٢٦٨

(٢) الديوان ج ٣ ص ٢٦٩

وَصَلَّ بِخَيْرِ رُضَى وَلَا لَهْوَى
 وَعَظِيَّةٌ لَيْسَتْ مِنَ الْكِرَامِ
 كَذِبٌ وَمَا شُكِرَ عَلَى كَذِبٍ
 مَا صَحَّ فَمِنْ فَكْرٍ وَلَا كَلِمٍ
 وَوَدَّتُ مَنْ مَقَّتِي مَخَادِعِي
 أَنَّ الرِّقَادَ جَفَا فَلَمْ أَنْبِ
 قَالُوا أَمَا اسْتَمْتَعْتَ قُلْتُ لَهُمْ
 هَلْ مَتَعَةٌ لَفَتِي مِنَ الْعَدَمِ
 مَا الطَّيْفُ إِلَّا كَالسَّرَابِ وَلَا
 رَى بِخَيْرِ الْبَارِدِ الشَّبِيبِ (١)

وهكذا رأينا المرتضى يمدح في كتاباته في الطيف وقد أكر منها في
 ديوانه بين مدح وذم (٢).

-
- (١) الشبم : البارد .
 (٢) الديوان :
 ج ١ ص : ١٢٠ ٢٢٦ ٢٩٤ .
 ج ٢ ص : ٩٨ ١٠٥ ٢٥٤ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٥٥ .
 ج ٣ ص : ٦٩ ١٣٦ ٢١٤ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٣١٢ ٣٠٦
 ٣٤٢ .

والشيب
" ح - الشيب والشيب "

أكثر الشريف المرتضى من النظم في الشيب ، والملاحظ في وصف الشيب عند الشعراء - كما يقول الدكتور عبد الرازق محيي الدين - وتتفق معه فيما ذهب إليه أنه يورد فيه المعنى والآخ في المناسبات العابرة ، لم يقصد لذاته في وصف ، ولم يحن به موضوعا أساسيا في القصيدة . ولكن المرتضى اتخذ منه موضوعا مستقلا للقول ، يحرص على استيفاء القول فيه ، ونظم كل معنى يمكن أن يخطر على بال ، وأحيانا يحاول أن يجمع كل ما قيل في قصيدة واحدة شاملة (١) .

قال عنه الشريف في الشهاب (٢) :

في مدح الشيب " انه يمدح بأن فيه الجلالة والوقار ، والتجارب والحنكة ، وأنه يصرف عن الفواحش ، ويصد عن القبائح ، ويحفظ من نزل به ، فيقلل الى الهوى طماحه ، وفي الشى جماحه ، وأن الحمر فيه أطول ، والمحصل معه أضح ، وأن لونه أنصح الألوان وأشرفها " .

وقال في ذمه : " انه رائد الموت ونذيره ، وأنه يوهن القوى ويضعف المنة ومطمح في صاحبه ، وإن النساء يصددن عنه ، ويحبين عن جهته " .

ولعل نزعة الدينية هي التي تشكل آراء الشريف في موضوع الشيب .

ومن أقواله في المشيب ووصفه له بالاصباح أن الليل " سواد السقى " والاصباح " الشيب " تقاسما عمره فطورا أحدهما يلحظ وآخر يذرع ويقول

(١) أدب المرتضى ص ٢٤٦ .

(٢) الشهاب ص ٣ - ٤ ط الجواب .

لغبيت أن الصبح النور قد ملأه وأظهره شبيه فلا تلوهم في ذلك ، ولكل
شيء نهاية ، فومة الليل قد ولت كما جاءت وهو الآن في نومة المشيب (١) .

تقاسم الليل والإصباح بينهما
عمري فمن حاصد طورا ومن زرع
اعطى نهاري وليلتي جل صنعهما
ففسج أيدي الدجى ثم الضحى خلص
للليل سودى وللصبح النور إذا
جلا شيبى ظومي فيه أو فدعى
فومة الليل قد ولت كما نزلت
ونومة الصبح من هذا المشيب مضي

...

وسوف نستعرض فيما يلي بعض أقوال الشريف في الشيب ، وهما هي
قصيدة تعد شاملة لأغلب معاني الشيب التي قيلت فيه (٢) .

هل الشيب إلا غصة في الحياز
وداء لربات الخدور النواعم (٣)
يحدث إذا أبصرته عن سبيله
صدود النشوى عن خبيث المطاعم

-
- (١) الديوان ج ٢ ص ٢٢١ .
(٢) الديوان ج ٣ ص ٢٥٧ .
(٣) الحياز : جمع الحيزوم وهو الصدر .

وَقَنَعْتُ مِنْهُ بِالْمَخُوفِ كَأَنِّي
 (١) تَقَنَعْتُ مِنْ طَاقَاتِهِ بِالْأَرَقَمِ
 وَهَيَّيْنِي مِنْهُ كَمَا هَابَ عَائِجٌ
 عَلَى الْخَابِ هَيَاتِ اللَّيْثِ الضَّرَافِمِ
 وَهَدَدْنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
 سَنَا وَضِيهِ بِالْقَارِعَاتِ الْحَوَاطِمِ
 كَفَانِي عُدَالِي عَلَى طَرِيقَةِ الصَّبَا
 وَقَامَ بِلَوْحٍ عَقَبَهُ مِنْ لَوَائِمِي
 وَقَصَّرَ عَنِّي بِاعٍ كُلَّ لَسَانَةٍ لَدَائِمِ
 (٢) وَقَصَّرَ دُونِي خَطُ كُلِّ مُخَالِمِ
 فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَصْحَكْتُ مَفَارِقِي
 بِفَهْرٍ مَشِيبٍ أَوْ بِفَهْرٍ مُرَاجِمِ (٣)
 وَلَمَّا سَقَانِيهِ الزَّمَانُ شَرِيقُهُ
 كَمَا أُوجِرَ الْمَاسُورُ مِنَ الْعَاقِمِ (٤)
 حَشَنِي مِنْهُ الْحَانِيَاتُ كَأَنِّي
 إِذَا ظَلْتُ يَوْمًا قَائِمًا غَيْرُ قَائِمِ
 وَأَصْبَحْتُ يَسْتَبْطِئُ مَثُولِي وَيُدْعَى
 وَمَا صَدَقُوا فِي اخْتِلَالِ الْمَزَائِمِ (٥)

-
- (١) قَنَعْتُ : أَلْبَسْتُ الْقَنَاعَ وَهُوَ الْخِمَارُ ، وَالْأَرَقَمُ : جَمْعُ الْأَرَقَمِ وَهُوَ أَخْبَثُ الْحَيَاتِ .
 (٢) الْمُخَالِمُ : الْمُضَادُّ الْمَخْلُصُ .
 (٣) الْفَهْرُ : الْحَجَرُ ، وَالْمُرَاجِمُ : الْمُرَامِي ، وَرَجَمَهُ بِالْحِجَارَةِ : قَذَفَهُ بِهَا .
 (٤) أُوجِرُ : سَقَى ، وَالْمَاسُورُ : الْأَسِيرُ الْمَقِيدُ .
 (٥) الْمَثُولُ : الْقِيَامُ بِانْتِصَابٍ .

فلا أنا مدعوٌ ليومَ تَفَاكُـمِـه
 ولا أنا مرجوٌ ليومِ تَخَاصِمِ
 فلا تطلبَا مِنِّي لقاءَ مَحَارِبِ
 فما أنا إلا في ثيابِ مَسَالِمِ
 ولا تدفعا بى عنكما غُشْمَ غَاشِمِ
 فإني في أيدي المشيبِ الغواشمِ
 فلو كنتُ أسو منكما الكَلَمَ ما رأتُ
 عيونكما عندي كلومَ الكواليمِ (١)
 وإنني أُميمٌ بالمشيبِ فخليلُا
 ولا تطلبَا عندي علاجَ الأُمائمِ (٢)
 مشيبٌ كخَرَقِ الصُّبْحِ عَالٍ بِيَاضِهِ
 برودَ اللَّيَالِي الحَالِكَاتِ المَوَارِمِ
 وتطلع في أفقِ الشَّبَابِ نجومُهُ
 طلوعَ الدَّرَارِي في خَالِ الفُجَائِمِ
 كأنِّي منه كَلَمًا رَمَتُ نَهْضَةً
 إلى اللّهِو مقبوضُ الخُطَا بالأُدَاهِمِ (٣)
 تُسَانِدُنِي الأيدي وقد كنتُ برهْمَةً
 غِيًّا بنفسي عن دِعَامِ الدَّعَائِمِ
 وأخشع في الخطبِ الحَقِيرِ ضِرَاعَةً
 وقد كنتُ دَقْطًا صدورِ العَطَائِمِ (٤)

-
- (١) آسو : أعالج ، ومنه الآسى وهو الطبيب ، والكلم : الجرح .
 (٢) الأميم : المشجوع الذي بلغت الضربة أم رأسه أى قشرة دماغه .
 (٣) الأداهم : جمع الأدهم وهو القيد .
 (٤) الضراعة : الذلة والخضوع .

وقد كنتُ أباءً على كلِّ جاذبٍ
 فلما علاني الشيبَ لانتُ شكائِي (١)
 ولما عراني ظلي وحملتُ
 أنستُ على عمدٍ يحل المظالم
 فلا ينفضن رأسي إلى المز بعدما
 تجلله منه مذل الجماجم (٢)
 فإ صبغة حملتها غير راغبٍ
 وإ صبغة بدلتها غير سائمٍ
 وإ زائري من غير أن استزيره
 كما زير حيزوم الفتى باللهاذم (٣)
 أقم لاترم عني وإن لم تكن هوى
 فكم قد سخطنا قد غير ملاءمٍ
 فن تبدلي من صبحه بظلامه
 ومن عاغضي عن بيضه بالسواهم (٤)
 ومن حامل عني الفداة غرامه
 وقد كنتُ نهاضا بثقل المغارم
 فإبيض بيض الرأس هل لي عودة
 إلى السود من أغياركم الفواجم (٥)

-
- (١) الشكائم : جمع الشكيمة وهي الأنفة وأصلها الحديدية المفترطة
 في قم القوس ، وهي من اللجام .
 (٢) نفص رأسه : حركه كالمتعجب .
 (٣) الحيزوم : الصدر ، واللهاذم : جمع اللهزم وهو السيف القاطع .
 (٤) السواهم : المتغيرات .
 (٥) الفواجم : السوداءات .

ويا فجر رأسي هل إلى ليلة المنى
سبيل وكبرات المواضي القوائم
ليالي أقدى بالنفوس وأرتدى
من البيض اسعاف بيض المعاصم
فإن كان فقدان الشبيبة لازماً
فحزنى عليها الدهر ضريبة لازم
وإن لم يكن نوحى بشاف وأدمى
قدمح الحيا كاف ونوح الحوائم (٢)
...

وقال أيضاً في الشيب (٣):

قالت مشيك فجر والشباب إذا
زرناك ظلمة ليل فيه مستتر
ومن حامل عنى الفداة غرامه
وقد كنت نهاضاً بثقل المشارم
فيابيض بيض الرأس هل لى عودة
الى السود من أغياركن الفواحم (٤)
تنازحن بالبيض الطوالع شردا
كما شرد الاصباح أحلام نائم (٥)

-
- (١) الشكائم : جمع الشكيمة وهى الأنفة وأصلها الحديدية المفترقة فى
فم الفرس ، وهى من اللجام .
(٢) نخس رأسه : حركة كالمتعجب .
(٣) الحيزوم : الصدر ، واللهازم : جمع اللهزم وهو السيف القاطع .
(٤) المواهم : المتغيرات .
(٥) الفواحم : السوداء .

ما فجر رأسى هل الى ليلة المنى
سبيل وكرات المواضى القوائيم
ليالى أفدى بالنفوس وأرتدى
من البيض اسحاظا ببيض المعاصم
فان كان فقدان الشبية لازما
فحزنى عليها الدهر ضربة لازم
وان لم يكن نوحى بشاف وأدمعى
فدمع الحيا كاف وضوح الحائيم^(١)

...

قال أيضا فى الشيب^(٢) :

قالت مشيلك فجر والشباب إذا
زرناك ظلمة ليل فيه مستتر
قلت من كان هجرى الدهر عادته
ما إن له بيباض الشيب محتذر
لا تسخطيه فهذا الشيب مظهر
على عيوب بضد الشيب تستتر
ترين منى ضوء الشيب يفصحنى
ما زاغ عنه ورأسى أسود البصر

...

(١) الحيا (بالقصر) : المطر .

(٢) الديوان ج ٢ ص ٢٧ .

وهذا نموذج آخر من أقواله في الشيب (١) :

صدّ عني وأعرضا
 إذ رأى الرأس أبيضاً
 واسترد الزمان مني
 في ما كان أقضاً
 ومانى بشيب رأ
 سى ظلماً أو أغضاً (٢)
 واستحال الطيب لي
 من سقامي فأمرضاً
 وحسب عهدتيه
 صار بالشيب مفضلاً
 كان يرضى ولم يدع
 شيب رأسي له رضا
 قال لي مفضلاً
 كان إلا معرضاً
 أين شرح الشباب قد
 ت خباء تفوضاً (٣)
 أو منام أتى الصبا
 ح إلينا وقد مضى

...

-
- (١) الديوان ج ٢ ص ١٦٧ .
 (٢) أغرض : أصاب الغرض أي الهدى .
 (٣) الخباء (بالكسر) : الخيمة أو بيت الشعر، وتقوض : انهدم .

وقال فيه أيضا (١) :

لَوْتُ وجهها عن شيب رَأْسِي وإنَّها
لَوْتُ عن بياضٍ أبيضٍ لونه غُصَا
ولو أنصفتُ ما أعرضتُ عن شبيهها
ولا أبدلتُهُ من محبته بفضا
وأغضيتُ عنها والبلايل في الحشا
ومن كان مثلي حاملاً للهوى أغضى
وما كنتُ أرضى بالرضى ^{رُحْمَا} قبل جهها
فصيرني بالشئ لم أرضه أرضى
....

وقال في نفس الغرض (٢) :

تَضَاحَكْتَ لَمَّا رَأَيْتَ الشَّيْبَ
ولم أر من ذاك ما يُضْحِكُكَ
....

وما زال دَفَعَ شَيْبَ الْعِذَارِ
لَا يَسْتَطَاعُ وَلَا يَمْلِكُ (٣)
وقال لِي الدَّهْرُ لَمَّا بَقِيْتُ
أَمَّا الشَّيْبُ أَوْ الْمَهْلَكُ
فَقَوْلِي وَأَنْتَ تَعْيِينِي
لَايَ طَرِيقَهُمَا أَسْأَلُكَ
....

(١) الديوان ج ٢ ص ١٦٨

(٢) الديوان ج ٢ ص ٣٦١

(٣) العذار : الشعر النابت على صفحة الخد مما يلي الأذن أو موضعه

ومن أقواله أيضا في الشيب (١) :

نصبي منك اليوم هجر ومفضة
ومالك إلا في السوداد نصيب
وقلبك من حبي صحيح مسلم
وقلبي فيه من هواك ندوب
وربك مني قبل أن تتبينني
بأن ليس لي أمر عليه مشيب
وعاقبتني ظلما وكم من معاقب
وليس له عند الحسان ذنوب
وليس عجيبا شيب راسي وأما
صدودك عن ذاك المشيب عجيب
هبيه نهارا بعد ليل وروضة
تضاحك فيها النور وهي قطوب (٢)
ولا تطلبني شرح الشباب وقد مضى
فذلك شيء ما أراه يثوب (٣)

وقال في ذم الشيب (٤) :

يقولون لى لم أنت للشيب كاره
فقلت طريق الموت عند مشيبي

-
- (١) الديوان ج ١ ص ٣٤ .
(٢) النور : (بالفتح) زهر أبيض .
(٣) يثوب : يرجع .
(٤) الديوان : ج ١ ص ١٢٠ .

قَرِيبُ الرَّدَى لَمَّا تَجَلَّلَ مَفْرَقِي
وَكُنْتُ بِعِيدَا مِنْهُ غَيْرَ قَرِيبِ
وَكُنْتُ رَطِيبَ الْفَصْنِ قَبْلَ حُلُولِهِ
وَمُغْنِي لَمَّا شَبَّ غَيْرَ رَطِيبِ
وَلَمْ يَكْ إِلَّا عَنِ مَشِيبِ ذَوَائِي
جَفَاءَ خَلِيلٍ وَازْوَارُ حَبِيبِ
وَمَا كُنْتُ ذَا عَيْبٍ وَقَدْ صُرْتُ بِعَدَّةِ
تَخَطُّ بِأَيْدِي الْفَانِيَاتِ عَيْسِي
فَلَيْسَ بِكَائِي لِلشَّبَابِ وَأَنْمِيَا
بِكَائِي عَلَى عَمْرِ مَضَى وَنَحِيبِي

...

وقال في وقت ظهور الشيب في شعره (١) :

أَمِنْ بَعْدِ سَتِينَ قَدْ جَزَتْهَا
تَعَجَّبُ أَسْمَاءُ مِنْ شَيْبَتِي
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ لَوْ مَا كَسَبَتْ
وَلَمْ يَنْزِلِ الشَّيْبُ فِي لَمَّتِي
فَإِنْ كُنْتَ تَابِعِينَ شَيْبَ الْعِذَارِ
فَكَمْ خَيْبَ الْمَرْءِ مِنْ مُنِيَّةِ
وَإِنْ أَنْتِ يَوْمًا تَخِيرِ لِي
فَشَيْبِي أَصْلَحُ مِنْ مِيتَتِي

فلا تغضبى من صنيع الزمان
فما لك شئ سوى الفضيحة
...

ومن أقواله فى المشيب (١) :

بياضك يالون المشيب سواد
وسقمك سقم لا يكاد يمساد
قد صرت مكروهاً على الشيب بعدما
عمرت وما عند المشيب أراد
على من قلوب الثانيات ملامة
ولى من صلاح الثانيات فساد
وما لى نصيب بينهن وليس لى
إذا هن زودن الأحبّة زاد
وما الشيب إلا توّم الموت للفتى
وخيش امرئ بعد المشيب جهاد
...

وقال فى نفس الفرض (٢)

صدت أسما عن شيبى قلت لها
لا تنفري فياض الشيب مهور
عمر الشباب قصير لابقاء له
والعمر فى الشيب يا أسما ممدود

(١) الديوان ج ١ ص ٢٣٢ .

(٢) الديوان ج ١ ص ٢٣٣ .

قالت طردت عن اللذات قاطبة
فقلت انى عن الفحشاء مطرود
ما صدنى شيب رأسى عن تقى وعلا
لكنى عن قذى الأخلاق مصدود
لولا بياض الضحى ما نيل مفتقد
ولم يبين مطلب يبقى ومقصود
ما عادل الصبح ليل لا ضياء به
ولا استوت فى الليلالى البهيم والسود

...

وهكذا لاحظنا أن الشريف المرتضى قد ألم بجوانب الكتابة فى الشيب ،
ونعتبره سباقا فى مضمار هذا الغرض ، وقد كتب قصائد ومقطوعات كثيرة فى الشيب (١) .

* * *

الديوان :

- ج ١ ص : ١٦١ ١٢٠ ١١٧ ١١٦ ١١١ ٧٥ ٧٤ ٧٣ ٧٢ ٤١ ٣٤ ١٨
• ٣٠١ ٢٩٨ ٢٥١ ٢٤٧ ٢٣٣ ٢٣٢ ٢١٢ ١٩٩ ١٨٩ ١٥١
ج ٢ ص : ٣٦١ ٢٢١ ١٦٨ ١٦٧ ١٤٢ ١٣٠ ١٢٣ ١٠٠ ٩٨ ٢٧
ج ٣ ص : ٣٣٣ ٢٥٧ ٢٣٩ ٢٢١ ١٩٩ ١٩٤ ٧٦

((الفصل السابع))

:: الزهد ::

~~~~~

تقدم أن من صفات الشريف المرتضى الزهد في الدنيا ، فلم يكن ممن  
المقبلين عليها ، أو المائلين اليها .

وقد كان العامل الأساسي في زهده هو تدينه ، وعلمه الخبير ، وثقافته  
الواسعة التي جعلته يدرك حقيقة الدنيا وقيمتها .

وعلى سبيل المثال فهو يرى أن الخيـث لا تستحقه دار يسكنها من لا يرضى  
ولا يقنع ، الذين يلبث الشرف فيهم ويضيق الخير وإذا ما صادف وجاور هؤلاء القوم  
فانه يبيع جوهرهم لأول مشتري .  
فيقول : (۱)

لا هطل الخيـثُ بدار الألى  
ليس بهم راضٍ ولا قانعٌ  
الشرُّ في أبياتهم لا يـتُ  
والخير فيما بينهم ضائعٌ  
من يشتري مني جوارى لهم  
فأننى اليوم له بائعٌ

...

ولنستعرض بعض نماذج من شعره في الزهد .  
قال في الزهد (١) :

المرءُ يجمع والدنيا ففرقة  
والعمرُ يذهب والأيام تختل  
ونحن نخبط في ظلمات ليس بها  
بدرٌ يضئ ولا نجمٌ ولا قمرٌ  
فكم نرتق خرقاً ليس مرّ يتقاً  
فيها ونحرس شيئاً ليس ينحرس  
وكم نذلّ وفينا كلُّ ذي أنفٍ  
ونستكين وفينا الميز والشوس (٢)  
وكيف يرضى لبيبٌ أن يكون له  
ثوبٌ نقيٌّ وعرضٌ دونه دنيس  
أم كيف يطبق يوماً جفنٌ ذي دنسٍ  
وخلفه فاغرٌ للموت مفترس (٣)

...

وقال في ذم الدنيا والحث على الزهد فيها (٤) :

أأقلُّ والدهرُ لا يخفُّ  
وأنسى الذي شأنه أفضل

(١) الديوان ج ٢ ص ١١٦ .

(٢) الشوس : العزة والتكبر ، وأصل الشوس : النظر بوجهٍ خفيٍّ كمن تكسبها وتخفيها .

(٣) الفاعير : الفاتح فاه .

(٤) الديوان ج ٣ ص ٩ .

ويطمئني أنني سالم  
وداء السلامة لي أقتل  
ويمضي نهاري وليلي معا  
بما غيره الخبير والأجمل  
وأمل أنني أفوت الحمام  
أمان لعمرك لي ضل  
وكيف يرى آخر أنسه  
مبقى وقد هلك الأول  
ولما بدا شمس ط العارضي  
(١) من لمن كان من قبله يعذل  
تناهوا وقالوا لسان المشي  
ب له من جوارحنا أعذل  
فقلت لهم إنما يعذل الـ  
مشيب على الذي من يقبل  
فحتى متى أنا لا أروي  
ولم لا أقول ولا أفعل  
وكم أنا ظمآن طول الحياة  
وفي قفّي البارد السلسل  
أمان ولا عمل بينهم  
كجـو يفهم ولا يهطل  
...

---

(١) الشمس ، بفتحين : اختلاف الشعر بلونين سواد وبياض ، والعارضان : جانباً الوجه .

ومنها :

وما النَّامُ إِلَّا كَبَهُمُ الضَّيْبُ —  
 ح يَحْزَنُ فِي الْأَرْضِ أَوْ يَسْهَلُ (١)  
 فمن عامل ماله خِـبْرَةً  
 وآخر يَدْرِي وَلَا يَحْمِلُ  
 فَيَالَيْتَ مَنْ عِلْمُ الْمَوَاقَاتِ  
 وَقَارَقَهَا رَجُلٌ بِجَهْلِهِ  
 أَمِنَ بَعْدَ أَنْ مَضَتْ الْأَرْصُونَ  
 سَرَاعًا كَسَرَبِ الْقَطَا يَجْفِلُ  
 وَلَمْ يَتَّقِ فِيكَ لَشْرَحَ الشَّبَابِ  
 مَا بَ يَرْجَى وَلَا مَوْشَلُ  
 تَطَامَحُ نَحْوَ طَوِيلِ الْحَيَاةِ  
 وَمَوْشِكُ أَنْ مَا مَضَى أَطْوَلُ  
 إِلَّا إِنَّمَا الدَّارُ دَارُ الْهَلَاكِ  
 فَقِي شَهْدَهَا أَبَدًا حَنْظَلُ  
 يَخَافِي مِنَ الدَّاءِ مَنْ يُتَلَّى  
 وَمِنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ يَقْتَلُ  
 وَسَقَمٌ أَقَامَ جَمِيعَ الْأَسَاةِ  
 عَلَى أَنَّهُ سَقَمٌ يَقْتَلُ  
 يَا ذَاهِلًا وَنِدَاءُ الْحَتُوفِ  
 فِي النَّامِ يَوْقُظُ مَنْ يَذْهَلُ

---

(١) البهم : جمع البهمة وهو ولد الضأن ذكرًا كان أو أنثى .

طريقٌ طويلٌ وأنتَ أمـرو  
لعلَّك في زاده مرمل<sup>(١)</sup>

\*\*\*

ومنها أيضا :

أليس وراءك مـزورة<sup>(٢)</sup>  
عليها الصفائحُ والجندل<sup>(٣)</sup>  
بها الصبحُ ليلٌ وليلُ البلا  
يليلٌ بساحتها أيل<sup>(٤)</sup>  
إذا ما أناخ الفتى عندها  
مقيماً فيأبى ما يرحل  
وإن جاءها فوق أيدي الرجال  
فبالرغم من أنفه ينزل  
على أنه ليس عنها له  
وإن حاص منجى ولا مرحل  
منازل ليس لحى بها  
مجاج ولا وسطها منزل<sup>(٥)</sup>  
خلت غير ذئب تراه بها  
يُحاسل أو صرد يحجل<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) المرمل : الذي نفذ زاده واققر ، سعى بذلك للصوقه بالرميل .  
(٢) المزورة : المنحرفة كنى بها عن القبر ، والصفائح : جمع صفيحة  
وهي حجارة عريضة رقيقة ، والجندل : الصخر .  
(٣) ليل أيل : شديد الظلمة .  
(٤) المجاج : الإقامة .  
(٥) يحسل : يحدو مضطرباً ، والصرد : ضرب من الطير ، ويحجل :  
يمشى على رجل واحدة .

- والا ترنم حنانة  
 تثط كما زفر المرجل (١)  
 ترنم وتقل مجتازة  
 بمن لا يرئم ولا يقفل (٢)  
 ألا أين أهل النسيم الفزير  
 وأين الأجادل والبزل (٣)

...

- وأين الفطارف من ~~هيم~~  
 وما ملكوه وما خولوا (٤)  
 وأين الذين إذا ما انتجوا  
 أزم بنجواهم المحفل (٥)  
 وأطرق كل طویل اللسان  
 صوتا يجيب ولا يسأل

...

- إذا ما مشوا يسحبون البرود  
 فللرشي ما مشيت الأرجل (٦)

- 
- (١) الحنانة : المرأة التي فقدت زوجها فذكره بالحزن ، وثثط : تئن .  
 (٢) ترنم : تقيم وتطارق أيضا ، وتقل : ترجع .  
 (٣) الاجدل وهو الصقر ، والبزل : جمع البازل وهو من الابل  
 وما بزل نابه أى فطر وشق .  
 (٤) الفطارف جمع الخطريف : وهو السيد الشريف .  
 (٥) انتجى القوم وتناجوا : تساروا وتحادثوا ، والنجوى : الحديث  
 الخفى ، وأزم : سكت وأطرق .  
 (٦) الرشي : المص قليلا قليلا والمقصود هنا بلوغ الحاجة بالتانى .

- وقوم إذا ما سـروا زعـزـعوا  
 (١) قـرا الأرض بالخيل أو زلـزلوا  
 تقام ما لكهم بالقنـا  
 (٢) ويجبى خراجهم المنـصل  
 وكم قلبوا فى العباد الميـون  
 ظم يـصروا غير ما أفـلوا  
 وتلقاهم عند خوف البلاد  
 مـين بيوتهم المحقـل  
 مضوا مثلما مضت الساريـات  
 (٣) أثنى بها الوطن المبقـل  
 وأزعجهم من قلال القـصـور  
 ظم يلبثوا المزـجـ المعجل  
 ...  
 وقال أيضا فى الغرض نفسه (٤):  
 كم ذا تـذل بهذا الأمر أـرئـنا  
 وما لنا فيه ألا الرى والشـبح  
 لم يـحد المرء فـترا من مـذلتـيه  
 (٥) بين الرجال وفى حـيزـمه الطمع

- 
- (١) القرا : الظهر .  
 (٢) المنصل : بضم الميم وضم الصاد أو فتحها : السيف .  
 (٣) المبقـل : الذى أنبت البقل .  
 (٤) الديوان ج ٢ ص ٢٠٣ .  
 (٥) الحيزوم : وسط الصدر .

لا تطلب النفع في الدنيا فكم طلب الـ  
رجال نفعا من الدنيا فما انتفعوا  
إن لم يكن في طلاب الوفر منتجج<sup>(١)</sup>  
ففي طلاب جميل الذكر منتجج<sup>(٢)</sup>  
وانظر إلى الناس قاضي لا يطيق لما  
عراه دفعا وماضي ليس يرتجح<sup>(٢)</sup>  
كانهم بعد أن شط الفراق بهم  
لم يلبثوا بيننا يوما ولا اجتمعوا<sup>(٢)</sup>  
...

وقال في الزهد ضمن قصيدة دالية مطولة ، مطلعها :  
قل للذي راح بمز واغدى  
يسحب منه مطرفا ————  
...

ومنها :  
وكم يرى الرأون فينا الأودا  
قد آن في زهيدنا أن نزهدا  
بعد جور قد مضى أن نقصدا  
وأن نرى عن الدنيا حيدا  
....

ولعل قصائد المرتضى المصنفة في ديوانه في غرض الزهد قليلة  
لا تتعدى عشر قصائد ومقطوعات ، ولكننا لاحظنا أن كتاباته الأخرى في  
مختلف الأغراض لا تخلوا من ذكر بعض جوانب الزهد . فضلا عن أن له  
قصائد أخرى في الموعظة والاعتبار .  
\*\*\*

(١) الوفور : المال الكثير ، والمنتجج : موضع طلب الكلا .  
(٢) شط : بعد .

## الفصل الثامن

### :: الوعظ والارشاد ::

كان الشريف المرتضى كثير الوعظ في قصائده ، ولا يستغرب ذلك من كاتب وأديب وشاعر وفقيه وعالم وزاهد في الدنيا .

فتراه يخاطب جامع المال ، ويقول له : استخدمه قبل أن يستخدمه غيرك ، فالمال في هذه الدنيا لمنفقه وليس لجامعه ، وصروف الدهر والاجل يسبقان في اهلاك المال ، فهو أن احتفظ بالمال حيناً فأغلب الاحيان يخنى عنه ، وبينما الكريم يضي وماله معه مما أنفقه في سبيل الله وفي الصدقات حيث تتواصل حسنات كرمه بينما البخيل يترك المال لاعدائه الذين يخل عليهم في حياته الدنيا وحرصهم منه قبل وفاته ، يقول المرتضى (١) .

يا جامع المال كله قبل آكله  
فإنما المال في الدنيا لمن أكلا  
أنت المجارى إلى مايت تجمعه  
فأسبق إليه صروف الدهر والأجلا  
إن تبقي مالك حيناً لا تبقي له  
أما بطلت فناء عنه أو بطلا  
أما الكريم فيضي ماله مـ  
ويترك المال للاعداء من يـ

...

وكان لابد لطبيعة وخلق الشريف المرتضى أن تتجاوب مع المعانى السامية فى شعره ، ومن هذه المعانى ما كتبه فى الوعظ والاعتبار (١) .

قال فى الاعتبار (٢) :

ألا لا ترم أن تستمر مسرة  
عليك فأيام السرور قلائل  
ولا تطلب الدنيا فان نعيمها  
سراب تراءى فى البسيطة زائل  
رجاء وإشفاق كما لعبت لنا  
بأطماننا فيها البطون الحوامل  
وان مكان الخطب فيما نعيده  
خطوب على قرب المدى وهو ما حل

...

ومن مقطوعاته فى الوعظ (٣) :

يقولون أسباب الحياة كثرة  
قللت وأسباب المنون كثير  
وما هذه الأيام إلا مصائد  
وأشراك مكروه لنا وغرور  
يسار لنا فى كل يوم وليلة  
فكم ذا إلى ما لا نريد نسير  
وما الدهر إلا فوحة ثم ترحة  
وما الناس إلا مطلق وأسير

...

(١) الديوان ج ١ ص ١٠٥ ، ١٢٥ . ج ٢ ص ٢٢ ، ٢٠٦ .

ج ٣ ص ٣٩ ، ٤٤٤ ، ١١٥ ، ٢٨٩ ، ٣٢٨ ، ٣٢٥ .

(٢) الديوان ج ٣ ص ٣٩ . (٣) الديوان ج ٢ ص ٢٢ .

وقال في الاعتبار (١) :

يا سائل عن ذنوب الدهر آفة  
 أسمع فعندي أنباء وأخبار  
 كل الرجال إذا لم يخشعوا طمعا  
 ولم تكدّرهم الآمال أحرار  
 إن تضح داري في عسان نائية  
 يوما على فالخلصاء لى دار  
 لو لم يكن لى جار من نزاريهم  
 يخضو على فن قحطانهم جار  
 وإن يضق خلق من صاحب سئم  
 فلم يضق بى فى ذى الارض أقطار  
 سقا لقلب يحاف الذل ذى أنف  
 المار فى لبه سبان والنار  
 يكسو " الجديد " لمن يهتم منحه  
 ولبسه الدهر أهدام وأطهار (٢)  
 ذل الذى فى يد الحسناء مهجته  
 ومن له فى ذوات الخدير أوطار  
 وعز من لا هوى منه وكان له  
 عنه مدى الدهر إقصاء واقصار  
 ما سرنى أنتى أحوى الغنى وهذا  
 فى كف جارى إعمار واقطار (٣)

(١) الديوان ج ٢ ص ٢٢ - ٢٣

(٢) الأهدار : الثياب البالية .

(٣) الاقتار : الفقر .

وَأَنْ لِّي نَصْرَةٌ مِنْ كُلِّ حَادِثَةٍ  
 وما له من صروف الدهر نصار  
 وَاَنْتَى بِالْخُ مِنْ عِشْتِي وَطَرَا  
 وليس تُقْضَى له ما عاش أو طار  
 لا بَارِكَ اللَّهُ فِي وَادِي اللَّثَامِ وَلَا  
 سَأَلْتُ بِهِ جَدَّ جَدِّ الْعَامِ أَمْطَارُ  
 وَالْخَيْرُ كَلْفَةٌ هَذَا الْخَلْقِ كُلِّهِمْ  
 وَالنَّاسُ بِالطَّبِيعِ وَالْأَخْلَاقِ أَشْرَارُ  
 إِنَّ الَّذِينَ أَقَامُوا قَبْلَنَا زَمَنًا  
 مُحْكَمِينَ عَلَى أَيَّامِهِمْ سَارُوا  
 خَلَّتْ مَنَازِلُهُمْ مِنْهُمْ وَشَرَّدَهُمْ  
 دَهْرٌ خَوْءٌ لِمَنْ يُوَدِّيهِ غَدَارُ  
 وَحَطَّاهُمْ قَدَرٌ مِنْ بَعْدِ أَنْ رُفِعَتْ  
 مِنْهُمْ إِلَى قَلْبَةِ الْقَلْبَاءِ أَقْدَارُ  
 ...

وقال في المظلة (١):

صَبْرًا عَلَى مَضِيِّ الْخَطْبِ  
 بَ وَأَنْ أَسَانَ بِنَا صَنِيعًا  
 يَعْطَى الزَّمَانُ وَلَيْتَهُ  
 أَعْطَى وَلَمْ يَنْوِ الرَّجُوعَا  
 مِنْ عَاذَرِي مِنْ مَطْمَعِ  
 أَغْدُو لَهُ دَهْرِي مَطْمَعَا

أَفْنَى الْأَصُولِ وَلَيْتَ—  
أَبْقَى فَلَـمْ يُفْنِ الْفُرُوعَ—  
أَيْنَ الَّذِينَ تَبَيَّنُوا—  
(١) نَشَزًا مِنَ الدُّنْيَا رَفِيعًا—  
خَلَفُوا الْبَدْرَ إِذَا أَحْبَبْتَ—  
وَلَطَّالِمَا خَلَفُوا الرَّبِيعَ—  
وَإِذَا الْجِسْمُ تَدَرَّعَتْ—  
جَعَلُوا عِزَّائِهِمْ دُرُوعًا—  
وَمَا تَقْدَمُ تَتَضَحُّ لَنَا الْإِعْوَاضُ الَّتِي قَالَهَا شَاعِرُنَا .

\*\*\*

---

(١) النَشَزُ ( بتسكين الشين أو فتحها ) : المتن المرتفع من الأرض .

«البابُ الرابعُ»

شاعريته ومفصّلات شعره

الفصل الأول: عوامل شاعريته

الفصل الثاني: الخصائص الفنية في شعره

الفصل الثالث: بين شاعريته الرضي والمرتضى

تمهيد :

لعل من ابرز ما اشتهر به الشريف المرتضى شعره برغم مكانته الاجتماعية والعلمية والسياسية التي سبق وأن ارضحتها في موضعها من هذا البحث ، فقد قال الشعر البليغ المتميز ، وشعره له متعة في النفس وحلاوة على اللسان ، وهو يشبه الشعر العربي القديم في مناه ، ومعانيه تقرب من معاني المتنبي وكبار الفحول من الشعراء ، ألا أنه مع ذلك مستقل الفكر تبرز شخصيته فيما يتناول من شعر ، فهو ينظم في الحياة والناس ويتناول المعاني النفسية والفلسفية وصور النفس ، وينقد المجتمع ، وهو يحفل بالمعنى كما يحفل بالألفاظ الجزلة ، ولذلك خلا شعره من الصناعة التي تظهر في شعر أبي تمام ، كما خلا من صور العبث والهزل ، ونعتقد أن مرد ذلك الى دينه وبيته وميته وزهده .

والظاهر لنا من البحث أن السيد المرتضى كان قليل الاعتداد بشعره لما كان في سبيله من التصرف في فنون العلم وضروب الثقافات العقلية ، حتى أنه جعل الأدب في كتابه " درر القلائد وغرر الفوائد " ، طريقا الى تفسير القرآن الكريم ، فاتخذ وسيلة لا غاية ، وابتداء لا نهاية ، وأن تلامذته كانوا يتهيمون أن يحلوا عنه شعره لان العلم كان هو أخرى بالحمل من الشعر عنده ولذلك نزلت نسخ ديوانه ، وإذا أضفنا لذلك كثرة خصومه لكثرة علومه (١) ، وضآلة حظه من الاشتهار بالشاعرية ومراعاة أخيه الرضى في الشعر وكثرة الراغبين في شعره ، على اختلاف بواعث الرغبة ، علمنا السبب في قلّة الأقبال على تداول الأدباء لديوانه ، على نفاسته وقوته وامتناعه ، وجزالتهم واختراعه .

وتأكيدا لكلامنا وما ذهبنا اليه نجد على سبيل المثال كمال عبد الرزاق ابن أحمد الشيباني البغدادي المعروف بابن الفوطي في كتابه ( تلخيص معجم

(١) راجع ( الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر ) ص ٤٥ .

( الألقاب ) ، يقول فى الجزء الرابع :

" علم الهدى المرتضى أبو القاسم على بن أبى أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على العلوى الموصى التقيه المتكلم ، ..... متوحدا فى علوم كثيرة ، وله من التصانيف " درر القلائد و غرر الفوائد " ، وكتاب " تفسير القرآن " ، وكتاب ( الذريعة ) و ( المقنع ) فى النبية ، وغير ذلك ، وله رسائل ومسائل مدونة • كتب عنه أبو بكر أحمد بن على الحافظ ( الخطيب البغدادى ) صاحب التاريخ •

ومن شعره :

وحزنا عتيقا وهو غاية فخركم  
بمولد بنت القاسم بن محمد (١)  
فجدنبى ، ثم جد خليفة  
فمن مثل جدينا عتيق واحمد ؟  
...

ثم قال ابن الفوطى فى الجزء الخامس من تلخيصه ان السيد السيف المرتضى برز فى علوم كثيرة متنوعة ، كعلم الكلام والفقه وأصوله ، والأدب والنحو ، والشعر ومعانيه واللغة ، وله ديوان يزيد على عشرة آلاف بيت •

---

(١) قال الجوهري فى الصحاح (( وكان يقال لأبى بكر الصديق - رضى الله عنه - عتيق لجماله ، وقيل لان النبى - صلى الله عليه وسلم - قال له : أنت عتيق من النار • واسمه عبد الله •

والشريف المرتضى شعره جزل وألفاظه فخمة ، ثرى اللغة مؤنورها  
لهذا كثر فى شعره التصحيف من النساخ ، ويصح أن نقول فيه :

ان اقل فنونه الشعر مع ابداعه فيه ، فقد كان الشعر يفيض على  
جنانه ، فيطفح الى لسانه ، سالكا طريق بيانه .

ومع ذلك قلما نجد ممن ترجم له من أطرب فى الحديث على شعره  
وليس ذلك فى رأينا لشيء يشوب شعره ، وانما لتفرد بالكتابة فى مختلف  
الفنون والآداب والمعارف والثقافات التى غالبا ما تكون محددة فى رسائل  
أو كتب ، أما شعره فلم ينل الحظ الموفور من الكتابة والتبويب فى حياته ،  
خاصة وأنه كان فى غنى عن الاستزاد أو الاستجداء بشعره . فقد نظم  
بعض القصائد فى المديح والرثاء ، مديح الخلفاء والسلاطين ورثائهم ، وكان  
الباعث على طرق هذه الأبواب من النظم وفاقه وصدائقه لكثير من القوم ،  
كما لاحظنا أن جل أصحابه حتى من طبقة الأمراء والسلاطين والخلفاء  
كانوا على منزلة عالية من المشاركة فى فنون الأدب والشعر واللغة ، فكانوا  
يشيرون قريحته ، ويحركون وجدانه وعاطفته فيجود بما تجود به قريحته من الشعر .

من ذلك أن الوزير أبا على الحسن بن حمد ، رغب الى المرتضى  
أن يحمل<sup>(١٣)</sup> أبيانا تتضمن نقض المعنى الذى قصده جرير بقوله :

تقول المازلات علاك شبيب  
أهذا الشيب يضمننى مراحى ؟

...

فجاءت قريحته بمقطوعة مطبوعة يقول أولها :  
وما من الفتى تزور عنه  
خدود البيض بالحدق الملاح

...

١٣٤٠ هـ - ١٨٢٢ م

ومنها قوله :

وقالوا : لا جناح - فقلت : كلا

- (١) مشيبي وحده فيكم جناحى  
أليس الشيب يدني من مماتي  
وطمع من قلاني في رواحي
- (٢) مشيب شن في شعر سليم  
كشن المر في الإبل الصحاح  
كأنى بعد زورته مهيب فض
- (٣) أدنى على الوظيف بلا جناح  
سقى الله الشباب الفض راحا
- (٤) عتيقا أو زلا مشل راج  
ليالى ليس لى خلق مريب  
فلا جدى يذم ولا مزاحى  
واذ أنا من بطالات التصايب  
ونشوات الفوانى غير صااح  
واذ أسماهن إلى ميل  
يصخن إلى اختيارى واقتراحى  
عوضيا ابن حميد ناقضات
- (٥) لقول فتى تجلد للواحى

- 
- (١) الجناح ( بالضم ) : الاثم
  - (٢) شن : رش ، والمر : الجرب
  - (٣) المهيبض : المكسور ، دى الطائر : حوك جناحيه ، والوظيف :  
ما فوق الساق الى الرسغ
  - (٤) الراج : الخمر
  - (٥) اللواحى : الحاذلات جمع اللاحية

قال - وليس حقاً كل قول  
" أهذا الشيبُ يمنحني مراحى "

...

ومن ذلك يستفاد أن الوزير يشارك مشاركة حسنة في الأدب ، ويروى  
شعر الطبقة الأولى من الشعراء الاسلاميين ، وأيضاً - وهو ما يهنا - هذا  
الوزير خبير بمزاج الشريف وفنون الأدب والشعر ، معترف بشاعريته وقريحته  
المعطاء .

\*\*\*

(( الفصل الأول ))

—

:: عوامل شاعريته ::

~~~~~

هناك ملاحظات كثيرة على شعر السيد المرتضى ، ربما أعانت على تفسير ظواهره وتحديد خصائصه وتبين أغراضه نستطيع منها الوصول الى أهم العوامل الخاصة بشاعريته وهى :

- ١ — شخصية الشريف .
- ٢ — صلاته بالخلفاء " الوزراء " السلاطين .
- ٣ — أسرته الكريمة .
- ٤ — زهده وكرمه .
- ٥ — مناصب وألقاب .
- ٦ — اصدقاءه .
- ٧ — عدم التكسب من الشعر .

* * *

(١) شخصية الشريف : (١)

قد كان الشريف المرتضى يتحتم بشخصية قوية لها أثرها فيمن يتعامل معه وكانت صفاته الجسمية والنفسية والاجتماعية تهيئ لهذا الوضع .

كما تتلمذ على أيدي كبار الأساتذة في عصره ، وأخذ منهم ، إلى أن أصبح ندالهم بفضل ثقافته الواسعة ودأبه على التحلم وانقطاعه له ، فضلاً عن أنه شغل جزءاً كبيراً من حياته في تعليم عدد من التلامذة .

كما كانت عقيدته وأراؤه الدينية لها أكبر الأثر في شعره ، حيث كان جريئاً في الحق ، وقد حفظت قصائده في ذكرى يوم عاشوراء بالعدد من آرائه عن مآلات مقتل الحسين ورفاقه .

كما كانت ثقافته وعلمه ومكانته في مجتمعة بمثابة الحائل دون تناول بعض الأغراض التي دأب الشعراء على تناولها ، مثل الهجاء البذيء وتناول الأغراض بالسب والتجريح .

(٢) صلاته بالخلفاء والوزراء والسلاطين : (٢)

ساعدت مكانة الشريف المرتضى ، وثقافته ، ورجاحة رأيه ، على اتصاله وصداقته للخلفاء والسلاطين والوزراء والأمراء والأعيان ، وكانت علاقته بهم الند للند ، فلم يكن يستجدي بشعره فهو في غنى — بفضل ثرائه الواسع — عن اتباع ذلك الأسلوب للاستتراد والاستجداء . كما كان كثير من السلاطين الوزراء ووجهاء القوم في عصره يشجعون الأدب ويتذوقون الشعر .

(١) انظر الباب الأول من هذا البحث .

(٢) انظر الباب الأول من هذا البحث .

وجاءت مدائح وتهانيه ومشاركته لهم انعكاسا لما يحمله لهم في نفسه
من مشاعر الود والاحترام المتبادل .

(٣) أسرته الكريمة : (١)

فالشريف حينما ينسب ينتسب الى شرف رفيع ومحمد كريم ، فهو قد
ولد بين احضان أسرة لها مآثرها وسوءدها تنتمي الى أرومة النبي الاعظم
صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وكانت أسرته لها جاهها في المجتمع الاسلامي
تقد كان العلويون كفة خاصة لهم نظامهم الخاص الذي يتمثل في هيئة
تسمى النقابة ، وهذه النقابة تقيم فيهم الحدود ، والنظم ، وتحل مشاكلهم
وتطالب بحقوقهم ، وكان آباء الشريف يتوارثونها كابرا عن كابر ، ولهذا
نراه في شعره يكثر من الفخر بآله ونسبه وأخلاقهم ، كما أنه سجل ما أصاب
تلك الأسرة العظيمة في تاريخها الطويل من محسن وكوارث .

كما لاحظنا أنه من فرط اعتزازه بأسرته ، الكبيرة والصغيرة ، كان دائم
المشاركة لهما في المناسبات المختلفة ، فشلا كان يهنئ آباء بالأعياد
مثلا كان يفعل مع الخلفاء والسلاطين ، وقد شارك بمرثيات كثيرة رقيقة
لأفراد أسرته الذين توفوا في حياته الطويلة .

(٤) زهده وكرمه :

وقد كان زاهدا في الدنيا ، ورعا ، كريم الصفات والأخلاق ، جواد
النفس والمال ولهذا يأبى شعره إلا أن يكون مرآة لمسلكه في الحياة ، فنراه
يكتب المواعظ ، ويحث عن التوكل على الله ، ويستوحى ببعض معانيه

الشعرية في هذا المجال من نظره الى القبور الدوارس •

كما كان يعترض على من كانوا يريدون أن يغيروا مسلكه في الانفاق
والسخاء والجود والكرم •

(٥) مناصبه وألقابه : (١)

جمع الشريف المرتضى الى وقار العلم كأستاذ له مكانته ، جلال الدين
كثيب ديني ، وعاش ثلاثين سنة بعد وفاة (الرضى) متوليا مناصب النقابة
للحج والمظالم •

كما حاز السيد المرتضى على عدد كبير من الألقاب •

كل ذلك اثر على شعره وخاصة السياسى منه ، فضلا عما كان يتيح له
له ما شغله من مناصب ، وكفى به من ألقاب ، من تعدد المناسبات التي
شارك فيها بشعره • وأيضا لمكانته في المجتمع ، واتصالاته العديدة ،
ومدرسته المتفوحة ، كل ذلك أتاح له أن يشارك بشعره كلما جد جديد •

(٦) أصدقائه : (٢)

كان الشريف المرتضى ودودا ، يحب ومقدر أصدقاءه ، ويبادر
بمشاركتهم في كل ما يتعرضون له من حوادث ومناسبات ، ولم يكن يفرق
بين الأصدقاء من حيث المذهب أو العقيدة ، وقد كانت مناصبه ومكانته

(١) انظر الباب الاول من البحث •

(٢) أنظر الباب الاول من البحث •

العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسة تسلك بصاحبنا سبيل التعرف على عدد كبير من الأصدقاء .

(٧) عدم التكسب من الشعر :

كان الشريف على حال من اليسر والبسطة ، فلم يكن يتكسب من شعره بصورة أو بأخرى ، ولذلك لم يناق أو يداهن في شعره بل جاء صورة معبرة عما يراه ومعتقد .

ومن ناحية أخرى كان سريح البديهة ، حاضر الخاطر ، قد يقول الشعر مرتجلا^(١) ، وقد ينظم في المناسبة الواحدة جملة قصائد في زمن متقارب مثل قصائده في رثاء زوجته ، ومدائحه ومراثيه ، لفخر الملك ، ورثائه للقادر ، وهذا نفس اليسر والسهولة في شعره ، وعدم التصنع أو التأنق في كثير منه .

كما أن صاحبنا ظل عمرا طويلا يقول الشعر ، وهناك من الشواهد ما يدل على أنه كان في سنة ٣٨١ هـ (وعمره آنذاك ٢٧ سنة) من الشعراء المبرزين ، الذين تروى أشعارهم وتقتبس^(٢) آثارهم ، كما أنه ظل يقرض الشعر الى ما قبل وفاته بعام واحد تقريبا .

(١) انظر أبياته في فخر الملك .

(٢) طيف الخيال ص ٦٢ ط مصر .

((الفصل الثانى))

:: الخصائص الفنية فى شعره ::

~~~~~

المعجم الشعرى :

~~~~~

كتب المرتضى فى أغراض عديدة ، وتناول شعره ما كان مشهورا فى عصره وأجاد ~~بمضى~~ الأغراض كوصف الطيف والشيب ، والمتعمن فى ديوانه يجده يحفل أحيانا بقصائد طويلة ، وأحيانا أخرى يجد المقطوعات الصغيرة .

وكانت له حساسية خاصة ، وقدرة بصيرة على البناء والحدس وأهم صفة فيه ظهور علاقة بينه وبين مجتمعه ، ولذا لا يمكن تفسير شاعريته بمعزلها عن مجالها . فقد استساغ لنفسه ما استساغ معاصروه من القلو أحيانا فى القول مادحا وفى التشايجى راثيا ، وإن يطرق من المعانى والاستعارات والتشبيهات ما ألفه الشعراء يومذاك ، واعتادوا تناوله . غير أنه فى كل الأحوال لم يبالغ فى القول ، ولم يستخدم التشبيهات الجارحة أو المكشوفة فى شعره ، بل لم يصف الخمر أو الفناء فى شعره فادراك الشاعر يتبلور داخل إطار اكتسب مضمونه من تراث مجتمعه وإن كان صاحبنا قد تجاوز ما ألفه شعراء عصره فى اتجاهه الرصين عند الكتابة وربما يرجع ذلك إلى نشأته الدينية ومكانته العلمية والاجتماعية وشخصيته القوية وزهده فى الدنيا وزخارفها ، وقد امتاز الشاعر ببراعة التصوير ، وإيثار الكلمة الشعرية على ما سواها ، والتركيب المحبوك على المفكك ، والاستعارة المستساعة على المحققة ، والتشبيه المقبول على المرفوض ، فبلغ بذلك ما بلغه المجيدون المحسنون من معاصريه .

وقد كان صاحبنا يتمتع بالعلم واسع بالقواعد والنحو والصرف ، وحفظ
أشعار الشعراء والوقوف على الكثير من الحكم والأمثال ، والثقافة العامة ،
القضايا الإسلامية فضلا عن تغلغل في نفوس كثير من الناس نتيجة لاتصالاته
بكافة المستويات ومجالس علمه المتعددة ومدارسه المفتوحة وتلاميذه الذين
كانوا ينهلون من علمه . وإذا ما أضفنا الى ذلك شغافية روحه ومشاعره
الرفيعة ، فان هذه الشغافية وهذه المشاعر بدورها طريق لبث أفكار تتمكن من
النفس بوساطة الصورة الشعرية وموسيقى الشعر . على أن توحى هذه الصور
بالأفكار والمشاعر ولاتدل صراحة عليها . قوة شعر صاحبنا تتمثل في الإيحاء
بالأفكار عن طريق الصور ، فالشعر يعتمد على شعور الشاعر بنفسه وما حوله
شعورا يتجاوب معه ، فيندفع الى الكشف فيما عن خبايا النفس أو الكسـون
استجابة لهذا الشعور .

حوادث

وحين تمر بشاعرنا عدة حادثات نجده يقف عند احداها أو كلها
ويندفع في مجال الابداع الذي هو مزيج من الواقع والتخيل وينتهي من ذلك
بقصيدة .

وقد توحى تجربة الشاعر باتخاذ موقف ذي أثر كبير من حيث دلالاته
الاجتماعية ، ولصاحبنا مثل هذا الموقف بشأن مقتل جده الحسين بن علي
رضي الله عنهما ، ففي مثل هذا الموقف تتجلى صورة الشعرية قوية تترجم
عن آمال واسعة ، أو تبين عن ضيق وقلق من شأنهما أن يتمخضا عن صراع
بين الواقع الموجود والمستقبل المنشود ، وأحيانا نجد شاعرنا يقتصر على
عرض المسائل أو المشكلات في صور تبين حقيقة حالته النفسية في رثاء
أو عتاب مثلا ، وهويثير في تجويزه الشعور من وراء عرض الحالة النفسية
وذلك بالوسائل الفنية من الصور والصياغة . ونعتقد أن التعبير الفني
أبعد ما يكون عن الاستسلام للمشاعر والخواطر استسلاما قد يدفع الشاعر
الى التعبيرات المباشرة أو الجوى وراء الصور التقليدية مما يضر بالاصالة ،

والقصيدة عند الشاعر تقوم في معجمها على الألفاظ والأساليب والصور فمن
هذه يستمد ويستوحى المعجم الشعري في اللغة العربية هو ذلك
الرصيد الضخم من الألفاظ التي يستخدمها الشعراء الأقدمون والكلاسيكيون
في العصر الحديث كل في غرضه ومقصده وبمعنى أوضح هو ذلك الرصيد
الضخم من الكلمات الشعرية مما سلس لفظه وعذب معناه من ألفاظ السابقين
وما تحتاجه لغة الشعر من الألفاظ المعاصرة كي يؤدي الشعر رسالته كاملة
في الحياة وهذا المعجم الشعري يحتاج من الشاعر إلى ثقافة عالية تتركز
على الاطلاع الواسع والبحث الدائب العميق التي يستطيع بها أن يشق
طريقه وسط التراث الضخم لازمان بعيدة وهو طريق شاق مليء بالعقبات
واجتيازه يحتاج لمعاناة وصبر وفي العصر العباسي ازدهرت الحركة
الأدبية ازدهارا عظيما في جميع المجالات ، وكان للتيارات الأدبية
الوافدة أثرها في تشكيل المعجم تشكيلا يتفق وروح تلك الثقافات الطارئة
ودخله كثيرا من لغة الفرس وغيرهم وزاد رصيد المعجم الشعري عند
المرتضى من تلك المنابع الفكرية كما أن ظهور حركة الترجمة وتمدد
مجالس الأنس والشراب وظهور الأدب المكشوف ألقى ذلك على المعجم
بظلاله الكثيفة فقد اهتم الشعراء في ذلك العصر بعلم البديع وجودوا
في الألفاظ تجويدا رائعا مما زاد في رصيد معجمهم ما فتح الباب على
مصراعيه للنقاد فناقشوا مشكلة اللفظ والمعنى والشكل والمضمون مناقشة
جادة وانقسموا إلى مؤيدين للفظ على حساب المعنى والعكس ، والشريف
المرتضى في معجمه الشعري لم يكن بدعا من الشعراء فقد جرى في مجمل
شعره على نسق من سبقه من شعراء العربية ومعاصريه في الأغلب الأعم
في اختيار ألفاظه وتراكيبه وتصويره في الاعتماد عن الألفاظ والتراكيب
والتصوير التي تتنافى مع تدينه ومركزه الاجتماعي والديني فلم يصف الخمر

عزوم
المعجم

وأدواته ومجالسه ، ولم يتفزل تفزلا مكشوفاً ولم يتطرق للفزل بالمذكر وهو في مدحه وفخره وحماسته ووصفه جزل الألفاظ وأفر الصور والتراكيب والمعاني التقليدية والأمثلة على ذلك كثيرة جداً في ديوانه ونسوق منها قصيدته التي يمدح فيها القائم يقول في مطلعها (١) :

أَقْلا فْشَانْكُمَْا غَيْرُ شَانِي
وَلَسْتُ بِطَوْعَكُمَْا فَاتْرَكَانِي

...

ومنها قوله :

فَدُونَكُمَْا دَوْلَةً لَا تَبِيدُ
كَمَا لَا يَبِيدُ لَنَا النَّيْرَانُ
بَنَاهَا لَكَ اللَّهُ فِي شَامِخِ
بَعِيدِ الرَّعَانِ رَفِيعِ الْقَنَانِ (٢)
فَقَدْ عَلِمَ الْمَلِكُ ثُمَّ الْمَلُوكُ
أَنَّكَ أَوْلَاهُمْ بِالرَّهْمَانِ
وَأَنَّكَ أَضْرَبُهُمْ بِالْحَسَامِ
وَأَنَّكَ أَطْعَمُهُمْ بِالسَّنَانِ
وَأَنَّكَ أَبْذَلُهُمْ لِلدُّبُورِ
وَأَنَّكَ سَلَّمَ وَحَرَبًا أَحَقَّ
يُظْهِرُ السَّرِيرَ وَظَهَرَ الْحِصَانِ

(١) الديوان ج ٣ ص ٣٣٨ .

(٢) الرعان : جمع الرعن وهو أنف الجبل ، والجبل الطويل والقنان : جمع القنة كالقنة من الجبل زنة ومعنى .

وَأَنْكَ فِي خَشِينَاتِ الْخَطُوبِ
أَبْعَدُهُمْ عَنْ مَحِلِّ اللَّيْلِ
فَلَهُ دُرُكٌ يَوْمَ التَّيَوُّوتِ
عَلَيْكَ الْخُطُوبُ الْتِيَّوَاءُ الْمَثَانِي
وَقَدْ ذَهَبُوا عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ
وَأَنْتَ عَلَيْهِ وَمَا تَمَّ ثَمَّ ثَانٍ
دَعَاكَ إِلَيْهَا دَعَاءُ الرُّكُوبِ
(١) سَرَى اللَّيْلُ لِلْقَمَرِ الْأَضْحِيَّانِ
وَقَالُوا هَلُمَّ إِلَى خَطَرٍ
(٢) تَقَمَّقِعُ بِالْشَّرِّ لَا بِالشَّنَانِ
عَشِيَّةً لَاكُوا يَمَارَ النُّكُولِ
وَذَاقُوا جَنَى عِزِّهِمُ وَالتَّوَانِي
وَلَا حَتَّ شَوَاهِدُ مَشْنُوَّةٍ
وَدَلَّ عَلَى النَّارِ لَوْنُ الدَّخَانِ
وَأَشْعَرْنَا الْحَزْمُ قَبْلَ اللَّقَاءِ
(٣) بِيَوْمٍ يَسِيلُ رَدَى أَرْدَنَانَ
...

-
- (١) الْأَضْحِيَّانِ : وَالضَّحْيَانِ : الْمَضَى .
(٢) الشَّنَانِ : جَمْعُ شَنَّ ، وَهِيَ الْقَرْيَةُ الصَّغِيرَةُ الْخَلْقُ ، وَتَقَمَّقِعُ لَهُ
بِالشَّنَانِ : رُوْعَةٌ بِمَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ .
(٣) الْأَرْدَنَانِ وَالْأَرْدَنُ : مَا خَالَطَتْ حِمْرَتَهُ صَفْرَةً .

ألا ترى جزالة الألفاظ وفخامة الكلمات فى هذه الأبيات فى قوله :

(يبید - النیران - الرعان - القنن ^{القنن} - الحسام - الجفان - الشنان - الحزم) وغيرها من بقية الألفاظ التى أخذت مكانها من شعره فأوحت بالمعاني الكثيرة التى تجسم مشاعر المرتضى نحو الخليفة وكذلك ترى معجبه الشعرى فى التصوير الأدبى يستنده من موطن يتسلاهم مع المدح للخليفة يشع شعور الشاعر واعتزازه بنسبهما معا فكلاهما يرجع المجد والشرف ويدل على هذا تلك الصور الأدبية القوية المتدفقة مثل قوله :

(لا يبید لنا النیران)
(بعبید الرعان رفیع القنان)
(التوت عليك الخطوب التواء المثانى)
(تقمق بالشر لا بالشنان)

وهكذا فى بقية الصور الأدبية التى استندها من معجبه الشعرى

الذى صبغه من نفسه ومشاعره واحاسيسه .

ومدح الشريف المرتضى أيضا الوزير أبى الفرج محمد بن جعفر بن فسانجس بقصيدة طلب اليه فيها فى مطالعها زيارته فى وحشته وبالتالى يرغب فى أن يزوره بقوله : (٢)

ما ضر طيفك لو والى زيارتى
ما بين تلك المحافى والتنبات ؟ (٣)

(١) من أسرة فسانجس التى نهفت فى أيام بنى بويه ، وأبو الفرج هذا هو ذو السمات وزير الملك أبى كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة ، أخباره فى المنتظم (ج ٨ ص ١١٦ ، ١٢٩) وفى الكامل لابن الأثير فى حوادث السنين ٤٤٣ ، ٤٤٣٧ ، ٤٤٠

(٢) الديوان ج ١ ص ١٣٥ .

(٣) المحافى : جمع المحنة والحنية (بفتح الحاء وتسكين النون) منعطف الوادى والتنبات : جمع التنية وهى الطريق فى الجبل أو العقبة .

ويبدحه قائلا أنه الوحيد من دون جميع الخلق الذى يحق أن يوالى
ويؤثر بالمحبة وبالود والطاعة ، وأيضا لما يتمتع به من الفضائل التى تأوى اليه
وتسكن نفسه الزكية ، ويطلب اليه المرتضى أن يأخذه اليه ولا يكون ذلك الا من
فتى فاضل ، ويقول له أن يتمسك بمحبته التى أولاه اياها :

لأنت من دون هذا الخلق كلهم
أحقّ فينا وأولى بالمـوالاة
قد نسي إليك فما يقتراد نسي بشر
إلا فتى كان مأوى للفضيلات
واشدّد يدك بما ناولت من مقتى
ومن غرائى ومن تأوى موداتى (١)
...

وينتقل المرتضى بعد ذلك الى مدح عشيرة الوزير أبى الفرج فيوصف أنه
من معشر قوم معروفة فضائلهم ، وأيادهم مشهورة ، وسادوا واحتلوا
الأماكن العالية وهم أيضا أبناء سادات ، فهم ييلفون من معالى الأمور
ما يرغبونها ، ويقومون بصعبات المهمات والملمات ولا يخشون بأسها .
ويخوضون غمار الحرب والوغي لنجدة الضعيف والرب في قلوب غيرهم ..

وأنت من معشر تروى فضائلهم
سادوا على أنهم أبناء سادات
البالغين من العلياء ما اقترحوا
والقائمين بصعبات الملمات

ويشهدون الوغى من قُرطٍ نجدتهم
والرعب فاش بالباب خليات

...

ثم ينتقل بعد ذلك الى كرمهم وعطاياهم فيصف أياديهم الخيرة
وعطاياهم الجزلة وصفا جميلا حينما يقول كأن أيديهم في الناس خلقت
فقط للبذل والعطاء :

كأن أيديهم في الناس ما خلقت
إلا لبذل الأيادي والعطيات

...

وعن موقعهم بين الناس وارتكان الناس اليهم في الحكم على القضايا
الشائكة :

مقدّمين على كل الأنعام عسلا
محكمين على كل القضايا

...

ويمدح مكانتهم العالية ومثلتهم المرموقة في المجتمع ولا ينسى الشريف
أن يرفعهم الى مصاف النجوم التي يقول انها فوق السماوات ... وذلك
في قوله :

فإن تقسمهم تجدهم منزلا ونيا
.. طالوا النجوم التي فوق السماوات (١)

...



وبهذا نراه في مدحه لا يخالي ، وأيضا فهو عزيز الجانب ولم
يرفعه ويحط من شأن نفسه أمامه ، وإنما يجنى مدحه تعدادا لمكارم الاخلاق
وفضائل النفس التي يتحلى بها المدوح .

ومن قصائد الشريف المرتضى التي جمع في بعض أبياتها كل الفخر
لكل آبائه وأجداده ، واعتزازه بهم . .

فهو يفتخر بنفسه وبأهله وآبائه وأجداده ويقول أننا قوم محلنا
الاماكن العالية كالجبال الراسيات رمزا لمكانتهم الدينية والاجتماعية له
ولآبائه . . . فيقول : (١)

نحن أناس ما لنا محلة
إلا قلال الراسيات والقنن (٢)

ونلاحظ عليه أنه لا يفتخر بأجداده وآبائه فقط بل قال " نحن " .
فهو بهذه الصورة كأنه يقول انه امتداد لهم في مكانتهم واعتلائهم
المعالي .

ويفتخر أيضا بموقفهم في ساحة الوغى والدفاع والحرب فيقول :

ما نقتنى إلا لهبات الوغى
سمر الرماح والصفاح والحصن

...

(١) الديوان ج ٣ ص ٣٤٧ .

(٢) القلال : جمع القلة وهي كالقنة ، والراسيات : الجبال .

وبعد ذلك يفخر بمن لا يستطيع غيره أن يفخر به حيث ينبه
الى أن النبي صلى الله عليه وسلم منهم ويتسلسل الى باقى السلالة الطاهرة
فيقول :

مِنَا النَّبِيِّ وَالْوَصِيِّ صَنِوهُ
ثُمَّ الْبَتُولِ وَالْحُسَيْنِ وَالْحَسَنِ
وَعَمَّا الْعَبَّاسِ ، مَنْ كَمُنَا ..
أَبْنَاوَهُ الثَّرِصَابِيحِ الزَّمَنِ

وهو فى فخره وافتخاره لا يخرج عن الصور والاساليب التى كانت
شائعة فى عصره ولكن قد يفتقر عن بعض الشعراء فى أنه لا يكفى بالافتخار
بأجداده وآبائه ولكن يضح لنفسه مكانة فى الفخر .

* * *

الا أن المرتضى حين يتناول أغراض الرثاء والاخوانيات والوعظ
والارشاد والزهد نراه فى معجمه الشعرى يختلف عنه فى الأغراض السابقة
فتنسب الألفاظ والتراكيب والصور سهلة واضحة قريبة التناول فى تصوير
أدبى مؤثر يستبد بالقلب ويأخذ باللب تتخلله المعانى الفلسفية العميقة
والفكر العميق الواسع سعة الثقافة فى عصره كما يظهر ذلك من خلال
هذه الأمثلة التى تدل على اتجاهه الأدبى فى معجمه الشعرى .

* * *

فمن قصائد المرتضى في الرثاء ما كتبه في رثاء صديقه الصابي ...
فهو يصف يوم وفاته بأنه يوم ودع فيه للمنى والأمانى وفارقها الى الأبد ..
ويؤكد على أن وقع الفراق يكون شديداً على الانسان خاصة ما كان منه
موصولا بغير تلاق .. فوصل الأرواح أشد وأقوى من اللقاء بالاجسام (١) :

ما كان يومك يا أبا إسحاق ..
إلا وداعى للمنى وفراقى
وأشد ما كان انفراق على الفتى
ما كان موصولا بغير تلاق

ويستمر السيد المرتضى بوصف من أبلغه النبأ بأنه طارق ليس كالطراق
ولقد أتانى من مصابك طارق ..
لكنه ما كان كالطراق

وقد أوقدت وفاته النار فى أضلعه ، وما كان لعينيه قبله عهد بالبكاء
ولا عرف القلق وقلة النوم ، ولم يستطع أن يطيق خبر وفاته رغم أنه حمل
الناجيات وكثير من نوائب الزمن ..

فالنار يوقدها الأسى فى أضلعي
لا للصلى والماء من آماقى (٢)
ما كان للعينين قبلك بالبكاء
عهد ولا الجنبين بالإقلاق

(١) الديوان ج ٢ ص ٣٤٩ .

(٢) الصلى والاصطلاء : الاستدفاء بالنار .

وأطقت حمل النائبات ولم يكن
ثقل برزائك بيننا ببطاق

...

ويصف المرتضى حالته بعد وفاة صديقه ، فقد عرف الهم والغم ، واضربت النار في قلبه ، وفقد عيشه الهانى وتدفقت دموع عينيه ، وأظلمت الدنيا في عينيه عندما رآه محمولا على النعش ، وكأنه بعد وفاته قد قطعت يده أو كأنه غصن بلا أوراق ، أو كأنه راكب تائه في القفار بلا طعام ولا شراب . وهذا يدل على رقة شعوره بما كان حزنه عليه لتمنيه ألا يكون من الصائين لأنه يعرف نهايته ومصيره وهو ذاهب الى القبر محمولا على نعشه :

لولا حمامك ما اهتدى هم إلى
قلبي ولا نار إلى أحراقي
وسلبت منك أجل شطري عيشتي
(١) وفجعت منك بأنفسي الأعلاق
وقديت في قلبي بفقدك والقذى
(٢) في القلب ينسينا قذاه الماق
لما رأيتك فوق صهوة شرجع
(٣) بيد المنايا أظلمت آفاقى
وكانني من بعد نكلك ذوييد
جذاء أو غصن بلا أوراق (٤)

-
- (١) الأعلاق : الجواهر الثمينة ، مفرد لها علق .
(٢) قديت : أصابني القذى وهو ما يقع بالعين من قش وغيره ، والماق : من العين مجرى الدمع .
(٣) الصهوة : أعلى الشيء ، والشرجع : النعش .
(٤) جذاء : مقطوعة .

أو راكبٌ في القفر دُفِيْ جِسْرَةٍ^٢
غَرْنِيْ بلا شَتٍّ ولا طبِاقٍ^(١)
...

وفي موقع آخر يأسف على فقدّه وهو ذى المكانة العالية ويقول :
ولئنْ تحملتَ الترابَ فطالما
قد كنتَ محمولا على الأعناقِ
فليمضِ بمدك من أحبِّ فقد مضى
منك الحمامُ بيغيثي ووفاقى
مالى انتفاعٌ بعد فقدك صاحباً
حلوا المذاقية فى السورى بمذاقٍ
...

وهكذا نراه فى رثاءه يصور نجيمته ، ومكانة المفقود ويمدحه ويذكر
مآثره ومناقبه وحالته بعد فقدّه . وهو ما درج عليه الشعراء .

* * *

كان الشريف فى اخوانياته رقيق الشمور ، لين الجناح ، رفيق
الاستقبال لما قد يجد من أصدقائه واخوانه . . وقد قال هُجْرٌ قصيدة

(١) الجسرة : العظيمة من النوق القوية ، وغرنى : جائعة ، والش :
شجر كالتفاح الصغير طيب الرائحة ، والطعم ، والطباق (كرمان) :
شجر منابته جبال مكة .

يجيب فيها أحد أصحابه وقد كتب إليه أبياتا طالبا منه الاجابة على وزنها ،
ما يراه من مواصفات الاخوان والاصدقاء فهو يرى أن الاقبال يسر النفس
والاعراض والادبار عن الأصدقاء غير مستحب (١) :

أترى يوءوب زمانئنا
غضا بأوديعة الفضا
ويعود فينا مقبلا
من كان غنا معرضا
قمر بصفحة خده
غضب الحاسن منتضى (٢)

ويعتب على صديقه أنه ملكه قلبه وكثيرا ما يرده وهو الصحيح فلماذا
يكون لصاحبه من أسباب مرضه :

ملكته قلبى وكم
رجع الذى قد أقرضا
ولقد أقول وكم أرى
عجا قضا من قضى
أنت الصحيح فكم تكو
ن لمن يحبك مرضا

...

(١) الديوان ج ٢ ص ١٦٥ .
(٢) المضب : السيف ، والمنتضى : المستل .

ويتمادى المرتضى فيقول أنه من لوعته على صاحبه اشتعل رأسه
شيئا بعد سواد :

بدلت رأسي أسودا
لما هجرت بأبيضاً

ويتساءل أيضا ما الذى يضر صاحبه لو أن قلبه نبض له نبض الحب
والاخاء .. ألا يعرض عن التلاقى أو يجدد الاعراض لصديقه :

ما ضر رامى مهجتي
لو أنه لى أنبضا
ومجدد الاعراض لى
قبل التلاقى أعرضا

* * *

فترى الألفاظ والأساليب والصور هنا تسيل رقة وغذوة وتقطر محبة
ومودة وتشع بالأنس والوصل وغيرها مما يحدد خصائص المعجم الشعرى فى
هذه الأغراض الشعرية التى تعبر عن احساس الشاعر وتصطبغ بوجودانه
لتكون القصيدة قطعة من نفسه وروحه وفكره وخواطره ومركزه الاجتماعى
والدينى .

وهو ما نراه فى هذه الالفاظ والأساليب مثل :
(غضا - الغضا - المحاسن - منتضى - يحبك)

وتمضى القصيدة على هذا النحو من التمييز واختيار الألفاظ .

ومن أقواله فى النسيب مقطوعه التى يحكى فيها أنه مر على من يحب
مروره على سرب الأطباء وقت المشية ، فأخذ السرب يتنقصهما ويتعقبهما ،
وكانا يظنان أن القرب يشفى السقام التى جاءتهم من آلام الهوى وتباريح
الجوى ، فاكشفا أن فى القرب العذاب .. وقالوا له أما زلت تحب ..
الن تنهى من العشق والتشبب والهوى .. فأجابهم بقوليه : (١)

مررنا على سرب الأطباء عشيّة
فلم يعدنا حتى تقصنا السرب
وكنا نظن القرب يشفى سقامنا
فلم يك إلا كل أدوائنا القرب
وقالوا الما تنه قلبك عن هوى ؟
فقلت وهل لى بعد بينهم قلب ؟

فألفاظه وأساليبه تقطر وجدا وترق تحبيرا وتسمو جمالا وروعة فهو يقع
فريسة الأطباء فى وقت المشية ليتيفسى القرب منهم حتى يشفى نار الجوى
ولكنه مختبل فى شراك عذابهن أكثر وأكثر حيث يقع صريعا من نار القرب
وقد استولم على قلبه فلا يملك من أمره شيئا .

* * *

كان لزهد فى الدنيا وورعه أثر كبير فى ما كتبه فى الزهد والمواعظ
والاعتبار ، وهو حينما يكتب فى الزهد الصريح الحقيقى .. فهو ثرى بل واسع
الثراء .. وليس فقيرا ، فزهد ليس كزهد المجر على الزهد وانما زهد
المقتنع به الذى تحتصره تجربته بفناء الدنيا ووجوب الانتباه لشروها

والالتفات للآخرة .

فمن أقواله وآرائه فى الزهد أنه مهما يجمع المرء فالدنيا تفرق
وتبعثر ما جمع مثل العمر الذى يذهب بأيامه التى تسرق من عمر الانسان
وتختلس . . وفى هذه الدنيا نتخبط فى الظلمات التى لا يضيئها بدر
ولا نجم ولا ضياء ، وكما ألهمتنا الدنيا وحرصنا عليها كمن يحرص على رتق
ما لا يرتق ، والاهتمام والانكباب على حال لا يستوجب الاهتمام والرعاية . .
وترى فى الدنيا ألوان من المتناقضات . . فكما نذل وفيما ذوى العزة
والكرامة ، وكما نصمت ونستكين وفيما الاعزاء الشوس . . ويتساءل . . كيف
يرضى ذكى وليب أن يكون ثوبه نقى وعرضه مدنس . . أو كيف ينال انسان
دنسته عيوب ومساوىء الدنيا ووراءه الموت مقبل عليه : (١)

المرء يجمع والدنيا مفرقة
والعمر يذهب والأيام تختلس
ونحن نخبط فى ظلمات ليس بها
بدر يضى ولا نجم ولا قبس
فكم نرتق خرقة ليس مرتقا
فيها ونحرص شيئا ليس ينحرص
وكما نذل وفيما كل ذى أنف
ونستكين وفيما العز والشوس (٢)
وكيف يرضى لبيب أن يكون له
ثوب نقى وعرض دونه دنس

(١) الديوان ج ٢ ص ١١٦ .

(٢) الشوس : العزة والتكبر ، وأصل الشوس : النظربمؤخر العينين
تكبرا وتغيظا .

أم كيف يطبق يوما جفن ذي دنس
وخلفه فاغمر للموت مفترس^(١)

...

تأمل معى معجمه الشعرى فى باب الزهد والوعظ والارشاد تجد
الشاعر ينفرد به من بين الشعراء لأن الزهد فى هذا العصر أصبح مذهباً
أدبياً جديداً على الأدب العربى وأصبح هذا الغرض القديم فناً أدبياً
مستقلاً بل علماً له أدواته من الشعر والنثر وله مصطلحاته ورموزه وإشارات
وطريقته فى التعبير والتصوير واختيار الأساليب وإن كان المرتضى فى
زهد لم يكن على مثال معاصريه من شعراء التصوف والزهد الذين غمّسوا
هذا اللون من الأدب فى بحر الفلسفة الواقعة حتى أحالوه إلى نظريات
ومذاهب فلسفية .

لكن زهد المرتضى يختلف كثيراً عن زهد معاصريه فيستمد معجمه
الشعرى لا من مصطلحاتهم الضاربة فى الفلسفة ولكن من عقيدته الدينية
الراسخة وانظر إلى قوله :

وكيف يرضى لبيب أن يكون له

ثوب نقى وعرض دونه دنس

فهو لا يزال ينزل إلى الدنيا فيتزوج ليصون عرضاً أما الصوفية والزهاد
لا يلقون لمثل هذا المعنى بل فى شعرهم الزاهد .

(١) الفاجر : الفاتح فاه .

ويمكن القول انه لم يكن تنقصه الألفاظ والتراكيب والصور والمعانى
ولكنه احيانا لا يوفق فى صناعتها واعتقد أن ذلك يرجع الى ارتجاله فى صوغ
هذه الاغراض وعدم الروية فيه ومن تحرجه وابتنعاده عن ما يمنعه الدين
ومنزله الاجتماعية واعترازه بنفسه وتقديره فى مجتمعه وسرى ذلك فيما
يلى :

قال في مدح الخليفة القائم بامر الله :

وَأَنْتَ الَّذِي لَمَّا بَلَغْتَ دِيَارَهُ
بَلَغْتَ غَوَا وَنَلَسْتَ مَرَامِي

فكلمة غوا تتناقض مع قوله :

وانت الذى لما بلغت دياره

لأنها تقتضى أن يكون بلوغها سهلا وانت الذى لما بلغت دياره

على العكس من ذلك كما أن قوله :

ولا يكن لى الا عليك توكلنى
والا كان الا فى ذراك مقامى

غير موفق لان ذلك لا يصح ان يكون من المراضى لمخلوق
وتراكيبه في قوله :

وللخيل اما بالجسوم طريحة

عَنْ رَوَامٍ بِالْصَّعِيدِ بِهَسَامٍ

ضعيفة ومعيبة معنويا ومختلفة تركيبا . [لا بد من صفات كثيرة من أجل التحصيل
(ولا شك أنه بما تهيأ له من خاطر مطاوع ومعجم شمري استطاع
أن ينظم في مختلف الأغراض وعلى مختلف القوافي في قصائد تطول فلا

ضعيفة ومعيبة معنويا ومختلة تركيبا . (لا ريب في ذلك) فلو لم يكن من غير
(ولا شك أنه بما تهيأ له من خاطر مطاوع ومعجم شعري استطاع
أن ينظم في مختلف الأغراض وعلى مختلف القوافي في قصائد تطول فلا

يظهر فيها عليه الاعياء وتقصر فلا يبدو فيها الاخلال ولكنه ليس الشاعر
المحسن في الانتفاع بمادة لفته ومخزون معانيه في اختيار أنسبها وأفضلها
جريا مع الجرس وطبقا مع المناسبة (١) .

* * *

(١) أدب الشريف المرتضى ص ٢٨٣ — ٢٨٤ .

ويلاحظ أن المعاني في هذه الأغراض عند الشاعر يسير فيها على
نمط الشعراء القدامى والشعراء المعاصرين له إذ لم يأت الشاعر فيها
بمعان جديدة في المدح أو الفخر اللهم إلا أن الشاعر تجردت قصيدته من
تعدد الأغراض فيها وأصبحت تشتمل على غرض واحد من أول القصيدة إلى آخر
بيت فيها .

لكن المرتضى لديه المعاني الجديدة مثل غالبية الأوصاف التي
وصف بها الطيف مثل قوله (١)

وسدنى كفه وعانقني
ونحن فى سكرة من الوسن (٢)
وبات عندي إلى الصبح وما
شاع اللقاء لنا ولم يبين
خادعنى ثم عد خدعتني
لقلتي منة من المنين
فليت ذاك اللقاء ما زال أو
ليت خيالا فى النوم لم يكن
وزارنى زورة بلا عدة
وما أتى وقتها ولم يحين
فان تكن زورة موحمة
فقد أضافها من الظنن (٣)

من الظنن

- (١) الديوان ج ٣ ص ٣٤٢ .
(٢) الوسن : النعاس والنوم الخفيف .
(٣) الظنن : جمع الظنة (بالكسر) وهى التهمة .

وَأَنْ تَكُنْ بَاطِلًا فَكَمْ بَاطِلٍ
عَاشَ بِهِ مَيِّتٌ مِنَ الْحَزَنِ
...

وكذلك في وصف الشيب والمشيب ومن ذلك قوله (١) :

تَضَاحَكْتَ لَمَّا رَأَيْتَ الْمَشِيبَ
وَلَمْ أَرِ مِنْ ذَاكَ مَا يُضْحِكُ
...

وَمَا زَالَ دَفَعَ مَشِيبَ الْعِذَارِ
لَا يُسْتَطَاعُ وَلَا يَمْلِكُ (٢)
وَقَالَ لِيَ الدَّهْرُ لَمَّا بَقِيَتْ
إِمَّا الْمَشِيبُ أَوْ الْمَهْلِكُ
فَقُولِي وَأَنْتِ تَعَيِّنِيهِ
لَأَيِّ طَرِيقِهِمَا اسْلُوكُ
...

وكذلك أقواله في الزهد التي غناه عن تدينه وعلوه الغزير وثقافته
الواسعة التي جعلته يدرك حقيقة الدنيا وقيمتها ومن ذلك قوله (٣) :

أَقْلُ وَالِدَ الْدَّهْرِ لَا يَغْفُلُ عَمَلٌ
وَأَنْسَى الَّذِي شَأْنُهُ أَفْضَلُ
وَيَطْمَعُنِي أَنْ تُنِي سَالِمٌ
وَدَاءُ السَّلَامَةِ لِي أَقْتُلُ

(١) الديوان ج ٢ ص ٣٦١ •
(٢) العذار : الشعر النابت على صفحة الخد مما يلي الأذن أو موضعه •
(٣) الديوان ج ٣ ص ٩ •

وإفلاص

وبعض نهاري وليلي معا
بما غيره ~~الخير~~ والأجمل
وَأَمْلُ أَنَّى أَفُوتُ الْحَمَامَ
أَمَانٌ لَعَمْرُكَ لِي ضَلَلُ
وكيف يرى آخِرُ أَنَّهُ
مَبْقَى وقد هلك الأولُ
ولما بدا شَمَطُ العارضي
من لمن كان من قبله يَمُذِلُ (١)
تأهوا وقالوا لسانُ المشي
بِ له من جوارحنا أعذل

...

نجد المعاني والأفكار في أغراض الطيف والشيب والزهد مترابطة
تقوم القصيدة فيها على غرض واحد فقط من أول بيت فيها إلى آخر بيت ومعنى
هذا أنها قد تحقق لها الوحدة الموضوعية في الشكل الخارجي للعمل
الأدبي .

والذي لا شك فيه أن معظم هذه المعاني للأغراض السابقة جديدة
عليها وأنها تدل على شخصية الشاعر وقد رتها على التجديد في الشعر
وأغراضه الأدبية .

ومن ذلك نرى أن النقاد قد شهدوا له بالتفوق في هذه الأغراض وأنها
قد خلصت له في عصره وانتهت إليه .

(١) الشمط ، بفتح الحاء : اختلاف الشعر بلونين سواد وبياض ، والمعارضان :
جانبا الوجه .

تقول المازلات عسلاك شبيب

فجاءت قريحته بقطوعة يقول في أولها :

وما مرجُ الفتى تزورُ عنه

حدود البيضي بالحدق الملاح

قالوا : لا جناح فقلت كلاً

مشیمی وحدہ فیکم جناحی

مشپی شرفی شعر سلیم

كشّن المرّ فسى الابل الصحاح

کانی بعد زورتی مہیض

أُرِفَ عَلَى الْوُظَيْفِ بِلَا جَنَاحٍ

سقى الله الشباب الفضيحة راحاً

(۱) عتقا أو زلا مشل راح

الخ هذه القطوعة مما يدل على تفوقه على جرير وجدة معانيه
في هذا الغرض ، ويقول في ذلك الشيخ محمد رضا الشيبى والمصروف أن
الشریف يحسن القول في الشيب والشباب وله في ذلك مجموعة معروفة
ويحسن النظم في طيف الخيال وله في ذلك مجموعة متداولة (٢) .

(١) مقدمة الديوان . هـ . الديوان هـ ١٩٩١

(٢) الديوان ج ٣ ص ٢٩٨ . مقدمة المصنف ص ٥

ب - البناء الفنى للقصيدة :

(١) ويراد بالبناء الفنى العام للقصيدة أمران :

الأول : بناء الفكرة : ويقصد بها المعانى التى تدور حولها القصيدة وطبيعة هذه الأفكار ومدى تسلسلها وانسجامها فى وحدة موضوعية أو فكرية أو عدم انسجامها ، وقد جاء هذا البناء فى شعر شعراء العصر العباسى يجمع بين القديم والجديد المميق فى وحدة موضوعية فى جل قصائدهم ولا يمكن القول بأن الوحدة التى تحققت يمكن أن تسمى بوحدة عضوية لأنه يمكننا أن نسقط بعض أبيات القصيدة من غير أن يخل ذلك بمعانيها أو مبادئها كما أنه يمكننا أن نقدم أو نؤخر فيها ، وهذا ما لا يمكن أن يكون فى القصيدة ذات الوحدة العضوية وشعر الشريف المرتضى فى بناء الفكرى لا يخرج عن الوحدة الموضوعية فان لديه المعانى التقليدية مثل قوله فى مدح والده عند رجوعه من فارس عام ٣٧٦ هـ التى مطلعها (٢) :

ضمنتُ مجدك المَلا والمَساعى
(٣) وَضمانَ المَلا حربَ الضياعِ
آنَ أن تَقْتَضِ حَقوقَ تراخى
(٤) آذنتُ بعدَ فرقةٍ باجتماعِ

(١) الحماسة فى شعر الشريف الرضى محمد جميل شلش - منشورات وزارة الاعلام العراقية سلسلة الكتب الحديثة ٦٣١ هـ ١٣٩٤ م ١٩٧٤ م .

(٢) الديوان ج ٢ ص ٢١٢ .

(٣) الضياع (بفتح الضاد) : الهلاك .

(٤) آذنت : أعلمت وأندرت .

زاولوها وأنست ترغب عنها
 والأحاطى نتائج الإمتاع^(١)
 ظمئت لم ترأعها باشتياق
 وأنا بت لم تدعها بزما^(٢)
 رجعت مذ نفقت كلك منها
 بين حقى ثاوى وحقى مضاع^(٣)
 ...

وقصيدته التى يفتخر فيها بآبائه ومطلعيها : (٤)
 أما الطريف من الفخار فعدنا
 ولنا من المجد التليد سنام^(٥)
 ولنا من البيت المحرم كلما
 طافت به فى موسم اقدامه
 ولنا الحطيم وزمزم وتراثنا
 نعم التراث عن الخليل - مقامه^(٦)

-
- (١) الأحاطى : جمع الحظوة (بضم الحاء وكسرهما) وهى المنزلة والمكانة .
 (٢) ظمئت : رحلت وذهبت ، وأنابت : رجعت ، والزما : المضاء فى الامر والعزم .
 (٣) رجعت : أقامت ، والثاوى : المقيم .
 (٤) الديوان ج ٣ ص ١٦٤ .
 (٥) الطريف : من المال المكتسب ، ويقابله : التليد وهو الموروث .
 (٦) الحطيم وزمزم والمقام : مواضع مقدسة فى المسجد الحرام .

ولنا المشاعر والمواقف والذي
 تهدي إليه من منى أنعامه (١)
 ووجدنا ويصنوه دحيت عن الـ
 بيت الحرام وزععت أصنامهم (٢)
 وهما علينا أطلعا شمس الهدى
 حتى استنار حلاله وحرامه
 وأبى الذي تبدو على رغيـم العـيدا
 غرا محجلة لنا أيامه
 كالبدر يكسوا الليل اثواب الضحى
 والفجر شب على الظلام ضرامه
 وهو الذي لا يقتضى في موقف
 أقدامه نكص به أقدامه (٣)
 حتى كان حياته هي حتفه
 ووراءه مما يخاف أمامه
 ووقى الرسول على الفراش بنفسه
 لما أراد حمامه أقوامه (٤)
 ثانياً فى كل الأمور وحصنه
 فى النائبات وركنه ودعامه

...

-
- (١) المشاعر : مواضع مناسك الحج .
 (٢) الصنو : الشقيق وابن العم ويريد به هنا على بن أبى طالب عليه السلام حيث كان جده الشاعر وكان صنوا للنبي صلى الله عليه وسلم .
 (٣) نكص : راجعه القهقرى .
 (٤) يشير الى مبيت على عليه السلام على فراش النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة .

وغيرها من القصائد التي قامت على غرض واحد وموضوع واحد ، فترى
المعاني من خلال الابيات تدور حول الغرض من المدح في القصيدة الأولى
أو الفخر في القصيدة الثانية .

فمثلا لو سقط أى بيت من هذه الأبيات لما أدى الى اضطراب
المعنى أو فساد أو اختلاله وغاية ما يحدث أن القصيدة ينقصها معنى بمقدار
هذا البيت الذى سقط .

فلو سقط البيت الرابع في الفخر لكان معنى ذلك أن القصيدة قد فقدت
معناه وهو أن أجداد المدوح كان لهم الفضل في رعاية المشاعر فـ
منى حيث تتحرر الذبائح هناك في رعايتهم وتوجيههم .

وكذلك الأمر في القصيدة الثانية التي يفتخر فيها الشاعر .
ولا يختل المعنى أو يضطرب لو تقدم بيت على أخيه أو تأخر فان ذلك
الصنيع لا يضر المعنى ولا يفسد ترابطه وتسلسله فالابيات هنا في القصيدتين
قائمة على وحدة البيت في القصيدة بحيث يكون لكل بيت معنى ^{مفكك} لا عن
سابقه ولا حقه وعلى ذلك لا يفسد التأخير والتقديم الغرض العام من
القصيدة ولا يضطرب الموضوع العام فيها وحسبنا في هذا أن نقول : أن
أبياتا في القصيدة تقدمت وأخرى تأخرت فتقدم المعنى فيها وتأخر من غير
افساد او خلل فيه .

فمثلا لو تقدم البيت الرابع بمعناه في القصيدة الأولى وهي في المدح
على البيت الثالث ، فان ذلك لم يحدث خللا في ترتيب المعنى على سابقه
ولكن يقال في هذا الأمر أن هذا المعنى جاء قبل المعنى السابق من غير
فساد أو تزيف .

الثنائى : البناء الشكلى :

وهو نوعان بناء شكلى خارجى ويقصد به كيفية ربط هذه الأفكار فى تسلسل أبياتها وتناسق معانيها وترتيب الوحدة الفنية التى تكون محصورة فى اطار قوالب الابیات وترباطها ^{والشريف} المرتضى فى شعره كثير التوفيق فى ايجاد هذا التلاؤم بين الأفكار والمعانى وبين اللفظ والأسلوب والصور الجزئية والموسيقى ^{وهو موضوع} ، ونسوق مثال لذلك وصف الشريف للحج وطريقه فى قصيدته التى مطلعها (٢) :

ماذا على الرّيسِ لو حيا " فأحيانا " .
وقد مررنا على عُسقٍان رُكبانا (١)
وليتَ إذَ تحاملى أن يَنْوَلَنّا
لم يَحْدُ الذى قد كان أعطانا
بل ليتَ ما طَلنّا بخيلاً وما نَعنّا
يوماً تشبّه بالمُعطى فنمنا
لا يستفيق بجازينّا بلا تِبرَة
بالوصلِ هجرًا وبالإعطاءِ حرمانا

- (١) الديوان ج ٣ ص ٢٩٨ .
(٢) عُسقان : من مدن الشام .

- وكيف يابى مواعيدا تمللنا
 (١) من كان يوسعنا مطلا وليانا؟
 عجنا إليه صدور البعلات وقد
 (٢) نضا الصبح ثياب الليل عريانا
 والركب بين صريع بالكري ثمل
 (٣) ومائل الرأس حتى خيل نشوانا
 محلين تهادوا في رجالهم
 من بطن مكة أفرادا وأقرانا
 حلوا حقائبهم فيها مفرغة
 واستحقبوا من عطاء الله عقرانا
 من بعد ما طوفوا بالبيت وأعمروا
 " واستلموا " منه أحجارا وأركاننا (٤)
 ...

والنوع الثاني :

بناءً شكلي داخل ويقصد به ما في داخل القصيدة من علاقات
 تجسم المعاني التي تشع من التكرار والتوازن والتقابل بين الألفاظ والمبارات

- (١) الليان : من اللى وهو المطل والالتواء في المواعيد .
 (٢) البعلات (بفتح الميم) : جمع البعلة وهي الناقة الحسنة ،
 وجاء في (أدب المرتضى الدكتور عبد الرزاق محبى الدين ص ٢٣٩)
 تشكيلها بضم الميم وهو خطأ ، ونضا : خلع .
 (٣) الكرى : النوم ، والثل : النشوان وهو السكران .
 (٤) جاء في (أدب المرتضى) " واستسلموا " بدل " واستلموا " وهو غير صحيح
 فالأركان والأحجار المقدسة تستلم لا تستسلم : قال الفرزدق في الامام
 زين العابدين عليه السلام :
 يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

فان ذلك يعطى نوعا من الايقاع الموسيقى ، والموسيقى الخفية فيغنى التصوير
بمعان جديدة تضاف الى معانى الألفاظ وايحاءاتها ويضاف أيضا الى معانى
الأسلوب واشماعاتها وذلك مثل قوله :

إِيَابَا أَيُّهَا الْمَوْلَى إِيَابَا
فَعَبْدٌ إِنْ أَسَاءَ فَقَدْ أُنَابَا
أُطْلِعْكَ وَالشَّبَابُ لَهُ رَدَاءُ
فَكَيْفَ نَرَاهُ إِذْ خَلَعَ الشَّبَابَا
وَكَانَ عَلَى الْهَدْمِ حَدَثًا فَأَتَى خَا
تَظُنُّ بِهِ الضَّلَالَةَ حِينَ شَابَا
أَبْعَدْ نَصِيحَةَ فِي الْغَيْبِ غَشٍ
أَحْوَرَا بَعْدَ كَوْرٍ وَانْقِلَابَا
أَلَا قُلْ لِلْأَلَى زَمُوا الْمَطَايَا
وَعَالَوْهَا الْهُوَادِجَ وَالْقَبَابَا
وَقَادُوا الْخَيْرَ عَارِيَةَ الْهُوَادِي
وَمَا أَوْكُوهُ مِنَ الْعَجَلِ الْعِيَابَا
خَذُوا مِنَّا التَّحِيَّةَ وَاقْرَءُوهَا
وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا عَنْهَا جَوَابَا
عَلَى مَلِكٍ تَنْزَهُ أَنْ يَحَابِي
وَأَغْنَتْهُ الْمَحَامِدُ أَنْ يَحَابِي
وَلَمَّا أَنْ تَحَجَّجَ بِالْمَعَالِي
عَلَى أَعْدَائِهِ رَفَعَ الْحَجَابَا

الى آخر الابيات (١) .

فترى من المحسنات البديعية في هذه القصيدة التى تشكل الايقاع
الداخلى فى بناء موسيقى البيت مما يهز النفس ويثير انتباه القارىء والمتلقى .

فتجد الجناس فى قوله : (اياها - أناها)

وقوله :

• (يحابى - يحابى)

والطباق فى قوله : (رداء - خلع)

وقوله : (حدثا - شأبا)

وقوله : (غش - نصيحة)

• وقوله : (تحجب - رفع)

وهكذا فانك ترى القصيدة كلها على النحو السابق من المحسنات البديعية
التى جاءت غزو الخاطر وجادت بها قريحته من غير تمهل أو تكلف فأعطت
للتصوير الأدبى ما جملة يهز الوجدان ويحرك المواطن .

التصوير الأدبي :

~~~~~

### أ - خصائص الألفاظ والأسلوب :

احتدمت معركة النقد البياني لألفاظ الشعر في القرن الثالث والرابع الهجريين وحفلت بكثير من النقاد قادوا هذه المعركة ما أدى إلى تشعب المسالك عند الشعراء في اتخاذهم الطريقة في التعبير التي تتناسب مع قريحتهم الشعرية .

وهذه المذاهب المختلفة في الأساليب لا يمكن بحال أن تخرج عن أسلوب الحياة التي أظلت العصر آنذاك من الرقة والحضارة والعمومية ، وإن كان الشعراء فيما بينهم يختلفون نسبيا في التأثير والتأثر من حيث الدرجة في المطابقة أو المشابهة فجنتح الألفاظ والأساليب عند بعض الشعراء إلى الرقة والسهولة تجاوبا مع الحضارة والمدينة وتأثرا بالثقافات غير العربية ونأوا قليلا عن الألفاظ الجزلة والأساليب الرصينة والتراكيب القوية وكذلك غلب على بعض الشعراء الألفاظ والأساليب الفخمة والتعبيرات الرصينة وهي مع ذلك لا تبرا من رقة الحضارة من وقت لآخر وإن كانت تظهر أحيانا في طفيان البديع ومحسناته العضوية في أساليب شعرهم على العادة في مذهب العمود الشعري عند العرب .

وكان شاعرنا المرتضى يميل إلى هذا المذهب في الأسلوب واختيار الألفاظ حيث كانت كلماته جزلة فخمة وأساليبه رصينة وتراكيبه محكمة مع تسلل المحسنات البديعية المفوية - وهي من مظاهر الحضارة والترف - إلى

الأساليب وكذلك بعض الألفاظ السهلة القريبة التناول نادرا .

وهذا الاتجاه في التصوير غالبا ما يتحقق عنده في أغراض معينة  
وهي المدح والفخر والثناء والحماسة وما شابهها ومثال ذلك قوله في مدح  
فخر الملك (١) :

يا خيرَ بادٍ في الأنعامِ وحاضرٍ  
وأحقُّ مولٍ في الزمانِ لشاكرٍ  
وأشَقَّ من وطأ الكواكبِ مرتقى  
وأعزَّ من لبث الحرينِ خادرٍ  
قد جاءني التشريفُ منك كأنه  
قطعُ الرياضِ عقيبَ غيثٍ ماطرٍ (٢)  
وكانه بُردُ الشَّبابِ نضارةً  
أو يشرُّ آونةَ الربيعِ الزاهرِ  
أثوابُ عزٍّ لم يكنْ للابسي  
الرياشِ مفاخيرٍ ومآثرٍ (٣)  
يجرَّونَ فوق ذُرَا المجرَّةِ عِزَّةً  
ويطرنَ فوق النسرِ ذاك الطائرِ (٤)  
ولقد سننتَ شريعةً للجودِ في  
غير الهديةِ أنه للحاضرِ

- 
- (١) الديوان ج ٢ ص ٧٥ .  
(٢) القطع ( بالكسر ) : البساط وما قطع من الأغصان .  
(٣) الرياش : اللباس الفاخر .  
(٤) النسر الطائر : نجم .

لم ترض ما شرع الكرامُ وكم لنا  
 من ناقصٍ عن غايةٍ أو قاصرٍ  
 حتى جعلتَ لحاضِرًا أو ناظرٍ  
 كلَّ الذي رَمَقَتْهُ عَيْنُ الناظرِ  
 شاطرَتني تلكَ النفائسَ قاسمًا  
 بيني وبينك كلَّ عِلْقٍ فاخرٍ (١)  
 ....

ومنها :

هيهات منك الأولَّون وإنَّهم  
 صاروا من المعروف خيرَ صايرٍ  
 سبقوا وجزَّ مداهم متمِّمًا  
 سبقَ الكريمةَ للهجينَ العاثر (٢)  
 فمتى أضفناهم إليكَ فإنما  
 قسنا الثمادَ إلى الخضمِّ الزاخر (٣)  
 فأخزَّفته فخرَ الملوكِ على الوري  
 وعلى الطوالح في المحيط الدائر  
 فلقد فضلتَ جميعهم بفضائلٍ  
 وفواضلي ومكاييم ومكاشير  
 ومحاسنَ نظمَ الزمانَ لمفروقَي  
 ملكِ الملوكِ بها سموطُ جواهر (٤)

- 
- (١) الملق (بالكسر) : الجوهر الثمين .  
 (٢) الكريمة من الخيل : الأصيلة ، والهجين : المتولد من أبوين مختلفين .  
 (٣) الثماد : الماء القليل ، والخضم : البحر .  
 (٤) السموط : جمع السمط وهو الخيط ما دام فيه الولوء .

واسلم وإن لفت صروف زماننا  
هذا الأنام معاشرًا بمعاشر  
في ظل ملك ضل عن أيدي الردى  
وازور عن سنن الحمام الزائر

...

فإذا رجعنا الى الديوان لنقرأ القصيدة كلها لوجدنا أنها تسير على هذا النحو من الأبيات التي ذكرناها وقد تحققت فيها الخصائص الفنية لاتجاه الشاعر في اختيار الألفاظ والأساليب فتراها وقد غلبت عليها الجزالة والفخامة في اللفظ ، والقوة والاحكام والرصانة في الاسلوب اللهم الا بعض الكلمات الرقيقة السهلة والأساليب القريبة الدانية التي تسلت في خلال القصيدة مثل : حاضر ، وأثواب عز ، ولقد سننت شريعة للوجود ، وكم لنا من ناقص أو قاصر — وجعلت لحاضر أو ناظر .

وهكذا فهذه بعض كلمات وأساليب تهبط عن مستوى الجزالة والقوة والرصانة وعلى هذا تكون طريقة الشاعر في تناوله أغراض المدح والفخر والرشاء والحماسة .

وترى أيضا في هذه القصيدة وغيرها بعض المحسنات البديعية التي استجابت للفرس من القصيدة فجاءت عفوا لتأخذ مكانها من التصوير الأدبي الذي لا يستغنى عنها مثل قوله :

سبقوا وتمهلا . (ها)

وقوله :

الثماد والخضم الزاخر وغيرها في بقية أبيات القصيدة وفي غيرها من أغراض الفخر والحماسة والرشاء .

وحيثما ينظم فى أغراض النسيب والتشبيب وطيف الخيال ، والزهد والوعظ والارشاد والاعتبار ترى الألفاظ فيها رقيقة سهلة عذبة والاساليب واضحة والتراكيب قريبة التناول والفهم لتتماوق مع الحضارة العباسية وتتجاوب مع الثقافات الواقعة آنذاك من الفرس والروم واليونان فجاءت الكلمات لينة رقيقة .

وليس ذلك عيبا فى الشعر فرضه واقع العصر على الشاعر ، ولكنه يطبق المذاهب النقدية التى تتفق وطبيعة اغراض الشعر حيث الضرورة التى يقتضيه التلاؤم بين الالفاظ والمعانى ، والاساليب والموضوعات والتصوير الأدبى والأغراض ولولا ذلك لخف الوزن فى القصيدة حينما توضع فى ميزان النقد وتعرض على أذواق النقاد والأدباء .

وترى هذا الاتجاه فى الألفاظ والأساليب عند المرتضى فى الأغراض السابقة وسنقتصر على بعض الأمثلة .

ومن مقطوعاته فى النسيب قوله : (١)

مررنا على سرب الطباء عشيّة  
فلم يعدنا حتى تقصنا السرب  
وكنا نظن القرب يشفى سقامنا  
فلم يك إلا كل أدوائنا القرب  
وقالوا ألما تنه قلبك عن هوى ؟  
فقلت وهل لى بعد بينهم قلب ؟

وقوله (٢) :

- 
- (١) الديوان ج ١ ص ٢٨ ، ٢٩ .  
(٢) الديوان ج ٢ ص ٢٩ ، أوردها بهاء الدين العاملى فى كشكوله عن كتاب له فىمن ضائع محبوبه .

ولما أردت طروق الفتاة  
وصاحبني صاحب لا يفار  
صوت اللسان بعيد السماع  
فسرى مكتم ..... والجهار  
وضاق العناق فصار الرداء  
لها ملبسا ولباسي الخمار  
وما لفنا كالتفاف الفصون  
جميعا هنالك إلا إزار  
وطاب لنا بمد طول البعاد  
رواء الحديث وذاك الجوار  
شربت بريقته خمرة  
ولكنها خمرة لا تدار  
كان الظلام بأشراق ما  
أنالت وأعطته منها نهار  
وأثر في جدها ساعدى  
وأثر في جانبي السوار  
فلو صب الكأس ما بيننا  
(١) لما خرجت من يدينا المقار  
وناب مناب ليال طوال  
تقصر هذى الليالى القصار

...

---

(١) المقار (بالضم) : الخمر .

- وقوله يصف طيف الخيال (١) :
- وَزَوَّرَ زَارِنِي وَاللَّيْلُ دِاجٌ
- (٢) فَمَلَّلَنِي بِيَاطِلِهِ ٠٠ وَوَلَّى
- سِقَانِي رَيْقَهُ مَن كَتَّ دَهْرًا
- (٣) مَذْدُودًا عَنِ مَرَاشِفِهِ مُحَلًّا
- وَأَوَّلَى فَوْقَ مَا أَهْوَاهُ مِنْهُ
- وَمَا يَدْرِي بِمَا أُعْطِيَ وَأَوَّلَى
- وَأَرْخَصَ قَرِيبَهُ بِاللَّيْلِ مَنْ لَوْ
- سَأَلْنَا قَرِيبَهُ بِالصَّبْحِ أَغْلَى
- نَعْمَنَا بِالْحَبِيبِ دَجَّى فَلَمَّا
- تَوَلَّى وَاضْحَلَّ لَنَا اضْحَلًّا
- فَإِنَّ يَكْ بَاطِلًا فَسْقِيمٌ حَبِي
- (٤) أَفَاقَ بِهِ قَلِيلًا أَوْ أَبَلَّا
- تَلَاقٍ لَا نَخَافُ وَلَا نِيَالِي
- (٥) بَمَنْ أَوْحَى بِهِ وَعَلَيْهِ دَلَالٌ
- وَلَوْ أَنَّ الصَّبَاحَ يُطِيعُ أَمْرِي
- لَمَا كُفِّ الظَّلَامُ وَلَا تَجَلَّى

...

- 
- (١) الديوان ج ٣ ص ٦٩ .
- (٢) الزور : الزائر ، وداج : مظلم .
- (٣) المذود : البعد المطرود ، والمراشف : الشفاء ، والمحلا : أصله المحلا : مهموز أى البعد .
- (٤) أبل من مرضه : أفاق وايشا برى .
- (٥) فى طيف الخيال ، لا يخاف بدل لا نخاف .

وقوله في ذم الشيب (١) :

يقولون لي لم أنت للشيب كاره  
فقلت طريق الموت عند مشيبي  
قربت الردى لما تجلل مفرقي  
وكنت بعيداً منه غير قريب  
وكنت رطيب الفصن قبل حلوله  
ونحني لما شبت غير رطيب  
ولم يك إلا عن مشيب ذوائيبي  
جفاء خليل وازورار حبيب  
وما كنت ذا عيب وقد صرت بعده  
تخط بأيدي الغانيات عيوي  
فليس بكائي للشباب وإنما  
بكائي على عمر مضى ونحيبي

...

وان كما نلاحظ على الألفاظ والأساليب في غرض النسيب والتشبيب أنها لم تعبر عن مشاعر صادقة وعن عاطفة جياشة بحيث تجعلها تقطر غزوبة وتسيل رقة كما هو الشأن في هذا الغرض ولست أدعي بأن هذه الألفاظ وتلك الأساليب قد خلت من هذه الصفات ولكن الذي أغنيه هو أنها قد خلت من الشموخ وحرارة العاطفة فأصبحت الألفاظ مع رققتها وعذوبتها باهتة لا حرارة فيها ولذلك لم يتحقق الصدق الفني في مقطوعات النسيب عنده .

(١) الديوان ج ١ ص ١٢٠ .

ولعل السبب فى ذلك يرجع الى شىء واحد وهو أن الشاعر لا يميل بطبعه الى العزف على النسيب الذى ينصهر من معامل التجارب الذاتية للشاعر ، وعلى الأقل يخرج النسيب من شاعر يتمثل هذه التجربة ليصبها فى الشعر بأحكام وصدق .

وذلك يرجع الى أن الشاعر زاهد بطبعه لا يميل الى الاجادة فى النسيب وانما كان يسير فيه على النمط التقليدى ليقال عنه بأنه شاعر نظم فى هذا الغرض وحسبه من شعره هذا القول .

هذا كله بخلاف الاغراض الاخرى من وصف الشيب وطيف الخيال والزهد وغيرها فان الالفاظ والأساليب نابعة من تجربة صادقة وعاطفة حارة ولذلك ترى بريق الرقة فيها وتشعر بحلاوة العذوبة التى امتلأت بها بل فاضت عنها .

\*\*\*

## ٢ — خصائص الصور الأدبية :

الخيال بهجة الشعر وروعه ، وآية الذوق والابداع ، ومجال السبق والتفوق والاعجاب بل عمود الشعر عند بعض النقاد حديثا .

ولقد تهيأ للخيال الشعرى من أسباب الحياة فى هذا العصر ، فصار زاهى الألوان قشيب الثياب رحب الأفق ، خصيب المعانى ، فحلىق الشعراء به فى كل أفق بعد أن تعددت روافده وتنوعت موارده وقاضت العقول عن المعارف والطرائف الجديدة ، ونبضت قلوبهم بالحياة الحديثة التى

عمرت بالاتساع فى اللون الترف والحياة يضاف الى ذلك ما ورثوه عن  
أجدادهم الشعراء العرب من أنماط الخيال وطرائقهم فى التعبير عنه فى  
شقى الصور والأساليب .

ولذلك بث الشاعر فى العصر العباسى فى الخيال روحا جديدة  
هى عبارة اختلاط الثقافة الوافدة بأصالة العرب فى خيالاتهم وتصويرهم  
الأدبى .

ولم يكن المرتضى بدعا من بين الشعراء فى عصره فقد كان الخيال  
فى شعره يحمل سمات عصره من الاصاله العربيه فى بساطة الأداء وقرب  
المأخذ وروعة التصوير وانسيابه مع الحياة التى عاشها العربى البعيدة  
عن التعميد والتأنق الى حد الاغراق والمبالغة .

كما يحمل سمات عصره الجديد من العمق والخصوبة والخزارة والتأنق  
والتهذيب ، بل المبالغة والاغراق حينما فنرى فى شعره الخيال الذى  
نسج منه الشاعر صورا جزئية كالتشبيه والاستعارة بنوعيهما والكناية وحن  
التحليل .

لكن هذه الصور أحيانا تتميز بسمات الأصالة العربيه والمراقبة  
المضرة والقرشية فيجرى فيها الشاعر على سنن الشعراء العرب فى العصر  
الجاهلى والأموى والعباسى الأول من الالتزام بعمود الشعر فى الخيال  
وصوره ، ويظهر ذلك واضحا فى اغراض المدح والفخر والحماسة والرثاء  
والنسيب والتشبيب وغيرها من الأغراض التى ابتدعها الشعراء القدامى .

وهذه بعض الأمثلة من شعره التى تحققت فيها الأصالة العربيه من  
التشبيه والاستعارة والكناية يقول المرتضى فى الفخر منها (١) :

## استعارة ملكية

تمرُّ العطايا لا تكشف ناجذى  
استعارة ملكية وتأتى الرزايا وهى من جزى صفر (١)  
هجرت فضول العيش إلا أقلها

وفى القوم من يطفى على حلمه الوفر (٢)  
أف وأسباب المطامع جمّة استعارة ملكية  
وأعلم والألباب يخدعها المكر

لكل زمان خطّة من مذهبى استعارة ملكية  
وأشقى الورى من لا يصرفه الدهر  
صمت ولم أصمت وفى القول فضلة

وقلت فلم يأنس بمنطقى الهجر (٣) استعارة ملكية  
إذا ما ترامت بى سجايا مخالل

فأهون ما ترمى يداى له الهجر (٤) استعارة ملكية  
وأنس بى من لا يلين قياده

استعارة ملكية خلائق طالت أن يطاولها ذكر  
عدمت المنى ما أكرّ العيش عندها  
ولولا المنى ما استجد السفر السفر (٥)

(١) الناجذ : واحد النواجد وهى أقصى الأضراس، وصفر : خالية  
وكان المرتضى ضمن فى هذا البيت قول الشاعر :

ولست بفراخ إذا الدهر سرنى \* ولا جزع من صرفه المتقلب  
وذلك قول يجمع أدق وأرفع معانى الزهد المعبر بقوله تعالى " لكى  
لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم "

(٢) الوفر : المال

(٣) الهجر ( بالضم ) : الفحش والقبح فى الكلام

(٤) المخالل : المصاحب

(٥) السفر ( بفتح السين ) : المسافرين

# استعرا عمرت له اعملا بجبه الدملار بالعمرات

- ٣٩١ -

استعرا عمرت له اعملا

ومن عمرت دار المنى من همومه  
تمادى وريح المجد من مثله قفر

...

وقال في الافتخار قصيدة أخرى مطلعها (١) :

لى من رضاءك ما يغنى عن الراح

ونور وجهك فى الظلماء صباحي (٢)

ومنها قوله :

قل للذين أرادوا مثل مفخرتى

انى لكم مثل غراتى واوضحا (٣)

وهل تبينون الا فى حى كفى

وفى خفارة اسيافى وارماحى ؟

من فيكم وقد اشتد الخصام له

من دونكم مثل اياحى وافصاحى

ما زال رائدكم فى كل مكرمة

لولاي فيكم بوجه غير وضاح (٤)

(١) الديوان ج ١ ص ٢٠٣ .

(٢) الرضاء ( بالضم ) : الريق أو رغو العسل ، والراح : الخمر .

(٣) الغرة : بقعة بيضاء تكون فى جبهة الفرس ، والواضح : جمع

الوضع وهو البياض .

(٤) الراءد : الذى يرسل فى طلب الكلاء .

المطلوع : بعض الصور

وقد بلغت مرأى عَزَّ مَطْلُوبُهُ  
 امْتَقَرَحَ لم تَبْلُغُوهُ وَعَيْسَى غَيْرُ اِطْلَاحِ (١)  
 وكم ثَوْتُ مِنْكُمْ اَلْاَحْوَالُ فَاسِدَةٌ  
 الْمُتَجَمِّعِمْ حَتَّى صَرَفَتْ اِلَيْهَا وَجْهَ اِصْلَاحِ  
 لَا لَذَّةَ لَيْسَ فِي غَيْرِ الْجَمِيلِ وَلَا

فِي غَيْرِ اَوْدِيَةِ الْمَعْرُوفِ اَفْرَاحِ  
 دَفَعْتُمْ عَنْكُمْ بِمَا تَجْلُو الْقِيُونَ وَقَدْ  
 اَمْعَزَ اَمْلِيَّةٍ دَفَعْتُمْ الشَّرْعَ عِزًّا عَنْهُ بِالْاَسْرَاحِ (٢)  
 سَيَانَ سَرَى وَجَهْرَى فَيَ ظَهَارَتِهِ  
 وَمَسْتَوِ خَمْرَى فِيهِ وَتَرَوَاحِ (٣)  
 اِنْ كَانَ رِيْحُكُمْ مَالًا يَفَارِقُكُمْ

فَلَيْسَ غَيْرَ الْاَيْدِي الْبَيْضِ اُرْيَاحِ كُنَايَةُ عَسَاةٍ  
 وَرَثَتْ هَذِي الْخِصَالُ الْفُرْدُ وَنُكْمِ اِسْمَاءُ بَلَكِيَّةٍ  
 اَرْحَاةٌ مَلَكِيَّةٍ عَنْ كُلِّ قَوْمٍ طَوِيلُ الْبَاعِ جَحْجَاحِ (٤)  
 قَوْمٌ اِذَا رَكِبُوا يَوْمًا عَلَى عَجَلِ  
 اَرْحَاةٌ مَلَكِيَّةٍ ضَاقَ الْفَضَاءُ وَسَدُّوا كُلَّ صَحْصَاحِ (٥)

- 
- (١) اِطْلَاح : جَمْعُ طَلِيحٍ وَهُوَ الْهَزِيلُ ، وَالْعَيْسَى : الْاِبِلُ الْبَيْضُ فَرْدُهَا الْمَذْكُورُ اَعْيَسَ وَالْاُنْثَى عَيْسَاءُ .
- (٢) الْقِيُونَ : جَمْعُ الْقَيْنِ وَهُوَ الْحَدَادُ يَعْنِي اَنَّهُ دَفَعَ عَنْهُمْ بِالسِّيُوفِ وَغَيْرِهَا مَا تَجْلُوهَا الصِّيَاقِلُ ، وَالرَّاحُ : الدَّعَةُ .
- (٣) الظَّهَارَةُ : ( بِكْسَرِ الطَّاءِ ) مَا يَظْهَرُ لِلْمَعِينِ ، وَالْخَمْرُ ( بِالتَّحْرِيكِ ) : التَّسْتَرُّ ، وَالتَّرَوَاحُ : الرُّوَّاحُ اَوْ الْذَهَابُ بَعْدَ الزَّوَالِ .
- (٤) الْقَوْمُ : الشَّجَاعُ ، وَالْجَحْجَاحُ : السَّيِّدُ الْكَرِيمُ .
- (٥) الصَّحْصَاحُ وَالصَّحْحَانُ : الْمَفَازَةُ .

ويختتم قصيدته بقوله هذه الأبيات :

تري جيادهم فسى كل ممترك  
 تلقى من الأرض صفاحاً بصفاح (١)  
 فسيبلغ هم البحور لين يعتاد رقدهم  
 والناس ما بين أوشال وضحضاح (٢)  
 لو طاولوا النجم لم يطلع على أحد  
 أو صاولوا النار لم تظهر لقداح (٣) المجد والها

فالتشبيهات هنا والاستعارات استمدتها الشاعر من بحر الخيال  
 العربى القديم .

وأحيانا تتحقق الأصالة العربية والعراقة الضادية فى صور الخيال  
 التى ظهرت فيها ملاح العصر من خصوبة وعمق وتدفق وجدة ومبالغة وهذه  
 الخصائص كلها من سمات العصر العباسى للخيال قد تتوافر كلها عند شاعر  
 وقد يجتمع بعضها فى شعره ويتخلف البعض الآخر مع وجود سمات الخيال  
 التى تحققت فيها الأصالة العربية عند جميع الشعراء فى العصر العباسى  
 وشاعرنا فى بقية الأغراض وهى طيف الخيال ، والزهد وغيرها مما اجتمع فى  
 صور الخيال سمات الأصالة القديمة وسمات الحضارة الحديثة وعمق الثقافة .

ففى صور الخيال هنا عند المرتضى قد تنوعت روافدها فظهرت غنية  
 خصبة موفورة ، تتسم بالجدة والقوة والابتكار والتوليد يقول فى طيف  
 الخيال (٣) :

- 
- (١) الصفاح : الحجارة العريضة .  
 (٢) الأوشال : جمع الوشل وهو الماء القليل والضحضاح مثله .  
 (٣) الديوان ح ٣ ص ٢٦٩ .

خَادَعْتَنِي بِزِيَارَةِ الْحَلِيمِ  
 وَظَلَمْتَ لَمَّا جِئْتَ فِي الظُّلَمِ  
 وَعَدَدْتَهَا جَهْلًا بِمَوَاقِفِهَا  
 مِنْ جَمَلِيَةِ الْإِحْسَانِ وَالنِّعَمِ  
 وَظَنَنْتُ أَنَّكَ طَارِدٌ سَقَمًا <sup>أَسْمَاءُ</sup> <sup>كَلِيمٌ</sup>  
 فَجَلَبْتَ لِي سَقَمًا عَلَى سَقَمِي  
 وَصَلَّ بِغَيْرِ رِضَى وَلَا لِهَوَى  
 وَعَطِيَّةٌ لَيْسَتْ مِنَ الْكَرَمِ  
 كَذِبٌ وَمَا شَكَرْتُ عَلَى كَيْدٍ  
 مَا صَحَّ فِي فِكْرٍ وَلَا كَلِمِ  
 وَوَدَّتُ مِنْ مَقْتِي مَخَادَعَتِي  
 أَنْ الرِّقَادَ جَفَا قَلَمِ أَنْبِ  
 قَالُوا أَمَا اسْتَمَعْتَ قُلْتَ لَهُمْ  
 كَيْفَ هَلْ مَتَعَةٌ لَقِيتُ مِنَ الْعَدَمِ  
 مَا الطِّيفُ إِلَّا كَالسَّرَابِ وَلَا  
 رِيَّ بِغَيْرِ الْبَارِدِ الشَّبِيبِ (١)

وَقَالَ فِي الزَّهْدِ <sup>(٢)</sup> <sup>أَوْ مَجَارِمٍ عَلَى</sup>  
 لَا هَطْلَ الْغَيْثِ بَدَارِ الْأَلْسَى  
 لَيْسَ بِهِمْ رَاضٍ وَلَا قَانِعٌ  
 الشَّرُّ فِي أَيْبَاتِهِمْ لَا يَبُتُّ <sup>أَسْمَاءُ</sup> <sup>كَلِيمٌ</sup>  
 وَالْخَيْرُ فِيمَا بَيْنَهُمْ ضَائِعٌ

من يشتري مني جِواري لهم  
فاننى اليوم له بائع

...

### ٣ - خصائص الموسيقى الشعرية :

الشريف الموتضى موفق فى اختياره للموسيقى الخارجية ( الوزن والقافية ) فى شعره وفقا للموضوعات التى يتطرق اليها اذ نراه يختار غالبا البحور الطويلة كالطويل والوافر والكامل وغيرها والقافية القوية المجردة من حروف اللين مثل ( القاف ، الفين ، العين ، الخاء ، الجيم ، التاء ، الظاء ، فى أغراض المدح والفخر والحماسة ، وكذلك فى الرثاء الا أن القافية فيه تختلف عن الأغراض السابقة فتشتمل على حروف اللين .

لأن طبيعة هذه الأغراض تقوم على التمجيد والتكثير والتفخيم .  
وهذه المعانى تحتاج الى الطويل من البحور والذى كثرت فيه الأوزان والتفاعيل ، فيشتمل البيت الواحد على أربع تفعيلات فى كل شطرة .

قال يمدح الملك بهاء الدولة : (١)

أرقت للبرق بالعسا يضطرم  
وحبذا ومضة لو أنه أمم

...

---

(١) الديوان ح ٣ ص ١٧٤ .

ومنها قوله :

بني بويه أتسم الله نعمتكم  
ولا يزل منكم في الملك محتكم  
وانت يا ملك الأملاك عش أبدأ  
فما سلمت لنا فالخلق قد سلموا  
وأنعم نعمت بهذا النيروز مرتقيا  
إلى المحل الذي لم ترقه قدم  
مبلغا كلما تهوى وإن قصرت  
عنه الأمانى موصولا لك النعم

...

وقال قصيدة يمدح بها الوزير أبا المعالي عبد الرحيم مطلعها (١) :

عن الخيال لنا ليا ليلي الأبرق  
والركب بين مسهد ومورق (٢)

...

ومنها قوله :

قل للوزير أبا المعالي وابنهما  
وسليل كل نجيبة لم تخفق  
يا سيد الوزراء من ماضي ومن  
آت ومخلوق ومن لم يخلق  
لا زلت بين تملك وتحكم  
أبدأ وبين تصمد وتحلق

---

(١) الديوان : ج ٢ ص ٣٥٢ •

(٢) الأبرق : الأرض ذات الرمل والحجارة والطين • ومنزل من منازل

بني عمرو بن ربيعة •

فِي خَفْضِ عَيْشٍ لَا يَزُولُ نَظَاقُهُ  
عَنْ سَاحَتِكَ وَظِلِّ عِزِّ مُحَدِّقِ  
لِلَّهِ دَرْكٌ حَيْثُ تَشْتَجِرُ الْقَنَا  
تَحْتَ الْمَجْجَاجِ عَلَى ظُهُورِ السَّبْقِ  
...

ومنها:

- أَنَا فِي بَنَى عَبْدَ الرَّحِيمِ مَخِيمِي  
وَإِذَا عَلِقْتُ فَمِنْهُمْ مُتَعَلِّقِي  
وَيَنْشُرُهُمْ عَيْقٌ وَلَوْ لَا أَنَّهُ  
(١) يَا صَاحِبِي نَشْرٌ لَهُمْ لَمْ أُعَبِّقِ  
أَعْطَيْتُهُمْ وَدَى وَلَوْ بِيَدِي الْمَنَى  
شَاطَرْتُهُمْ مِنْ مَدَّتِي مَا قَدْ بَقِيَ  
وَلَوْ أَنَّ فِي كَفِّي الشَّبَابَ وَقَدْ مَضَى  
(٢) لِبَذَلْتُهُ وَخَصَصْتُهُمْ بِالرِّيقِ  
فِي أَى شَعْبٍ مِنْ شُعُوبٍ مُرَادَهُمْ  
(٣) - حَتَّى أَتَاهُمْ - لَمْ أُخِبْ وَأَعْنِقِ

- 
- (١) النشر : الرائحة الطيبة ، وعبق به الريح : لصق .  
(٢) الريق من الشباب : ابانه وأوله .  
(٣) الشعب : طريق بين جبلين ، وتاهم : أتى تهامة ، وأخب وأعنق  
من الخيب والعنق ( بالتحريك ) وهما ضريان من السير السريع .

فبأى أمر فيهم لم التبس  
وبأى جبل منهم لم أعلق ؟  
كم أنقذوا من حتف كرب واسع  
أو أخرجوا من كف خطب ضيق  
ورقوا من العلياء ما لا يرتقى  
وأثوا من الغايات ما لم يلحق  
ومتى رأيتهم رأيت تقربى  
من دارهم وتخصصى وتحققى  
...

وقال يهنىء بالخلافة القائم بن القادر ويذكر مودته لهما ويمدحه،  
قصيدة يقول فى مطلعها (١) :

أقلا فشأنكما غير شأنى  
ولست بطوعكما فأتركانى  
...

ومنها قوله :

فدونكما دولة لا تبديد  
كما لا يبديد لنا النيران  
بناها لك الله فى شامخ  
بعيد الرعان رفيع القنان (٢)

(١) الديوان ج ٣ ص ٣٣٨ .

(٢) الرعان : جمع الرعن وهو أنف الجبل ، والجبل الطويل والقنان :  
جمع القنة كالقنة من الجبل زنة ومعنى .

فالبحر هنا كثير التفاعيل والقافية هنا لم تشتمل على حروف اللين  
فالبعض والروى ~~مسن~~ الحروف القوية الثقيلة التي تحتاج الى  
معاناة أكثر في تجمع صوتها وهذا ما نراه في :

تخفق - يخلق - وتحلق - محقق -  
وهكذا الى آخره

والرثاء يتفق مع هذه الأغراض في اختيار البحور الطويلة لكنه يختلف  
عنها في القافية حيث تضم قافية الرثاء حروف اللين لما يشعر به الشاعر من  
الحزن والألم على المرنى الذي يترك في نفس الشاعر من الاسترخاء والامتداد  
وهذه الحالة النفسية تتناسب مع حروف اللين لا السكون في القوافي وذلك  
مثل قوله (١) :

دعوا اليوم ما عودتم من تصبير  
فإن نزاعاً غالباً لثروعى (٢)  
فما القلب منى فارغاً من تذكر  
ولا العين منى غير ذات دموع  
...

ومنها قوله :

وقالوا بركن الدين ولت يد الردى  
فخر صريماً وهو خير صريح  
فشبوا لهيب النار بين جوانحي  
وجثوا أصولى بالجوى وفروعى  
ومروا وقد أبقوا بقلبي حسرة  
وذروا طويل اليأس منه بروعى (٣)

(١) الديوان ح ٢ ص ٢٣٠ .

(٢) النزوع : الاشتياق .

(٣) بروعى : بقلبي ، والروع ( بضم الراء ) القلب .

فلو كنتُ أسطيعُ الفداءَ فديتُهُ  
وأعيا بداء الموت كل جيمى  
وشاطرتهُ عمرى الذى كان طالماً  
عليه بما أهواه خير طلوع  
وقالوا أصطبرُ ، والصبرُ كالصبرِ طعمهُ  
إذا كان خرقٍ بغير رِقوع  
وعن رجلٍ لا كالرجالٍ فضيلة  
وعن جبلٍ عالى البناءِ رفيع  
وعزّاك من سقّاك كلّ مرارةٍ  
وحياك من لقاءك كلّ وجيع  
ولو كنتُ أرجو عوده لاحتسبتهُ  
ولكنّه ماخٍ بغير رجوع  
كأنّى ملسوعٌ وقد قيل لى مضى  
وما كنتُ من ذى شوكةٍ بلسيع  
فأى انتفاعٍ بالربيع وإنّيه  
زمانى وقد ولّى الردى بريمى  
...

أما البحور القصيرة والقافية السلسلة الخفيفة العذبة التى تقوم على  
حروف اللين غالباً لا السكون مثل حروف ( النون - السين - الصاد -  
الراء - الزاى ) وغيرها من الحروف الخفيفة فى النطق باللسان

وعلى السمع • هذه البحور وتلك القافية غالبا ما تتوافر عند الشاعر  
فى اغراض النسيب والفزل والزهد وطيف الخيال •

وأن المتأمل لشعر الشريف المرتضى يجد له خصائص تميزه  
وسمات ينفرد بها عن غيره ، فهو شعر رجل نبيل خلقه ، وكرم أصله  
وسما بيته ، وارتفعت رأسه وعف عن الدنيا والرذائل ميله  
وطبعه ، ودق حسه وشعوره ، ونضج عقله ، وتهذب ذوقه ،  
وكلت ملكته ، وخلص لسانه •

ويمكننى اجمال السمات المميزة لشعره فى الاسترسال والسهولة  
مع الجزالة والفحولة ، والترفع والاعتداد وعدم الاسفاف والجمع بين  
التقليد والتجديد ، وأصالة العروبة والاعتزاز بالنسب الطاهر  
والدين القويم ، والخلق الذى لا يعرف الالتواء أو الفموش  
أو الرياء والتملق •

ونلخص فيما يلى أهم مميزات شعره :

- ١ — سلامة فطرة قائله ، وصفاء جوهره ، وبعمده عن خبث الطوية ، وأنه  
ييمد كل البعد عن الحقد والحسد ، وليس بعمده عن الهجاء  
الا أكبر الأدلة على ما ذهبنا إليه •

- ٢ - بعده عن التكلف ومستكره الألفاظ وسهولة شعره وترايط أفكاره .
- ٣ - اطالة النفس في معظم القصائد ، مع الإيجاز في موضعه المناسب ، والاجادة في الحالتين .
- ٤ - شعره يقع وسطا بين السهولة والفحولة والجزالة ، فهو يسهل ولكنه لا ينحط في المستوى بل يظل محتفظا بقوة تعبيره وعما يريد قوله ، متضح ولكنه لايسف ، وقد استعصت شاعريته الفذة على أن تتأثر بالمؤثرات الأعجمية فلم تخرج في مجموعها على المنهج العربي والطريقة العربية التي يحددها الذوق العربي في العصر الجاهلي أو الاسلامي . فهو لا يضارع ابن الرومي في تحليل المعنى والتقصي فيه ، ولا يضارع أبا تمام فيما يتقنه من فلتات الصنعة النادرة التي تأتي بالأبيات الفذة فتستهوي القلوب وتشعل الخيال ، ولا يضارع المتنبي في التفكير والانطلاق في أجواء النفس والحياة والأخلاق إلا أن له نصيبا لا يستهان به من تلك الميزات ، وهو قد بز جميع أولئك الشعراء في وصف الطيف والشيب .
- ٥ - تنوع الأغراض التي كتب فيها أشعاره .

\*\*\*

آراء بعض النقاد في شعره :

أورد الثعالبي ترجمة المرتضى وأثنى عليه وقال في تنمة اليتيمة " له شعر في غاية الحسن " (١) ثم أتى بشواهد منه ، وقال فيه ابن خلكان : " وله ديوان شعر ، وإذا وصف الطيف أجاد فيه ، وقد استعمله في كثير من

---

(١) مقدمة الديوان لرشيد الصقار ص ١٣٦ .

المواضع ، ثم أورد مقاله ابن بسام في آخر كتاب " الذخيرة " من قوله :

" كان هذا الشريف اماما من أئمة العراق بين الاختلاف والاتفاق ،  
اليه فزع علماءها وعنه أخذ عظماءها ، صاحب مدارسها وجماع شاردها  
وأنسها ، ممن سارت أخباره ، وعرفت به أشعاره ، وحمدت في ذات الله  
مآثره وآثاره .. " (١) .

وقال عنه ياقوت في معجم الأدباء (٢) : له ديوان شعر يزيد على  
عشرة آلاف بيت . وأشار الى ديوان شعره السيوطي أيضا في بغية الوعاة  
وقال فيه الحاج خليفة في كشف الظنون : وله ديوان شعر كبير وإذا وصف  
الطيف أجاد فيه ، وقد استعمله في كثير من المواضع (٣) .

وقال فيه الحر العاملي صاحب أمل الآمل على ما نقله عنه صاحب  
" رضات الجنات ص ٣٨٨ " : " وقد رأيت نسخة من ديوان شعره قرئت  
عليه ، وعليه خطه ، فكتبته بخطي نحو عشرة أيام ، وهو أقل من عشرة آلاف  
بيت ، وكأنه منتخب ديوانه " إذ أن شعره يزيد على عشرين ألف بيت (٤) .

وذكره أيضا الشريف اليماني في كتابه " نسمة السحر " وجاء بشواهد  
من شعره أيضا . وقد قال فيه أحد أدباء مصر المعاصرين بعد اطلاعه على  
ديوانه .

كان يقال الشريف المرتضى أخو الشريف الرضي الشاعر ، وسيقال بعد  
انتشار الديوان : الشريف الرضي أخو المرتضى الشاعر (٥) .

(١) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٢) ح ١٣ ص ١٤٧ ط دار المأمون بمصر .

(٣) لاحظ قول صاحب كشف الظنون فهو نص قول ابن خلكان .

(٤) الكنى والألقاب للشيخ القمي ح ٢ ص ٤٣ ط العرفان ١٣٥٧ هـ .

(٥) مقدمة الديوان ص ١٣٧ .

أما الديوان الذى نرجع اليه فى بحثنا بأجزائه الثلاثة فيضم قرابة  
أربعة عشر ألف بيت .

وملاحظ الدكتور عبد الرازق محيى الدين فى كتابه أدب المرتضى  
على شعره مايلى (١) :

١ — أن الشريف نظم الشعر فى سن مبكرة ، وظل يعاود قوله حتى  
شيخوخته الطاعة ، وهى شيخوخة بلغت الثمانين ، فجدير بديوانه  
أن يبلغ من الضخامة وعدد القصائد والأبيات ما لعله يتجاوز شعر  
المنقطعين لقول الشعر .

٢ — أنه كان سريع البديهة ، وقد يقول الشعر مرتجلا ، وقد ينظم فى  
نفس المناسبة أكثر من قصيدة ، وهذا مايفسر السهولة واليسر  
فى شعره ، وعدم التأنق فى كثير منه ، واليه يرجع مايدخل بعض  
قصائده من أبيات متخاذلة .

٣ — أنه بحكم مركزه الدينى والاجتماعى يلتزم الحشمة والوقار والتحرج ،  
فلا ينتظر منه أن يذهب مذهب الشعراء من الجوى وراء الخواطر  
الأدبية التى تسخط الله أو تسخط الناس ، ولذلك خلا شعره من  
التعرض للأديان ، والنقد للحادات ، والتحرر فى الغزل ، والافحاش  
فى الهجو ، والخلو فى المدح .

٤ — لم يكن الشعر أظهر أعمال الشريف ، ولا المستأثر بجهد .

٥ — كان الشريف على حال من اليسر والبسطة ، والشعر لا يكون متلظيا  
ملتبها الا حيث يكون وقوده الضر والآلام .

وختلف مع الدكتور عبد الرازق فيما ذهب اليه في هذه النقطة ، سلامة  
الوجدان والحس المرهف ، والبلاغة والالمام بأصول اللغة العربية والوقوف على  
ما قاله فحول الشعراء ممن سبقوا ، اضافة الى مدى التفاعل مع المجتمع . . كل  
ذلك من أهم ما يوتر على شاعرية الشاعر الذي تتوافر لديه الموهبة .

فشاعرنا مع ما كان يتمتع به من ثراء كان زاهدا في الدنيا غير مقبل  
عليها وقد سبق وأوضحنا عددا ممن شهدوا له بمكانته الشعرية رغم علمهم  
بثرائه .

٦ - كان الرجل محجبا بشعره فخورا به .

٧ - أضفت منزلة الشريف الاجتماعية على شعره كثيرا من الاهتمام والرعاية  
من أبناء عصره ، ولهذا اعتز به الخلفاء العباسيون ، وحرصوا عليه  
الملوك البويهيون ، وأحب مطارحته ومقارضته الأدباء المعاصرون ، ونوه  
بشأنه المؤرخون في حين قل أن نوه بما قال غيره في تلك المناسبات .

وهذا يفسر الدكتور عبد الرازق محبى الدين ما قبل به شعره من  
زهد النقد بعد عصره ، وعدم اقتباسهم منه في موازنة أو اختيار الا  
قليلا ، لأنه افتقد ما أضفاه الشريف عليه في حياته ، وظل يحتمس  
على ماله من أصالة ذاتية .

٨ - نظم الشريف الشعر في أغلب الأغراض التي طرفها الشعر العربي ،  
وتناولها تناول الواقف الخبير بما نظموا .

ويقول الاستاذ رشيد الصفار<sup>(١)</sup> في مقدمة الديوان التي اعتمدنا عليها  
في بحثنا .

---

(١) مقدمة الديوان ص ١٣٦ .

" كما في غنى عن ذكر هذا الباب - القول على شاعرية المرتضى  
لولا علمنا من جهل كثير من متأدبي هذا العصر بأن يكون الشريف المرتضى  
النقيه المتكلم شاعرا ، ومن عدم علم حتى بعض الأدباء بأن يكون له ديوان  
شعر ، أو أن بعضهم علم بشاعريته وقد يكون رأى ديوان شعره ولكنه تجاهل  
من كونه من الشعراء المطلقين الذين قد لا تقل مرتبتهم عن مرتبة مثل أخيه  
الشريف الرضى في الشعر وفارة واجادة وصناعة وتنوع أغراض ، وحسن أداء  
للمعنى المقصود والخرض المطلوب " .

## (( الفصل الثالث ))

—

:: بين الرضى والمرضى ::

~~~~~

هناك عناصر شبه كثيرة بين الشريفين الرضى والمرضى ، من حيث
النشأة والاسرة ، والمكانة وغير ذلك من العوامل التى تساهم فى
تشكيل ووصف شاعرية الشاعر .

وأما الميول والاتجاهات والصفات الشخصية فبعضها مختلف عند
الشريفين وعلى سبيل المثال كان الشريف الرضى يطمح فى نيل الخلافة
وانعكس ذلك فى اشعاره ، بينما الشريف المرتضى نجده زاهدا فى
الدنيا ومناصبها .

كما أن المطلع على ديوان الشريف الرضى يجده لا يتحرج
فى الغزل وانما يطلق لخياله العنان بعكس المرتضى ذلك الشاعر
المتحفظ .

وقد اختلف النقاد فى تقييم شاعرية الشريفين ، غير أن
الرضى الشاعر أشهر من الرضى العالم ، والمرضى العالم أشهر من
المرتضى الشاعر .

وسوف نستعرض في هذا الفصل بعض نماذج من اشعار الشريف الرضى التى ورد نظير لها فى اغراض شعر المرتضى . ونبين أوجه الشبه والاختلاف بينهما والحوامل المؤثرة فى شعر الرضى وما كتبه الشريفان كل منهما للآخر من أشعار .

الشريف الرضى ، هو أبو الحسن محمد بن الطاهر ندى المناقب
أبى أحمد الحسين الموسوى .

وقد أجمعت الآراء والمصادر على أن اسمه محمد أبو على . وولد
الشريف الرضى من أسرة النبى صلى الله عليه وسلم وكانت ولادته عام ٣٥٩هـ^(١)

وكان أبو الشريفين (المرتضى والرضى) كما تقدم رجل النقابة فى عصره وقد وصفه لنا ابنه الرضى بقصيدته " سلى بى " ^(٢) التى يفخر فيها بأبائه عموما ثم بأبيه الأديب خصوصا ومطلعها :

وفى بمواعيد الخليط وأخلفوا
وكم وعدوا القلب المئنى ولم يفوا
...

ومنها قوله :

أبونا الذى أبدى بصفين سيفه
ضخاء ابن هند والقنا يتقصف
ومن قبل ما أبلى بيدر وغيرها
ولا موقف إلا له فيه موقف
ورثنا رسول الله علوي مجده
ومعظم ماضى الصفا والمعرف
...

(١) اليتيمة ٣ / ٣٦ .

(٢) ديوان الشريف الرضى مع مقدمة طويلة للحلى تحقيق أحمد عباس
الأزهري ط الأديبة بيروت عام ١٣٠٧ هـ . ح ٢ ص ١٢ - ٤٠ .

وفيهما يقول واصفا أباة الأدنى بمؤلف ما بين الملوك :
وهذا أبي الأدنى الذي تعرفونه
مقدم مجد أول ومخلص
مؤلف ما بين الملوك اذا هفوا
وأشفوا على حز الرقاب وأشرفوا
اذا قال ردوا غارب الحلم راجعوا
وان قال مهلا بعض ذا الجد وقفوا
والأمن لما صال قادر ملكهم
وأعرض منه الجانب المتخوف
تلاقاه حتى سامح الضغن قلبه
وأسمح لما قيل لا يتألف
وكان ولي العقد والمهد بينه
ومين بهاء الملك يسمى ويلطف

...

ومنها قوله :
وسل مضراً لما سما لديارها
فهب ونام الماجز المتضمف
تولجها كالسيل صلحا وعنوة
فأبقى ورد البيض ظمأى تلهف
له وقفات بالحجيج شهودها
الى عقب الدنيا منى والمخيف
ومن مآثرات غير هاتيك لم تنزل
لها عنق عال على الناس مشرف
حتى فاء عن بسط الملوك وقد كتبت
عليها جباه من رجال وأنف

...

ووصف الشريف الرضى أباه فى حلمه وشجاعته وفى قدرته على حل
المشكلات بقوله :

أبي ما أبي لا تدعون نظيره
رديف العلى من قبلكم وزميلها
هو الحامل الأعباء كل مطيقها
وعج عجيج الموقرات حمولها
طويل نجاد يحتبى فى عصابة
فيفوعها مستعليا وطولها
إذا صال قلنا أجمع الليث وثبة
والله جاد قلنا مد من مصر نيلها
حليم إذا التفت عليه عشيرة
تطاطا له شبانها وكهولها
وان نعمة يوما أمالت رؤوسنا
أقام على نهج الهدى يستميلها
وأنظرها حتى تمود حلوسها
وأهلها حتى تشوب عقولها

...

وهكذا نرى الشريفين المرتضى والرضى يجالنه كثيرا ، وشتركان فى
احترامه والافتخار به فى أشعارهما ، كما شارك الرضى المرتضى فى تهنئة
والدهما فى الأعياد مثل الملوك والخطاء والسلطين وكبار القوم .

أما أمهما فيبدو أن أثرها فى حياة الشريفين الرضى والمرتضى كبير
جدا فهى التى أخذت بيدهما الى الدرس والتحصيل وأنستهما حين
أودع والدهما السجن وأنقت عليهما من مالها كما يظهر لنا من قول

داود كرويه ٤٥٧

الشريف الرضى (١) :

ومن الممول لى اذا ضاقت يدي
ومن المحلل لى من الادواء
ومن الذى ان ساورتنى نكبته
كان الموقى لى من الأسواء
...

ولكى نطلع على مبلغ نكبته وحزنه عليها حين وفاتها عام ٣٨٥ هـ (٢)
نسوق جزءا من قصيدته التى رثاها بها ومنها (٣) :

أبيك لو نفع الفليل بكائى
وأقول لو ذهب المقال بدائى
وأعوذ بالصبر الجميل تعزى
لو كان بالصبر الجميل عزائى
طورا تكأثرنى الدموع وتارة
أوى الى أكرومتى وحيائى
كم عبرة موهبتها بأناملى
وسترتها متجملا بردائى
أبدي التجلد للعدو ولو درى
بتمللى لقد اشتفى أعدائى
ما كنت أدخر فى فداك رغبة
لو كان يرجع ميت بفداء

-
- (١) ديوان الشريف الرضى ج ١ ص ٢٨ ط بيروت وصادر .
(٢) ديوان الرضى ج ١ ص ٢٨ ط بيروت وصادر .
(٣) المرجع السابق ص ٢٨ - ٢٩ .

لو كان يدفع ذى الحمام بقوة
لتكدست عصب وراء لوائي
بدرمين على القراع تفيأوا
ظل الرماح لكل يوم لقاء
قوم اذا مرهوا بأغياب السرى
كحلوا الميون بأمد الظلماء
يمشون في حلق الدروع كأنهم
صم الجلامد فى غدير الماء
فارقت فيك تماسكي وجملتي
ونسيت فيك تمرزى وابائي
كم زفرت ضعف فصار أنى
تمتها يتنفس الصعداء
قد كنت آمل أن أكون لك الفدا
مما ألم فكت أنت فدائى
وتفرق البعداء بعد مودة
صعب كيف تفرق القرباء
قد كنت آمل أن يكون أمامها
يومي وتتحقق أن تكون ورائي
لو كان يهلك الصفيح رسائلي
أو كان يسمعك التراب ندائى
لسمعت طول تأوهي وتفجمني
وعلمت حسن رعايتي ووفائى
كان ارتكاضى فى حشاك مسييا
ركض الغليل عليك فى أحشائى

ومرأ مؤله

و...
و...
و...

ومن الجدير بالملاحظة هنا ، أننا رأينا الشريف الرضى وقد مدح والدته ورثاها اعترافا منه بفضلها ، ووفاء^١ منه بما أدته له من أياذ بيضاء لم نجد فى المقابل أخاه الشريف المرتضى يذكر أمه لا بمدح أو رثاء وهو الذى رثى أباه وأخاه والعديد من اقربائه وأصدقائه . ولا نعتقد أن عدم ذكر المرتضى أمه فى شعره عن جحود أو نكران للجميل وهو الرجل المتدين الذى يعلم فضل الأم ومكانتها ، ولكن قد يرجع ذلك الى كونه الأخ الأكبر فيجب عليه فى حالة وفاتها ان يتماسك لهول الفجيعة امام أخوته ، ولأن الزهد يمنعه ويصونه عن ذكر النساء فى شعره وان كانت أمه تصونا لذكرها أما النسيب فليس فى شعره تغزل بواحدة بعينها لأنه يجرى فيه على سنن الشعراء وحسبه هذا فقط ، وعلى رغم اجتهادى فى هذا رأى ، لا يزال الأمر محيرا خاصة وأن الشريفين (المرتضى والرضى) شقيقان من الأب والأم .

ومن زاوية أخرى يختلف الشريفان (المرتضى والرضى) أيضا فى أن الأول قد رثى زوجه رثاء^٢ متعددا ، الا أن الثانى لم يحدثنا بشعره عن زوجه مع كثرة حديثه عن المرأة .

واشترك الشريفان فى الافتخار بأسرتها ، وهذا الأمر ظاهر أشد الظهور فى أشعارهما ، وفيما يلى نقدم نموذجا مختصرا من أقوال الشريف الرضى (١) :

أرد^٣ النوائب بالموسى^٤ —
وأعطي^٥ الرغائب بالناصرى^٦
ولولا الحسين عصيت^٧ الرجاء^٨
وأغضيت^٩ عن برقه^{١٠} النائر^{١١} (٢)

(١) ديوان الرضى — ص ٢٣٤ .

(٢) عصيت : طويت .

وابتداً يقول الشعر وهو ابن عشر سنوات^(١) ، وتبدأ مرحلة جديدة في حياة الشريف الرضى يوم جاء والده من فارس طليقا عام ٣٢٦ هـ .

ولقد كان منذ أن عرف نفسه يتطلع الى المستقبل بنفس لا ترضى بالدون ولكنها تريد من الحياة كل شيء ، وقد يكون ذلك من طبائع الشباب ولكن ذلك عند الشريف الرضى ملك عليه كل أمره ، حتى أصبح لا يفكر الا فيه ، وحاول أن يتصل بالكبراء فدح صاحب بن عباد ولكنه خاف أن يستغفروه ، فطوى قصيدته وتوفي الشريف الرضى عام ٤٠٦ هـ عن عمر يناهز السابعة والأربعين عاما^(٢) ، وصلى عليه الوزير فخر الملك بامامه ابن المهلوس العلوى ، أما أخوه المرتضى فلجا الى ضريح موسى الكاظم أسى ولعدم استطاعته أن ينظر الى جسمانه وهو يغسل ويدفن^(٣) .

ونستطيع القول أن الشريفين المرتضى والرضى كان لكل منهما غاية وطموح واتجاه ، الأول العلم والأدب والفقة والتدين والزهد ، وقد نال من مراده الكثير . أما الثانى فأقصى ما كان يصبوا اليه الخلافة ، ولم ينلها وإن كان قد نال مناصب عديدة .

(١) روضات الجنات ٥٤٢ ، والشذرات ١٨٢ / ٣ .

(٢)

(٣)

بين شخصيتي الشريفين المرتضى والرضى :

بقدر ما كانا يشتركان في العديد من الصفات مثل الفصاحة ، والذكاء ، والثقافة الواسعة ، الا أن الصفة التي ميزت الشريف الرضى عن المرتضى هو أنه كان معتدا بنفسه غاية الاعتداد ، وهذه الصفة هي التي ملكت على الشريف الرضى كل حياته وأسرت بمماته وبرزت في معظم قصائده ، وما غرس هذه الصفة في نفسه حبسه الذي كان في المجتمع الاسلامي وقتئذ مما يهب المرء المجد ، أما الشريف المرتضى فقد كان ميالا للزهد في الدنيا تاركاً زخرفها .

بل لقد كان الشريف الرضى يتطلع الى الخلافة الاسلامية ، وهذه حقيقة لامرية فيها نبضت بها أبيات شعره مثلما نبضت خفقات قلبه ، ونراه يقول في هذا المعنى (١) :

فطَحَّ البلاد وراء قاضية الملئ
متضرِباً عن موطنِي ومراحِي
أشهى إلى من التميم يدوم لي
والذُّمُّن نعم علي مـراج
انسى الى العذب النмир أصابني
بيد الهوان شربت بالأمـلاح
دعني أخاطر بالحياة وانما
طلب الرجال العز ضرب قداح
أما لقاء الملك قسرا أو كما
لقى ابن حجر من يدي الطماح
...

بل نرى الشريف الرضى يتجاوز ذلك الى أن يصور نفسه وقد علا
عرش الخلافة وأمر ومنهى وقيم العدل بين الناس اذ يقول (١) :

هذا أمير المؤمنين محمد
كرمت مفارسه وطال المولد
أو ما كفاك بأن أمك فاطمة
وأبوك حيدرة وجدك أحمد
يمسي ومنزل ضيفه لا يحصى
كرما وميت نصاره لا يقلد
...

وكان الرضى يرى أنه أكبر من الشعر ، كما يقول (٢) :

وما الشعر فخرى ولكن
أطول به همة الفاخر
...

وأنى وان كنت من أهله
لتتكرنى حرفة الشاعر
...

ولم يكن الرضى - مشترك فى هذه الصفة مع المرتضى - يمدح
لنوال وعطاء .

ومع كون الشريف المرتضى زاهدا فى الدنيا مدبرا عنها ، إلا أن
آخاء الرضى كان يتعالى حتى على الخلفاء ، حتى أننا نراه قد تجرأ
على أن يقول للخليفة العباسى القادر بالله فى قصيدة يمدحه بها (٣) :

-
- (١) الشريف الرضى : ١٤٤
(٢) الديوان ٣٣١ ط بيروت عام ١٣٠٢ هـ .
(٣) الديوان ٥٤١ - ٥٤٤ ط بيروت عام ١٣٠٢ هـ .

عظفا أمير المؤمنين فأننا
فى دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت
أبدأ كلانا فى المعالى معرق
الا الخلاصة ميزتك فأننى
أنا عاطل منها وأنت مطوق
...

ولقد توفي رجل من كبار رجالات بغداد عام ٣٩٦ هـ يدعى أبا بكر
بن شاه ، فلم يشيع جنازته على كثرة أصدائه الا ثلاثة منهم الشريف الرضى
لجراته ، فقد كان الرجل غير مرغوب فيه لدى السلطان ، فامتنع أصدقاؤه ،
وتبعه الرضى وشيخه ورثاه (١) . ونستنتج من هذه القصة مدى جـرأة
الشريف الرضى التى كان يتميز بها فى حياته وفى شعره .

ومما يجدر ذكره ونحن نقارن بين شخصيتى المرتضى والرضى ، أن
الأول لم تكن للمرأة دور كبير فى حياته ، ولم يتأثر بها كثيرا فى شعره وذلك
بالمقارنة بالشريف الرضى الذى تحدث عن المرأة فى شعره كثيرا ، تحدث
عن المرأة الأم والأخت والمولودة والمقوفاة ، كما جعل الرضى من مواسم
الحج مواسم حب وهوى ، حين كان يتعرف على طوائف الحسن المكنون ،
فأتحف الأدب بالحجازيات الفزليات اللواتى يقرن بخمريات أبى نواس ، وهاشميات
الكُميت .. كقوله من قصيدة يصف بها مغامرة غرام (٢) :

يا ليلة السفح ألاَّ عدتِ ثانية
سقى زمانك هطال من الديم

(١) الديوان ٣٨٤ ط بيروت عام ١٣٠٧ هـ .
(٢) عبقرية الشريف الرضى زكى مبارك ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،
صيدا لبنان ج ٢ ص ١٥٢ .

ماض من العيش لو يفدى بذلت به
 كرائم المال من خيل ومن نعم
 لم أقض منك لبانات ظفرت بها
 فهل كلى اليوم إلا زفرة الندم
 فليت عهدك إذ لم يبق لي أبداً
 لم يبق عندي عقابيل من السقم
 تعجبوا من تمنى القلب مؤلمة
 وما دروا أنه خلو من الألم
 ردوا على ليالي التي سلفت
 لم أنسهن ولا بالعهد من قدم
 أقول للآثم المهدي ملامتيه
 ذق الهوى وإن أسطعت الملام لم
 وظبية من ظباء الأنس عاطلة
 تستوقف العين بين الخض والهضم
 لو أنها بفناء البيت سانحة
 لصوتها ^{الصدى} وابتدعت الصيد في الحرم
 قدرت منها بلا رقيب ولا حذر
 على الذي نام عن ليلي ولم أنم
 بتنا ضجعين في ثوب هوى وتقى
 يلفنا الشوق من فرع إلى قدم
 وأمسد الريح كالخيري تجاذبنا
 على الكتيب فضول الربط واللمم
 ...

ومات بارق ذاك الثغر يوضح لي
 مواقع اللثم في داج من الظلم

وبينا عفة بايحتها بيدي
على الوفاء بها والرعي للذمم
يولج ^{الطل} الكليل بردينا وقد نسمت
روحة الفجر بين الضال والسلم
وأكرم الصبح عنها وهي غائبة
حتى تكلم عصفور على علم
فمت أنفص برداً ما تعلقه
غير الحفاف وراء الغيب والكرم
والمستني وقد جدّ الوداع بنا
كفا تشير بقضبان من العنم
والتمنى ثمرًا ما عدلت به
أري الجنى بينات الوابل الرنم
ثم اثنيينا وقد رابت ظواهرنا
وفي بواطننا بعد من التهم
يا هذا كمه بالرميل ثانية
ووقفه ببيوت الحى من أمم
وحذا نهلة من فيك باردة
يمدي على حو قلبي بردها بنفسي
دين عليك فان تقضيه أحي به
وان أبيت تقاضينا الى حكم
عجت من باخل عني بريقه
وقد بذلت له دون الأنام دمي
ما ساعفني الليالى بمد بينهم
الا بكيت ليالينا بذى سلم

ولا استجد فؤادي في الزمان هوى
الا ذكرت هوى أيا من القدم
لا تطلبن لي الابدال بعدهم
فان قلبي لا يرضى بغيرهم
...

وهناك نقطة خلاف بين الشريفين الرضى والمرضى ، فالأول لم يترك مناسبة الا وكتب فيها للطائع ، تودد ، تهنئة ، عتاب ، مدح ، بكاء ، رثاء ، وكذلك كتب له العديد من القصائد ، أما الشريف المرضى فلم يكتب للطائع الا قصيدتين فقط يمدحه فيها ، فلم ييكه المرضى حين خلق الطائع ولم يرثه حين وفاته ، وربما كان الرضى في هذا الصدد أشجع من أخيه وأقوى وأوضح رأيا ، وقد يكون من أهم أسباب العلاقة بين الرضى والطائع أن الصداقة كانت من رجل علوى لرجل عباسى يرى الأول أن الثانى قد أخذ منه حقه وكان جل همه أن يستعيد منه ، ولكن الشريف المرضى لم يكن ينظر الى الخلافة أو الى مثل هذه الأمور لزهده فيها .

ومدح الشريف الرضى الخليفة الطائع لله العباسى فى أكثر من قصيدة نذكر من مدائحه له هذه القصيدة لتكون بجانب شعر أخيه الشريف المرضى فى مدح الطائع .

يقول الشريف الرضى فى مدح الطائع لله (١) :

جزاءُ أمير المؤمنين ثنائى
على نعم ما تنقضى وعطاء
اقام الليالى عن بقايا فريستى
ولم يبق منها اليوم غير ذماء (٢)

(١) الديوان : ج ١ ص ٥ الى ٨ .

(٢) الذماء بالفتح بقية الروح .

وأدنى اقاصي جاهه لوسائلني
 وشده اواخى جوده برجائي (١)
 وعلمني كيف الطلوع الى العلى
 وكيف نميم المرء بعد شقاء
 وكيف ارد الدهر عن حدثانه
 والقي صدور الخيل اى لقاء
 فما لي اغضي عن مطالب جمّة
 واعلم اني عرضة لفتاء
 واترك سمر الخط ظمأى خلية
 وشرقنا ما كن غير رواء
 اذا ما جررت الرمح لم يشنني أب
 يلح ولا ام تصيح ورائي (٢)
 وشيعني قلب اذا ما امرته
 اطاع بعزم لا يـروغ ورائي
 ارى الناس يهرون الخلاص من الردى
 وتكلمة المخلوق طول غناء
 ويستقبحون القتل والقتل راحة
 واتعب ميت من يموت بـداء
 فلست ابن ام الخيل ان لم اعد بها
 عوابس تأبى الضيم مثل ابائي
 وارجمها مفجوعة بحجولها
 اذا انتعلت من مأزق بدماء (٣)

-
- (١) الأخواخى العرى •
 (٢) يلح من ألح بثوبه اشار به •
 (٣) المأذق المضيق الذي يقتتلون به •

الى حي من كان الامام عدوه
وصبحه من أمره بقضاء
هو الليث لا مستنهض عن فريسة
ولا راجع عن فرصة لحياء
ولا عزمه فى فعله بمذل
ولا مشيه فى فتكه بضراء (١)
هو النابه النيران فى كل ظلمة
ومجرى دماء الكوم كل مساء (٢)
ومحلى حنين القوس فى كل غارة
بسهم نضال او بسهم غلاء (٣)
فخاراً لو أن النجم اعطى مثله
ترفع ان ياوى اديم مساء
ووجه لو أن البدر يحمل شبهه
اضاء الليالى من سنى وسناء
مفارس طالت فى ربي المجد والتقت
على انبياء الله والخفاء
وكم صاخ ناداك لما تلبيت
به السر فى يوم بغير ذكاء (٤)

-
- (١) الضراء بالفتح المشى مستخفياً فيما يواريه من الشجر .
(٢) الكوم جمع كوما وهى الناقة المظيمة .
(٣) الغلاء البعيد المرى .
(٤) تلبيت وقمت بلهنة وذكاء الشمس .

- رددت عليه النفس والشمس فانثنى
 بانعم روح في اعم ضياء
 وكم صدر موتور تطلّح غظه
 (١) وقلب ثولا عن لسان مسرّاء
 يغطي على اصفانه بنفاقه
 (٢) كذي المقر غطى ظهره بكفاء
 كررت عليه الحلم حتى قتلته
 بغير طعان في الوغى ورماء
 اذا حمل الناس اللواء علامة
 كهاك مشار النقع كل لواء
 وجيش مضر بالفلالة كانه
 (٣) رقاب سيول أو متون نهـاء
 كان الرى زرت عليه جيوسها
 (٤) وردنه من بوغائها برداء
 وخيل تغالى في السروج كانها
 (٥) صدور عوال او قداح سـراء
 لها السبق في الضمات والسبق وخدها
 (٦) اذا غطيت من نغمها بغطاء

-
- (١) الموتور الذى قتل له قتيل ولم يأخذ بدمه .
 (٢) المقر الجرح والكفاء الستر .
 (٣) الهاء جمع نهى وهو الخدير .
 (٤) البوغاء التربة الرخوة .
 (٥) تغالى تتسرع وترتفع والسراء بالفتح شجر تتخذ منه القس .
 (٦) الضمات جمع ضمة وهى حلبة الرهان والخوخد ضرب من السير والنقع الفبار .

وليس فتى من يدعي اليأس وحده
إذا لم يَمُودَ بأسه بسخاء
وما أنت بالمبخوس حَظاً من الملقى
ولا قانعاً من عيشه بكفاء
نصيبك من ذا العيد مثلك واقـر
وسعدك فيه مؤذن "ببقاء"
ولو كان كل آخذاً قدر نفسه
لكانت لك الدنيا بغير مرا
وما هذه الاعياد الا كواكب
تفور وتوليننا قليل ثـواء (١)
فخذ من سرور ما استطعت وقزبه
فللناس قسماً شدة ورخاء
وبادر الى اللذات فالدهر مـولع
بتنغيص عيش واصطلام عـلاء (٢)
ابشك من ودي بغير تـكـلف
وارضيك من نصحي بغير رياء
واذكر ما اوليتني من صنيمـة
فاصفيك رهني طاعة ووفاء
أعني على دهر رمانى بصرفه
ورد عناني وهو في الفـلـواء (٣)

-
- (١) الثواء الإقامة .
(٢) الاصطلام الاستئصال .
(٣) الفلواء بضم الفين وفتح اللام أول الشباب .

- وخلاني عن اعد بعاده
 (١) سقامي ومن قربي اليه شفاي
 فقدت وفي فقد الاحبة غربة
 وهجران من احببت اعظم داء
 فلا تطمعن يا دهر في فانه
 ملاذي مما راعيني ووقائي
 ارد به ايدي الاعادي وانقي^{لصري}
 نوافذ شتى من اذى وبلاء
 الذ بقلبي من مناي تقممي
 (٢) واحسن عندي من غاي غائي
 ومن كان ذا نفس تطيح قنوعة
 (٣) رض بقليل من كثير ثراء
 حدوا بالمطايا يوم جالت غروضها
 (٤) ويوم اتقت ركبانهما برغاء
 توءمك لا تلوي على كل روضة
 (٥) يصيح بها حودانها واضاء
 ولا تشرب الامواه الاتملية
 اذا عثرت اخفافهن بماء

-
- (١) خلاني حبسني .
 (٢) الفناء الاكتفاء .
 (٣) الثراء الفنى .
 (٤) غروضها حزومها والرخاء صوت ذوات الخف .
 (٥) يصيح بطول وحودانها نباتها والاضاء معطوف على روضة جمع اضاءة وهى المستنقع من السيل .

لها سائق يطفى عليها بسوطه
ويشددو على آثارها بحداء
غلام كاشلاء اللجام تجيزه
صدور القنا والبيض كل قضاء (١)
إذا بلغت ناديك نال رفاقها
عريض عطاء من طويل ثناء
ومثلك من يمشى الى ضوء ناره
ويلقى قراء عند كل خباء
وما كل فعال الندى بشبائه
ولا كل طلاب العلى بسواء

...

ومدح الشريف المرتضى الخليفة العباس الطائع لله في قصيدتين ،
سنقتصر على ذكر بعض أبيات من القصيدة الأولى ، وسنذكر القصيدة الثانية
كلها لتكون بجوار قصيدة أخيه الشريف السالقة الذكر .

أما القصيدة الأولى في مدح الطائع لله يقول المرتضى في مطلعها (٢) :
لك ما تراماه لحِياظُ الناظرِ
وإليك مرجع كل مدحٍ سائرِ

(١) اشلاء اللجام سيوره .

(٢) الديوان : ج ٢ ص ٦٥ ، ٦٦ .

- وأراك أفضل من تعاور فضله
 إخفاء مخفي أو إشادة ذاكر^(١)
 هذى الخلافة مذ ملأت سيرها
 في بردة الزمن الأنيق الناصر
 سكنت إليك وأكبت لكفيها
 وهي القصبة عن رجاء الخاطر^(٢)
 غادرت مستامها في غيركم
 نهبا حصيد أسنة وبوانر
 وإذا انتع شرف إلى أعقابها
 أغناك أول سودد عن آخر
 ضمنت همومك كل خطب مؤثد^(٣)
 وأقام عدلك كل رأي جائر^(٤)
 ونأى بمجدك عن "تقبل ماجد"
 كرم "يرج بالغمام الماطر"^(٥)
 ومواطن لك لا تقل مزندا
 صهوات جرد أو ظهور منابر^(٥)
 خبت الزمان فمذ غمرت فناء
 أضحى سلوك مناقب وآثر^(٦)

-
- (١) تعاور : تداول وتماطى . (٢) أكبت : قريت .
 (٣) المؤثد : المثلث .
 (٤) في "ش" "ثقیل" بدل "تقبل" مصحفة ، ولعل "ماجد" مصحفة عن "جامد" .
 (٥) مزندا : مالنا .
 (٦) الفناء (بكسر الفاء) : الساحة .

وقال الشريف المرتضى في القصيدة الثانية يمدح فيها الطائع لله (١) :

ما الحبُّ إلاَّ مؤمِّلُ المتعلِّلِ
وبراعةُ اللاحي وطولُ العُدِّلِ
خَدَعٌ إِذَا أَصْطَلَّتِ النَّفُوسُ بِنَارِهَا
لَمْ تَبْقَ فِيهَا مُسَكَّةُ الْمُتَجَمِّلِ
عُدٌّ بِالسُّلُوفِ عَلَى الْفَرَامِ فَإِنَّهُ
أَمَدُ الْمَشُوقِ وَغَزَّةُ الْمُتَذَلِّلِ
لِلَّهِ قَلْبٌ مَا أَطْمَأَنَّ بِهِ الْهَوَى
إِلَّا تَلُومٌ مُزْمِعٌ مُتَحَمِّلِ
لَا تَحْسِبَنَّ وَدَى لَأَوَّلِ رَاغِبٍ
طَوَعَ الْعَمِيونَ وَنَهَزَةَ الْمُتَعَجِّلِ (١)
فَلَطَالَمَا أَعْرَضْتُ عَنْ وَجْهِ الْهَوَى
وَتَنَيْتُ عَنْ جِهَةِ الْغَوَانِي كُلِّكِي (٢)
أَمَّا وَقَدْ صَبَغَ الْمَشِيبُ ذَوَائِبِي
لِلنَّاطِرِينَ فَلَاتَ حِينَ تَفْزِلُ (٣)
وَأَزَالَ مِنْ خَطَرِ الْمَشِيبِ تَوَجُّعِي
عَلَى بَأْنِ لَيْسَ الشَّيَابُ بِمَعْقِلِي
فَلَتُنْ جَزَعْتُ فَكُلُّ شَيْءٍ مُجْزَعِي
وَلَتُنْ أَمَنْتُ فَشَيْمَةُ الْمُسْتَرْسِلِ

(١)

الفناء

- (١) الديوان ح ٣ ص ٨٧ : ٩٢ .
(١) النهزة (بالضم) : الفرصة يقال فلان نهزة المختلس : أى صيد لكل واحد .
(٢) الكلل : الصدر .
(٣) لات : بمعنى ليس .

حَسْبُ الْفَتَى ^{مِنْ} وَمَنْ يَقْرَبُ صَرْفَهُ
 مَا بَيْنَ كُلِّ إِقَامَةٍ وَتَرْحَلِ
 مَا "يَعْلَمُ" الْحَزَمَ إِنْ لَمْ يُرْدِهِ
 (١) ظَفَرُ الْمُقِيمِ وَخَيْبَةُ الْمُتَوَغِّلِ
 جَهْدُ "الْعَلِيمِ" كَمْفُو آخِرِ جَاهِلِ
 (٢) وَالتَّجَحُّ لِلسَّاعَى لَهُ وَالْمُؤْتَلَى
 حَتَّى مَ تَأْنَسُ بِالْحَوَادِثِ هَمَّتِي؟
 (٣) وَالْدَّهْرُ يُوَحِّشُ "ظَنَّةً" التَّأَمُّلِ
 أَلْقَى عَلَى الْأَيَّامِ وَطَاءَ حَازِمِ
 مُتَكَشِّفِ الْأَعْضَاءِ خَافِيَ الْمُقْتَلِ
 وَمَتَى قَدَرْتُ "عَلَى" الزَّمَانَ بِسُطُورَةٍ
 (٤) فَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَوَكَّلْنِي
 بِالطَّائِعِ أَطَادَتْ مَذَاهِبُ أُمَّةٍ
 (٥) فَوْضَى عَلَى سُنَنِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
 نَالَ الْخِلَافَةَ وَهِيَ أَبْعَدُ مَرْتَقَى
 وَأَقَامَ فِيهَا وَهِيَ أَكْرَمُ مَنْزِلِ
 كَلَّمْتُ أَدَاةَ الْمَجْدِ فِيهِ وَرَمَّمَا
 كَلَّمْتُ رِيَاسَةَ مُخْدَجٍ لَمْ يَكْمُلِ

الفتى

هذه
البيت

- (١) في (س) "يقول" بدل "يعلم" والظاهر تصحيفها، والمتوغل في البلاد :
 البعد فيها .
 (٢) في (هـ) "الأيام" محرفة عن "العليم" والموتلى : المقصر، ومنه ما ألو
 جهدا : أى ما قصرت .
 (٣) في (هـ) "ظلة" بدل "ظنة" .
 (٤) في (س) "من" بدل "على" .
 (٥) أطادت : ثبتت ، والسنن بفتحيتين : الطريق ، وبالضم جمع السنة وهو
 السيرة . (٦) المخدج : المولود قبل تمامه .

- شِيمٌ تَبْلُجُ لِلْعَيُونِ وَتَتَشْنَى
 طُرُقَاتُهَا تَدْجُو عَلَى الْمُتَقَيِّلِ (١)
 مِثَاوُ الطَّعْمِينَ أَرَى فِي فَمِ الْ
 مَافِي وَلِلْبَاغِي نَقِيحُ الْحَنْظَلِ (٢)
 كَرَمٌ تَبَوَّأَ فِي ظِلَالِ شِرَاسَةِ
 كَلْمَاءٍ يَرْتَحِفُ فِي فَقَارِ الْمُنْصَلِ (٣)
 وَإِذَا تَسَرَّعَ فِي بَدَايَةِ عَزْمِهِ
 أَخْزَى بِهِنَ رَوِيَّةِ التَّمَهِّلِ
 مَاضٍ كَحَدِّ السَّيْفِ إِلَّا أَنَّهُ
 لَمْ تَتَّخِ جُرْأَتَهُ جَزَالَةً "مَفْضِل" (٤)
 إِنْ هَمْ لَمْ تَعْقِ الْهُوَيْنَى لَهُمَّ
 كَالسَّيْلِ يُلْحِقُ مَحْزَنًا بِالْمُسْهَلِ
 وَكَلُوا إِلَيْهِ عُرَا الْأُمُورِ وَإِنَّمَا
 وَكَلُوا السَّمَاحَ إِلَى الْخَمَامِ الْمُسْبِلِ
 عَاذُوا بِمَنْخَرِقِ الْيَمِينِ مَضَاوِ
 يَكْفَى "الْمُفَاةُ" ذَرِيعَةُ الْمُتَوَسَّلِ (٥)

-
- (١) تبليج : تبليج أى تضى ، وتدجو : تظلم ، والمتقيل : متبع الأثر .
 (٢) الأرى : العسل ، والمافى : طالب المعروف .
 (٣) المنصل (بضم الأول والثالث) : السيف .
 (٤) فى (س) "مفضل" صحيفة عن "مفضل" .
 (٥) المفاة : جمع المافى ، وفى (هـ) "العزمه" ولعلها محرقة عن
 "الغريم" وهو الطدين .

فَإِذَا سَرَوْا فَسْنَاهُ أَشْرَقُ كَوْكَبٍ
 وَإِذَا صَدَّوْا فَنَدَاهُ أَعَذِبُ مِنْهَلٍ (١)
 غَيْرَانُ يَدْفَعُ عَنْ قَرَارَةِ دِينِهِمْ
 دَفَعَ الْأَسْوَدُ عَنِ الْعَرِينِ الْمُشْبِيلِ
 مُتَسَرِّعٌ لِلطَّالِبِينَ إِلَى الْجَدِّ
 ثَبَّتَ الْمَقَامَةَ فِي الْمَقَامِ الْأَهْوَلِ
 وَإِذَا سَأَلَتْ فَلَمْ تُغَالِ وَلَمْ تُخَبِّ
 وَإِنْ اشْتَطَطَتْ (أَخَذَتْ) مَا لَمْ تَسْأَلِ (٢)
 نَأَتْ الظُّنُونُ فَلَيْسَ يَهْجَسُ لِأَمْرِي
 فَطِنَ مِنَ الْمَعْرُوفِ مَا لَمْ يَفْعَلِ
 وَإِذَا تَزَاوَعَتِ الْهَمُومُ بِصَدْرِهِ
 جَلَّى غِيَابَتِهَا بِهَمَّةٍ فَيَصِلُ
 قَلْبُ الْبَصِيرَةِ إِنْ سَرَتْ أَفْكَارُهُ
 ظَفَرَتْ بِمَا خَلْفَ الْقَضَاءِ الْمُسَدِّلِ (٣)
 سَامَى "الْبَنِيَّةُ" فِي الْمَكَارِمِ أَسْكَنْتْ
 مِنْهُ الْخِلَافَةَ فِي مَعْمٍ مُخَوَّلِ (٤)
 كَمْ قَدْ تَجَاذَبَهَا الرِّجَالُ فَلَمْ تَنْخُ
 إِلَّا عَلَى الْبَيْتِ الْأَعَزِّ الْأَطْوَلِ

ع. العلي

- (١) صدوا : عطشوا .
 (٢) لم تغال : من المغالاة وهي المبالغة ، ومعنى البيت أنك مهما سألتهم وطلبت منهم أجيبك طلبتك ولم يخب مطلبك ولم تكن من المغالين فسي سوءالك ، وإن اشتطت : أى بالفت وأبعدت في السؤال ، أخذته وما لم تسأله أيضا ، وكلمة "أخذت" — ساقطة من الأصول أضفناها لاقتضاء المقام والوزن لها وفي (س) قبل وإن اشتطت "كلا" ، ولا معنى لها .
 (٣) المسدل : المستور . (٤) في (ص) "البنية" تحريف "البنية" .

- لَبَّتْ نَدَاءَكُمْ وَكَمْ مِنْ هَاتِفٍ
 (١) مَا سَوَّغَتْهُ إِصَاخَةُ الْمُتَقَبِّلِ
 أَفْضَتْ إِلَى الْكَفِّ الْخَصِيبِ فَطَالَمَا
 (٢) كَانَتْ تَقْلُبُ فِي الْخَبَارِ الْمُحِلِّ
 لَمْ تَلْتَمِ بِأَهْلَكُمْ حَتَّى رَأَتْ
 (٣) تَصْدِيعَكُمْ فِيهَا رَوْسَ الزُّمْلِ
 يَفْدِيكَ مَنْ " شَرَقَتْ " بِمَجْدِكَ نَفْسُهُ
 (٤) شَوْقَ الْمَذَانِبِ بِالْخَوَادِي الْمُهْطِلِ
 رَوَيْتَ بِفَيْضِ نَوَالِكَ الْخِطْلِ النَّدَى
 (٥) " قَتَبَوَتْ " فِي يَشْرِكَ الْمُتَهَلِّلِ
 وَلَقَدْ بَلَّوْكَ عَلَى الزَّمَانِ فَصَادَفُوا
 (٦) غَضَبًا غَنِيًّا عَنْ يَمِينِ الصَّيْقَلِ
 لَا يَبْعُدُ اللَّهُ اِتِّصَالَكَ لِلْعِدَا
 (٧) عَجَلًا تَدْهِيهِ جَحْفَلًا فِي جَحْفَلِ
 مُتَوَقِّدًا فِي هَبْوَتِي ذَاكَ الدَّجَلِ
 (٨) مُتَهَجِّمًا فِي ضَيْقِ ذَاكَ الدَّخَلِ

-
- (١) الإصاخة : الاستماع والإصغاء والمتقبل : من الاقتبال ، واقتبل الكلام : ارتجله . (٢) الخبار (بالفتح) : الان من الأرض .
 (٣) الزمل (كسكر) والأزميل : هي الحديدة في طرف الرمح لصيد البقر ، ومن الرجال : الشديد .
 (٤) شرقت : غشت ، وفي (شر) " شرفت " مصحفة ، والمذانب : جمع المذنب وهو مسيل الماء في الحضيض ، والخوادي : السحب .
 (٥) تبوعت : سالت وفاضت ، وفي (س) " نوات " محرقة .
 (٦) الصيقل صانع السيوف . (٧) تدهده : تدحرج ، والجحفل : الجيش .
 (٨) الهبوة : الغبار .

- إِنْ لَا جَرَىءَ الْبَاسِ إِلَّا مُحْجَمٌ
 حَيْرَانٌ يَخِيطُ حَبِيرَةً "بِتَأْمَلِ" (١)
 وَالْخَيْلُ قَدْ غَسَى النَجِيعَ حُجُولَهَا
 حَتَّى لِأَشْكَلَ مُطْلَقٌ بِمُحْجَلٍ (٢)
 وَلَكَمْ رَمِيتَ أَخَا مَرْوَقٍ هَزَّهَ
 أَشْرُ الْجِمَاحِ بِعِزْمَةٍ كَالْمِسْحَلِ (٣)
 لَا تَسْتَقِلَّ بِمَا ضَفَيْتَهُ فَتَنْكَفِى
 أَلَا وَغَارَ بِهِ ضَجِيعَ الْجَنْدَلِ (٤)
 أُمْسَاوِرِي الْأَضْفَانِ هَلْ مِنْ غَايَةٍ
 مَا طَالَهَا ؟ أَمْ فَاضِلٍ لَمْ يَفْضُلِ ؟ (٥)
 "لَا تُخْرِجُوهُ" بِالْمَقْوِقِ فَتَأْخِذُوا
 مِنْ سَخَطِهِ بِزِمَامِ أَمْرِ مَعْضَلٍ (٦)
 مَلَأَكُمْ الْبَالَ الرَّخَى وَكَبِتُمْ
 ثَاوِينَ بَيْنَ "تَلْدٍ" وَتَقْلُقِلٍ (٧)

-
- (١) فِي (ش) "تَأْسَلُ" تَصْحِيفُ "بِتَأْمَلِ" .
 (٢) غَسَى : مَحَى ، وَالتَّحْجِيلُ : بَيَاضُ فِي قَوَائِمِ الْفَرَسِ .
 (٣) الْمَرْوَقُ : الْخُرُوجُ عَنِ الطَّاعَةِ وَغَيْرِهَا ، وَالْأَشْرُ : الْبَطَرُ ، وَالْمِسْحَلُ : كَالْمَنْحَتِ
 وَالْمِبْرَدِ زَنْةٌ وَمَعْنَى .
 (٤) الْمَاضِغُ : الْفَكَ ، وَالْفَارِبُ : أَعْلَى الظَّهْرِ ، وَالْجَنْدَلُ : الصَّخْرُ .
 (٥) الْمَسَاوِرُ : الْمَخَالِطُ وَالْمَمَازِجُ ، وَالْأَضْفَانُ : الْأَحْقَادُ .
 (٦) فِي (هـ) "لَا تُخْرِجُوهُ" تَصْحِيفُ "وَلَا تُخْرِجُوهُ" .
 (٧) التَّلْدُ : التَّلَفْتُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، وَفِي (س) "تَرْدُدُ" تَحْرِيفُ .

- "أطفأكم" "خَفَضُ الأُنَاةِ ودونها
- (١) نَقَمَ تعدل "جَانِبَ" الْمُتَزَيِّلِ
- ما غَرَّكُمْ إِلَّا تَفَاضَى خَادِرٍ
- (٢) مَتَقَيِّظُ المَزْمَاتِ عَادَى الأَنْصُلِ
- إِنْ يَغْتَفِرَ لَا يَنْتَقِمُ أَوْ يَنْتَقِمُ
- (٣) لَا يَصْطَلِمُ أَوْ يَصْطَلِمُ لَا يَنْكُلِ
- خَلَوْا السَّبِيلَ لَشَمْسٍ كُلِّ دُجْنَةٍ
- (٤) كَفَّتْ وَمُوضِحِ كُلِّ خُطْبٍ مُشْكِلِ
- يَا كَالِيَّ الإِسْلَامِ مَن رَامَهُ
- وَمَقِيمِ أَحْكَامِ الْكِتَابِ الْمُتَزَلِّ
- أَقْصَى مَرَادَى أَنْ أَرَاكَ وَإِنَّهَا
- أُمْنِيَّةٌ حَسْبِي بِهَا لَمُؤْمِّلِ
- تَسَاقُطُ الْحَاجَاتِ عِنْدَ بُلُوغِهَا
- عَنْ كُلِّ قَلْبٍ بِالْعَلَاءِ مُوَكَّلِ
- هَلْ لِي إِلَى الْوَجْهِ الْمَحْجَبِ نَظْرَةٌ
- تَرَى "بَصِيَّتِي" فَوْقَ ظَهْرِ الشَّمَالِ ؟ (٥)

-
- (١) فَي (هـ) "آتَاكُمْ" بَدَلَ "أَطْفَأَكُمْ"، وَالْأُنَاةُ : الْحِلْمُ وَالرَّفْقُ، وَالْمُتَزَيِّلُ :
الْمُنْحَرِفُ، وَفِي (هـ) "جَامِلٌ" تَحْرِيفٌ "جَانِبٌ".
- (٢) الْخَادِرُ : الْأَسَدُ . (٣) يَصْطَلِمُ : يَسْتَأْصِلُ .
- (٤) الدُّجْنَةُ : الظَّلَامُ، وَفِي (هـ) "كَفَّتْ" بَدَلَ "كَفَّتْ".
- (٥) فِي (هـ) "بَضِيقٌ" مُحَرَّفَةٌ عَنْ "بَصِيْنِي".

- أَجْلُو بِهَا صَدَا الشُّكُوكِ إِذَا اعْتَرَتْ
 دُونِي وَأَسْكَنْ ظِلِّهَا فِي الْحَفِيلِ
 أَتْنِي وَمَا هَذَا الثَّنَاءُ لِمَجْتَدِي
 فَلَذَاكَ أَبْعِدْ عَنْ مَقَالِ الْمُبْطِلِ (١)
 لَا دَرَّ دَرُّ الْإِنْتِجَاعِ فَإِنَّهُ
 دَنَسٌ لثَوْبِ الْمُعْتَفِي وَالْمُفْضِلِ (٢)
 هِيَهَات يَبْلُغُكَ الْمَدِيحُ وَإِنَّمَا
 أَحْظَى بِفَضْلِ الْجَاهِلِ الْمُتَغَلِّلِ
 أَسْلَفْتَنِي النِّعْمَاءَ فِي أَهْلِ مَعَا
 فَمَتَى يَنْوُءُ بِعَبْرٍ حَقَّكَ مَقُولِي؟ (٣)
 وَمَدَدَتْ مِنْ ضَبَعِي أَبِي فَرَكْتُهُ
 يُزْرَى بِمَنْزِلَةِ السَّمَاءِ الْأَعَزَلِ (٤)
 أَوْطَأَتْ قَلَّلَ الْعُدَاةِ وَإِنْهِيَهَا
 قَلَّلَ مَوْهَلَةً لَوْحِ الْأَرْجَلِ (٥)
 لَمَّا اسْتَطَارَ الْبُخْيُ فِي آثَانِهِمْ
 وَتَنَكَّبُوا سَنَنِ السَّبِيلِ الْأَمْثِلِ
 أَمْطَرْتَهُمْ غُلُوءًا بِأَسْرِ رَدَاهِمِ
 يَتَدَارِسُونَ بِلَاغَةَ الْمُتَصِّلِ (٦)

المدر

-
- (١) المجتدي : طالب الجدا وهو العطاء .
 (٢) الانتجاع : طلب المعروف ، والمعنى والعافى : طالب المعروف .
 (٣) المقول : اللسان .
 (٤) الضبع : العضد ، والسماك الأعزل : نجم .
 (٥) القلل : الروءوس ، والعداء : الأعداء .
 (٦) غلواء البأس : القدر المتجاوز منه الشديد ، والمتصل : المتبرى .

لم يَخْنِ إِنْ دَبَّوا بِعَذْرِ بَعْدَهَا
رَكَبُوا بِذُنُوبِهِمْ قَوَادِمَ أَجْدَلٍ (١)
لَا زِلَّ تَسْتَقْضَى الدَّهْورَ مُحْكَمًا
فِي النَّائِبَاتِ مَنِيعَ ظَهْرِ الْمَعْقِلِ
...

موازنة بين الشريطين في المعاني والألفاظ والتصوير :
~~~~~

سأعرض موازنة بين الشاعرين في هاتين القصيدتين من حيث المعنى والأسلوب والتصوير لنحدد السمات والخصائص الفنية عندهما وهى بالتالى هى الخصائص التى يتصف بها شعر الشاعرين ومن خلال هذه الموازنة يتميز شعر احدهما على الآخر فأما من حيث المعانى فقد مدح الشريفان الطائعين لله لكن قصيدة المرتضى هنا تقرب من ضعف قصيدة أخيه .

وهذا يدل على تمكن المرتضى من ناصية اللغة وقدرته على المدح وسعة بابه فى قرض الشعر .

ويدل أيضا على أن المرتضى يدرك تماما معانى المدح كلها ولا يترك منها شيئا حين يمدح .

فقد اشتملت قصيدته على هذه المعانى :

- |         |                                          |
|---------|------------------------------------------|
| أولا :  | الكتاب .                                 |
| ثانيا : | جدارة الطائع لله بالخلافة والحكم .       |
| ثالثا : | شجاعته وجراته .                          |
| رابعا : | سماحته وجوده .                           |
| خامسا : | حمايته للطالبيين والعلويين وتشجيعه لهم . |

---

(١) القوادم : الريشات المتقدمة فى جناح الطائر ، والأجدل : الصقر .

- سادسا : حزنه •  
 سابعا : قوة العزيمة وعلو الهمة •  
 ثامنا : ذكاؤه وسعة معرفته •  
 تاسعا : عود لسماحته وجوده مرة ثانية •  
 عاشرا : عود لشجاعته مرة ثانية •  
 الحادى عشر : أن الشاعر افتخر فى النهاية بنفسه وبأسرته من خلال مدحه للخليفة الذى أحل أسرة المرتضى مكانا عزيزا •

بينما الشريف الرضى اقتصر على بعض المعانى فى المدح لأنه اسرف فى الافتخار بنفسه حتى نسي أنه يمدح الخليفة واقتصر على هذه المعانى :

- أولا : الشجاعة •  
 ثانيا : التهنية بالعيد •  
 ثالثا : السماحة والكرم •

وتحققت الوحدة الموضوعية فى القصيدتين على السواء فالقصيدة قامت على موضوع واحد وهو المدح وان تخللها فخر الشاعر بنفسه وهو مدح أيضا لنفس الشاعر ، لكن الفخر كان من خلال مدح الخليفة العباسى وهما من أسرة واحدة من حيث النسب وأسرتهما تستحق الخلافة والحكم •

والدليل على ذلك أنك لو نقلت بيتا مكان بيت لما اختلفت الفكرة ففى القصيدة وكذلك لو اسقطت بيتا لما أفسد ذلك نسق القصيدة •

وأما من حيث صدق العاطفة فقد كانت قصيدة المرتضى أصدق عاطفة وأشد حرارة من قصيدة أخيه ويظهر ذلك من مطلعها حيث يدفع العتاب صاحبه

الى الصدق فى القول والى حرارة المشاعر ودقة الاحساس يقول المرتضى :

ما الحب الا موئل المتعلل  
وبراعة اللاحى وطول المـذل

ويدعم هذا الصدق أيضا طول النفس عند المرتضى ، وتلك القافية  
القوية بالتشديد وباللام وبالخلو من حروف اللين وهذه القوة تتناسب مع  
مقام المدح والفخر .

بينما كانت درجة الصدق أقل بكثير فى قصيدة الرضى ألا ترى أن  
المطلع باهت مجرد من الديباجة القوية التى تشد القارئ الى القصيدة وفاتر  
الحرارة والم عاطفة يقول الرضى فيه :

جزاء أمير المؤمنين ثنائى

على نعم ما تنقضى وعطاء

ولهذا الفتور قصر نفس الشاعر فى القصيدة وغابت عنه معانى المدح  
الذى ينبغى ألا يفقلها ثم تلك القافية التى اتسمت بالرخاوة واللين وخفة  
الحروف بما لا يتناسب مع القوة والفخامة فى المدح والفخر .

وحديث الألفاظ والاساليب والخيال والصور تابع للصدق فى العاطفة  
ومعاناة التجربة فاذا كان الشاعر صادقا فى تجربته ملتهب العاطفة دفع  
ذلك الى أن يصب هذه الشحنة فى قوالب القصيدة من الألفاظ والاساليب  
والتراكيب والصور والموسيقى فيتحول اللفظ الذى يدل على معنى فى اللغة الى  
رمز شعري يستوحى منه القارئ المعانى الشعرية الكثيرة التى أفرغها الشاعر فيه  
وكذلك الاسلوب ثم ترى صور الخيال قد تحركت فى القصيدة ونهض فيها حس

الشاعر وشعوره وأصبحت غنية بالأضواء والظلال والألوان والحركة والشمول وهذا ما نشعر به من خلال الفاظه وتراكيبه وصوره ، فترى اللفظ عنده على قربه من النفس ، وانفتاحه بالمعنى على القارىء بدون استئذان ومن غير تأمل أو روية ، فلا يحتاج فى كشف معناه الى قاموس لغوى بل يقف على معناه بمجرد سماعه أو قراءته وترى الأسلوب والتراكيب مع احكامهم وورصاتهم ومثانة نسقها وروعته داني المعنى قريب المفزى لا يحتاج الى طول تأمل أو عمق تفكير .

لكن الالفاظ والتراكيب هذه غنية بالخواطر الشعرية والايحاءات الشعرية ، والخيالات البعيدة والصورة النابضة المتحركة الغنية بالألوان .  
بينما نجد اللفظ عند الرضى فخما قويا ضخما لكن لا حياة فيه ، ولا ينبض بشعور الشاعر الصادق نحو الخليفة الطائع فكأنه لفظ نقله من حقل اللغة الى قاموس اللغة لا قاموس الشعر .

وكذلك الأمر فى أساليبه وتراكيبه جاءت طبيعة اللفظ الخالى من العاطفة الصادقة والشعور المتدفق .

وأما الصور الخيالية فلم تخل منها القصيدتين ويسير فيها الشرفان على النمط التقليدى لشعراء المدرسة الكلاسيكية المعاصرة لهما والقديمة فلا نجد فى الصور ابتكارا ولا تجديدا ولا سمة تتميز بها عن صور وخيالات الشعراء فى العصر .

وحين ينتزع الرضى صوره التقليدية من خياله يقول :

وعلمنى كيف الطلوع الى العلى  
وكيف نعيم المرء بعد شقاء

ويقول :

هو الليث لا مستنهب عن فريسة  
ولا راجع عن فرصة لحياء

ويقول :

فخار لو أن النجم أعطى مثله  
ترفع أن يأوى أديم سما  
ووجه لو أن البدر يحمل شبهه  
أضاء الليالى من سنى وسنا  
مفارس طالت فى ربي المجد والتقت  
على أنبياء الله والخلفاء

ويقول :

وما هذه الأعياد الا كواكب  
تغور وتولينا قليل ثواء

وتغيرها من الصور التى جاءت فى القصيدة وفى شعره بصفة عامة .  
فالطائع علم الشاعر الصعود الى العلا . وأعانه على أنه يرتقى الى المجد  
والطائع كالأسد فى شجاعته لا تغلت من مخالفه الفريسة ، وظل يسمو فى المجد  
حتى طاول النجوم فى عليائها ، ووجهه مشرق كالبدريد ظلام الليل

فبيعت فيه الحياة وأعياده في الأرض لكثرتها ووفرة الحياة فيها وسموها  
كالنواكب المنثورة في السماء لا يستطيع أحد حصرها .

وهكذا نجد الرضى في صوره وخيالاته انتزعها من منبعها الأصيل  
من بحر الشعراء المحافظين على الأصالة العربية في الاستعارة والتشبيه  
والكناية وغيرها ، لكنها لا تخلو من رونق وسهاء العصر العباسي عصر الثقافة  
والثراء الفكري فهو كالليث لكنه غير مستهض .

وان كنت آخذ عليه هذه الصورة التي هبطت عن الشعراء الى كلام  
العامة لخلوها من صدق الشعور وهي ( الطلوع الى العلا ) فكلمة الطلوع  
مبتذلة سوقية وان تضمنت خيالاً .

وحين ينسج أخوه المرتضى صوره من خياله يقول في القصيدة التي  
معناها منها :

ماض كحد السيف الا أنه  
لم تثن جرأته جزالة مفصل  
ان هم لم تعق الهوينى همه  
كالسيل يلحق محزوناً بالمسهل  
وكلوا اليه عرا الأمور وانما  
وكلوا السباح الى الغمام المسيل  
ويقول :  
فاذا سروا فسناء أشرق كوكب  
واذا صدوا فنداء أعذب منهل

ويقول :

واذا تراحمتم الهموم بصدرة

جلى غيابتها بهمة فيصل

وغيرها من الصور التي جاءت على هذا النهج في القصيدة وفي شعره

بصفة عامة .

فالصور هنا أيضا استمدتها الشاعر من خياله العربي الأصيل الذي

يسير فيه على سنن الشعراء المحافظين لا المجددين في عصره وقبل

عصره .

فالطائع في حزمه كحد السيف وفي همته كالسيل وفي كرمه كالغمام

وهو مشرق في الأزمات والشدائد كالنوكب الذي يبدد الظلمات ، وهو

صلب قوى الشكيمة ماضى العزيمة لا يضعف أمام الهموم والأحزان بل

لا يفسح لها مكانا في نفسه ولا تجد لها موقعا في صدره ويردها عنه ردا فاصلا

وقاطعا .

صور خيالية من معدن صور الشعراء القدامى ومن سار على دربهم لكن

الشاعر نسجها من شعوره وصنعها من احساسه ، وأحيا فيها روحه . فهو كالسيف

في مضاء غزيمته للأمر لكن السيف ينفرد بالمفاصل وان هم بالكرم لا يثنيه شئ

عند الاقدام .

وأنه ما رغب في الخلافة ولكن الأمة هي التي توجهت السلطة لأنه كالغمام

في سماحته .

ثم ما أروع المقابلة بين الصورتين في صدر البيت الرابع وعجزه ، ان ~~الهموم~~

بهم خطب بددها بوجهه المشرق ، وان احتاجوا أشبعهم بجوده وسماحته

وما أروع الخيال في تراحم الهموم التي يجليها ولا يبقى لها أثرا .

صور أدبية رائعة نحس لها وقعا في نفوسنا ونبضا يتجاوب مع مشاعرنا لأن

الشاعر اهتز في المدح فتحركت مشاعره لتتسج هذه الصور في صدق يتسلل إلى

النفوس فيهنزها من أعماقها .

المكتبة  
القاهرة  
١٩٤٣

ولكانت صور المرتضى أقوى من حيث مخزونها الشعورى وما تفيض به من عاطفة صادقة قوية وهذا ما يجعل صور المرتضى أقوى وخياله أروع وأكثر حياة وأعذب روحا ، ومع ذلك فالتصيدتان فى ميزان النقد هما توأم لأخوين شقيقين فى النسب الى المدرسة الكلاسيكية المحافظة على عمود الشعر العربى التى تمتاز بالأصالة العربية فى قرض الشعر وأسلوبه وخيالاته وصوره وأوزانه وقوافيه وأغراضه وموضوعاته ، ولا يقدر فى هذا النسب ما تميز به المرتضى عن أخيه الرضى من خصائص فنية يسمو بها فى قصيدته هذه وان كان للرضى قصائد أخرى تفوق المرتضى فى مدحه هذا فى ميزان النقد الأدبى وقد حظى شعر الرضى بصفة عامة بالخطوة فى النقد وعند النقاد عن أخيه المرتضى ، وذلك لا يرجع الى ضعف فى شعر أخيه المرتضى ولكنه يرجع الى تسلط الاضواء على الرضى فى عصره حيث كان النقيب وحيث كان يصول الخلفاء العباسيين على الخلافة ويعلن أمام الناس بأنه هو الجدير بالخلافة والحكم ولذلك اشتهر بجرأته وبشعره بينما أخوه المرتضى اختفى عن الأضواء باهتمامه بالعلم والمعرفة ولذلك اشتهر بين عصره بالعلم .

ولما استقر الخليفة (القادر) فى دار الخلافة عام ٣٨١ هـ أنشد الشريف الرضى فى الحفل قصيدته المشهورة ، ومنها (١) :

شرف الخلافة يا بنى العباس  
اليوم جدد له أبو العباس

...

---

(١) الديوان : ٤١٢ ط بيروت .

### ديوان الشريف الرضى :

وهو ديوان ضخم حتى ان المرء ليستغرب ويملكه المجب ، كيف  
نظمه الشريف الرضى على قصر عمره الذى لا يتجاوز سبعا وأربعين سنه ،  
واننى اظن أن أبياته تزيد على " ١٨٠٠٠ " ثمانية عشر ألف بيت فى  
أغراض مختلفة أشهرها الفخر والمدح والفضل والثناء والشكوى والاخوانيات .  
وقد كان يجمع شعره فى حياته ، ومن مزايا شعره التى قل أن نجدها  
فى آخرين أن كثيرا من قصائده مؤرخ تاريخا دقيقا .

### أما عن شعر الشريف الرضى :

فمن أبرز ما اشتهر به الشريف الرضى حيا وميتا " الشعر " رغم  
مناصبه التى شغلها فى حياته القصيرة .

قال فيه صاحب اليتيمة<sup>(١)</sup> : أنه ابتداء يقول الشعر بعد أن جاوز  
العشر سنين بقليل . ويقول فيه أيضا<sup>(٢)</sup> : لو قلت أنه أشعر قريش لم  
أبعد عن الحق .

وفيه يقول الدكتور زكى مبارك<sup>(٣)</sup> : أنه أفحل شاعر عرفه اللغة  
العربية وأعظم شاعر تنسم هواء العراق ، وأنه كان شاعر القلب والعقل  
والذكاء ، وأنه شاعر الانسانية ينصح عما تمنى من شهوات وأهواء وآلام وأرزاء  
وأمان وآمال .

---

(١) اليتيمة ج ٣ / ١٣٦ .

(٢) اليتيمة ج ٢ / ١٣٦ .

(٣) عبقرية الشريف الرضى ح ١ / ١٥ .

وكان الشريف الرضى يشعر فى نفسه بمثل ما كان يشعر به النقاد  
والعلماء من قوة شاعريته ، ويشعر بهذا التفوق فيه على الآخرين فيأنف  
حينما ينسب الى الشعراء ، ويرى أنه فوقهم جميعا ، وفوق كل مرتبة  
للشعر فيقول (١) :

وما الشعر فخرى ولكنما  
أطول به همة الظاهر  
وانى وان كنت من أهله  
لتكرنى حرفة الشاعر  
...

ويقول فى قصيدة أخرى (٢) :

وما تولى الأشعار الا ذميمة  
الى أمل قد آن قود جنينه  
وانى اذا ما بلغ الله منيتى  
ضمنت له هجر القريض وحبه (٣)  
...

ويقول فى قصيدة أخرى (٤) :

مالك ترضى أن يقال شاعر  
بعدا لها من عدد النضائل  
كذاك ما أروق من أغصانه  
وطال من أعلامه الأطاول

---

(١) ديوان الرضى ج ١ / ٣١١ .

(٢) الديوان ج ١ / ١٠٨ .

(٣) الحوب : الاثم .

(٤) ديوان الرضى ج ٢ / ٦٤٦ .

فكم تكون ناظما وإثاءــــــــــــــــلا  
وانت غب القول غير فاعل

...

الا أننا نراه فى بعض الأبيات يضع نفسه من الشعراء ويجعل نفسه  
أشعرهم إذ يقول (١) :

كفك بأن عرضك مــــــــــــــــن  
طروق المار فى ذمى  
وذلك عصمة مــــــــــــــــنى  
بحبل غير منجذم (٢)  
وحسبك أن يفـل شبا  
هـجـوك أشعر الأمم (٣)

...

ويقالى فى ذلك الى أن يجد القوافى مسففة لو لم يكن لها قراء  
يقول (٤) :

وان قوافى الشعر مالم أكن لها  
مسففة فيها عتيق ومقــــــــرف (٥)  
أنا النارس الثاب فى صهواتها  
وكل مجيد جاء بحدى مردف

...

- 
- (١) الديوان ج ٢ / ٨٠٦ .  
(٢) منجذم : مقطوع .  
(٣) يفـل : يثلم أى يكسر حروفه ، والشباة : حد كل شىء .  
(٤) الديوان ج ٢ / ٥٢٧ .  
(٥) مسففة : لم يبالغ فى أحكامها ، والعتيق : الجواد الرائع ،  
والمقرف مايدانى الهجئة .

وديوانه يشتمل على كثير من هذا الزهو والخيلاء والاعجاب بشاعريته والتفاخر والتباهى بها وتهديد الخصوم فيها ، والاعتماد عليها في كبت الحساد والمن على الخلفاء والملوك والوزراء وغيرهم بمدحه لهم وهذا مرده فيما أعتقد الى نفسيته ونسبه واحساسه بمزاياه الفنية وقوة شاعريته التي يرى أنها أعلى من أن تجارى ، وهذه ظاهرة نفسية عند أصحاب المبقيات .

وأما عن العوامل المؤثرة في شعر الشريف الرضى فهي لا تختلف كثيرا عن تلك التي أثرت في شعر الشريف المرتضى ، مثل صفات الرضى النفسية حيث كانت نفسه لا يرضيها الا المطامح المالية ، وسجن والده ، وصلاته بالخلفاء والوزراء والسلاطين والأصدقاء والأعداء في حياته ، وأسرته الكريمة ، وإمارة الحج التي جعلته يقول " الحجازيات " المشهورة عنه ، وأيضا ثقافته الواسعة ، وظهور النزعة الشعرية <sup>(١)</sup> في شعر كثير من شعراء الفرس مما دفعه الى الرد عليهم وأيضا الافتخار بالعرب والعروبة والاسلام والمسلمين .

#### الأغراض الشعرية :

كتب الشريف الرضى — مثل أخيه الشريف المرتضى — في معظم أغراض الشعر المعروفة مثل المدح والخوانيات ، والفخر ، والوصف ، والاعتذار والشكوى ، والرثاء ، والغزل ، والزهد ، والحكم ، والأمثال .

ويدور لى من استمراض نماذج أشعارهما بديوانيهما أن الشريف المرتضى قد تفوق على الشريف الرضى في طيف الخيال ووصفه وفي الشيب وفي الزهد وفي الرثاء <sup>(٢)</sup> ، أما الرضى فقد تفوق عليه في الجرأة في المديح ، وفي حجازياته ، كما أن المرتضى لم يكتب هجاء يذكر .

(١) انظر ديوان الرضى ج ١ ص ٤٦ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ١١٢ ، ٢١٢ ، ٢٥٩ ،

٢٦٥ ، ٣٢٤ ، ٣٩٣ . ج ٢ ص ٦٤٦ ، ٦٨٠ ، ٨٥٥ ، ٨٨٦ ، ٩٥١ .

(٢) راجع أغراض المرتضى الشعرية .

وسوف نتناول فيما يلى بعضا من قصائد الرضى فى الأغراض التى بها  
اختلاف بين بينه وبين المرتضى :

### الغزل :

يشغل الغزل من ديوان الشريف الرضى حيزا كبيرا وان كان  
لا يصل فى كثرته الى مستوى قصائده فى الأغراض الأخرى التى اشتهر بها ،  
وحجازياته وحدها لا تقل عن الأرمحين قصيدة <sup>(١)</sup> . وتعتبر اشارة الحج التى  
قام بها مرات عديدة نعمة على الأدب العربى فقد وقعت عيناه فى طهرى  
الحج ومواسمه على طوائف الحسن المكنون فأتحف أدبنا العربى بالحجازيات  
الغزليات اللواتى يقرن <sup>(٢)</sup> بخمريات أبى نواس وأيضا هاشميات الكميست ،  
وزهديات أبى العتاهية وتشبيهات ابن المعتز ، ومدائح البحتري ، وغزله <sup>(٣)</sup>  
ليس حديث المقلدين ، بل حديث اللوعة والصبابة والهوى مما يجعل الدارس  
له يجزم بأن الرجل عاش للحب من عمره سنين فأرسل ذلك نقات حارات  
وكان هذا اللون واضحا فى شعر الرضى أتم الضوح ، وقد صرح لنا الشريف  
الرضى بحبه تصريحاً لا يقبل الجدل أو التأمل اذ يقول <sup>(٤)</sup> :

وأى حبيب غيب النأى شخصه  
وحال زمان دونه وخطوب<sup>١</sup>  
لك الله من مطلولة القلب بالهوى  
قتيلة شوق والحبيب غريب<sup>٢</sup>  
وأطرق والعينان يومض لحظهما  
اليك وما بين الضلوع وجيب<sup>٣</sup>

...

- 
- (١) عبقرية الشريف الرضى ج ٢ / ١١٣ - ١١٤ .  
(٢) تاريخ الأدب العربى للفاخورى ص ٦٦٨ .  
(٣) الحلى ، مقدمة الديوان ص ٩٠ يرى أنه نظم الغزل للفن الخالص لا  
للحب .  
(٤) الديوان ج ١ ص ١٤١ .

أويقول :

أحبك حبا لو جزيت ببعضه  
أطاعك منى قائد وجنيب  
وفى القلب داء فى يديك دواءه  
ألا رب داء لا يراه طبيب  
...

ومن أقواله أيضا (١) :

أشكو اليك ومن هواك شكايتي  
ويهنون عندك أن أبيت كما بي  
ياما طلى بالدين وهو محبب  
من لي بدائم وعدك الكذاب  
...

أويقول (٢) :

ولما التقينا دل قلبى على الجوى  
دليلان حسن فى الميون وطيب  
ومن قصيدة أخرى له :

دعوا لي أطباء المراق لينظروا  
سقامي وما يفى الأطباء فى الحب  
أشاروا بريح الضدل والشذا  
ورد ذمء النفس بالبارد العذب (٣)  
يطيلون جس النابضين ضلالة  
ولو علموا جسوا النواض من قلبى (٤)  
...

---

(١) الديوان ج ١ ص ١٤٣ . (٢) الديوان ج ١ ص ١٤٤ .  
(٣) ذمء النفس : بقيتها . (٤) الديوان ج ١ / ١٦٠ .

وهذا قليل من كثير يعطى الدليل على أن غزل الشريف الرضى  
أسير حب حقيقى وليس أسير الصنعة أو الخيال ، وربما كان هذا السبب  
الذى جعل النقاد ينظرون بعين الاعتبار الى غزليات الرضى التى تنبع عن  
معايشة واقعية وحب حقيقى بعكس الشريف المرتضى ذلك الرجل الوقور المتزن  
العواطف الذى أثر مركزه الدينى والعلمى على غزلياته التى أغلبها مقطوعات  
قصيرة .

ولعلنا نتساءل : كيف لم يرد ذكر زوجة الشريف الرضى فى  
شعره على رغم تشبيهه بالمرأة ؟ حتى أنه لم يرثها كما فعل أخوه المرتضى  
لما توفيت زوجته .

وقد حدثنا الرضى أيضا عن ما تناقله الرواة من الأخبار وعن حبه  
وحبيبه اذ يقول (١) :

يقولون مشغوف الفؤاد ———  
ومشغوفة تدعو به فـجـيـب  
وما علموا أنا الذى غير ريبة  
بقاء الليالى نختدي ونووب

...

وفىما يلى نتناول قطعة من حجازياته التى اشتهر بها (٢) :

ياظبية البان ترعى فى خائلة  
ليهنك اليوم أن القلب مرعاك  
الماء عندك مبدول لشاربه  
وليس يروىك الا مدمعى الباكي

---

(١) الديوان ج ١ / ١٤١ .

(٢) ديوان الرضى ج ٢ / ٥٩٣ .

هبت لنا من رياح الغور رائحة  
بمعد الرقاد عرفها برباك  
ثم اثبتنا اذا ما هزنا طرب  
على الرحال تحملنا بذكراك  
سهم أصاب وراميه بندي سلم  
من بالمراق لقد أبعدت مرمك  
وعد لعينيك عندي ما وفيت به  
ياقرب ما كذبت عيني عيناك  
حكك لحاظك ما في الريم من ملح  
يوم اللقاء فكان الفضل للحاكي  
كان طرفك يوم الجزع يخبرنا  
بما طوى عنك من أسماء قتلاك  
أنت النعيم لقلبي والمذاب له  
فما أمرك في قلبي وأحلاك  
عندي رسائل شوق لست أذكرها  
لولا الرقيب لقد بلفتها فاك  
سقى مني وليالي الخيف ما شربت  
من الغمام وحياتها وحياك  
...

اذ يلتقي كل ذي دين ومطله  
منا ويجمع المشكو والشاكي  
لما غدا السرب يعطو بين أرحلنا  
ما كان فيه غريم القلب، الآن (١)

---

(١) المحطو : رفع الرأس واليدين .

هامت بك الحين لم تتبع سواك هوى  
من علم البين أن القلب يهواك  
حتى دنى السرب ما أحيت من كمد  
قتلى هواك ولا قادت أسراك  
يا هذا نفحة مرت بفيك لنا  
ونظفة غست فيها ثيابك

...

ومنها :

وحبذا وقفة والركب مفتفل  
على ثرى وخذت فيه مطاياك<sup>(١)</sup>  
لو كانت اللمة السوداء من عددى  
يوم الغميم لما أفلت أشراكى

...

فهذه القطعة صورة من غزلياته ، وهذه الطيبة من ظباء الأنس  
صورة لمعشوقاته وقال من قصيدة أخرى يصف فيها انبهاره من الصباحة  
التي صادفها وهو ذاهب لأداء فريضة الحج<sup>(٢)</sup> :

نظرتك نظرة بالخيف كانت  
جلاء الحين منى بل قذاها  
ولم يكن غير موقفنا فطار  
بكل قبيلة منا نواها  
فواها كيف تجمعنا الليالى  
وأها من تفرقنا وأها

---

(١) الوخد : حزب من السير .

(٢) عبقرية الشريف الرضى ج ٢ / ١٣٠ - ١٣١ .

واقسم بالوقوف على ألال  
ومن شهد الجوار ومن رماها  
وأركان العتيق وانيبها  
وزمزم والمقام ومن سقاها  
لأنت النفس خالصة فان لم  
تكونيها فأنت أذن مناهها  
نظرت ببطن مكة أم خشف  
تبضم وهي ناشدة طلاها  
وأعجيني ملاح منك فيها  
قللت أخوا القرينة أم تراها  
فلولا أننى رجل حرام  
ضمت قرونها ولمست فاهها

...

وننتقل الآن الى الأبيات التالية التى قالها فى المدينة المنورة فى  
المحرم سنة ٣٩٤ هـ (١) :

وما كنت أدرى الحب حتى تعرضت  
عيون ظباء بالمدينة عيين  
فوالله ما أدرى غداة رميننا  
عن النبع أم عن أعين وجفون  
بكل حشا منا رمية نابل  
قوي على الأحشاء غير أميين

(١) عبقرية الشريف الرضى ، ج ٢ ص ١٣٣ .

جلونَ الحداقُ النجلُ وهى سقامنا  
ووارين أجساداً وسود قرون  
ولولا العيون النجل ما قادننا الهوى  
لكل لبانٍ واضحٍ وجبين  
يلجلجن قضبان البشامِ عشية  
على ثقب من ريقهن معين  
ترى برداً يعدى الى القلب برده  
فينقح من قبل المذاق بحين  
تماسكت لما خالط اللب لحظهما  
وقد جن منه القلب أى جنون  
وما كان الا وقفة ثم لم تدع  
دواعى النوى منهن غير ظنون  
نصت المطايا أبتغى رشد مذهبي  
فأقلعن عني والخواية دوني  
...

هذه النماذج من شعر الرضى نشمر ونحن نقرأها بتلك اللهب المحرقة  
التي كوت قلب صاحبنا الشريف وهى صورة لا تعلق بها ريبة ، ولا تحيط بها  
شبهه ، ولا يتجه اليها لوم ، ولا يحيب رسمها أحد ، ولا يرميها بالنقص انسان ،  
ولا تظهر ناحية مكشوفة ، انها صورة تتناسب الى حد بعيد مع نبل ذلك  
الشاعر العظيم وطهارة أعراقه ، وكماله أخلاقه (١) .

---

(١) تاريخ الأدب العربي فى العصر العباسى الثانى ٣٣٣ ، د. ابراهيم  
أبو الخشب .

أما عن الرضى الثانى الذى يختلف فيه الرضى عن المرتضى فهو المدح ، فقد كان الرضى جريئاً فى مدحه ، كما كان يمزج المدح بالفخر والتعالى وربما كان تطلعه الى الخلافة من أهم الدوافع الى ذلك .

قد يبكى الرضى الطائع يوم مات مجده مرتين (١) ، ويوم مات جسده (٢) ، مع ما ينطوى ذلك من مخاطر سياسية واجتماعية ، لكنه آثر الوفاء لمن أحسب على مطامع الحياة الثانية .

ولم يكن الشريفان ممن يتكسبون من مدائحهم ، وهذه نقطة اتفاق بينهما تتناسب مع مكانتهما ونسبهما الشريف .

كما أن الرضى قد اضطر فى حالات نادرة الى الهجاء للدفاع عن نفسه أو عرضه وكان رقيق اللفاظ .

ولقد اشتهر الشريف الرضى بشعره ، وطفى شعره على آثاره الأخرى من مؤلفات وم رسائل ، أما الشريف المرتضى فقد طفى علمه على شعره ، فاشتهر بعلمه الفزير ومؤلفاته القيمة سواء الدينية منها أم الأدبية . ونرى أنه قد آن الأولان ليحتل المرتضى مكانته اللائقة بين الشعراء .

\*\*\*

---

(١) ديوان الرضى ج ٢ / ٦٦٤ .

(٢) انظر ديوان الرضى ج ١ / ٢٢ ، ج ٢ / ٦٦٦ ، ٦٨١ .

## :: الخاتمة ::

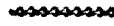


اتضح من سالف هذه الصفحات أن الشريف المرتضى كان رجلاً سياسياً واجتماعياً وذا زعامة دينية ودنيوية — رغم زهده في الدنيا — وأنه كان عالماً محققاً ، عميق التفكير ، إلا أنه اشتهر كعالم أكثر منه أديباً وشاعراً .

وقد حاولت في البحث أن أبين أن الشريف المرتضى على رغم شهرته عالماً ، فانه كأديب متمكن ، وشاعر فحل ، كان له اتجاهه الخاص الذي أثرت عليه أيضاً تأثير أسرته ونسبه ، وعلمه وزهده وتدينه ، فهو في مؤلفاته العديدة — حتى الدينية منها — لا يعدد وأن يكون أديباً في تناوله للموضوعات بروح الأديب وفكره وقلمه .

وهو كشاعر — وإن لم يخرج عن الأغراض المألوفة في عصره — فانه برع في بعض منها كالشيب ووصف الطيف ، وله كتابان مشهوران في هذين الموضوعين .  
وانه لا يسمنى في نهاية بحثي هذا إلا الاعتراف بالقصور عن القيام بالواجب نحو علم من أعلام الأدب والعلم ، أرجو أن أكون قد ساهمت بنصيب متواضع في الكشف عن مواهبه التي أعظمها الكثيرون طويلاً .

وأرجو من الباري جل جلاله أن أكون قد وفقت في بحثي هذا .  
ومن الله نستمد التوفيق «



- ١ - دیوان الشریف المرتضى ، حقه ورتب قوافیه وفسر الفاظه رشید الصفار المحامی تقدیم الشیخ محمد رضا الشیبی ، مراجعة الدكتور مصطفى جواد طبع بدار احیاء الکتب العربیة ، عیسی البابى الحلبي وشركاه بالقاهرة ١٩٥٨ م .
- ٢ - أدب المرتضى ، الدكتور عبد الرازق محیی الدین ، بغداد .
- ٣ - طیف الخیال ، للشریف المرتضى ، تحقیق حسن کامل الصیرفی ، مراجعة ابراهیم الابیاری ، الطبعة الأولى ، وزارة الثقافة والارشاد القومی سنة ١٩٦٢ م .
- ٤ - ظهر الاسلام ، أحمد أمین ، طباعة لجنة التألیف والترجمة والنشر ، القاهرة سنة ١٩٦٥ م .
- ٥ - روضات الجنات فی أحوال العلماء والسادات ، لمحمد باقر الموسوی الخونساری الأصبهانی ، ط ایران .
- ٦ - الملل والنحل ، تألیف الشهرستانی أبو الفتح محمد بن عبد الکریم بن أحمد تصحیح أحمد فهمی محمد ، القاهرة ، مكتبة الحسين التجارية ، سنة ١٩٤٨ م .
- ٧ - مقدمة ابن خلدون ، تحقیق علی عبد الرحمن وافی ، القاهرة ، لجنة البیان العربی سنة ١٩٥٧ م .
- ٨ - عبقرية الشریف الرضی ، زکی مبارک ط بیروت .
- ٩ - یتیمہ الدھر فی محاسن أهل الخضر للثعالبی ، تحقیق محمد محیی الدین عبد الحمید القاهرة ، مكتبة الحسين ١٩٤٧ م .

- ١٠ — وفیات الأعیان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ، تحقيق محمد محیی الدین عبد الحمید ، ط السعادة بمصر ١٣٠٧ هـ .
- ١١ — المنتظم فی تاریخ الملوك والأمم لابن الجوزی ، تصحیح هاشم الندوی وآخرین حیدرآباد الهند ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، سنة ١٣٥٧ هـ .
- ١٢ — تاریخ بغداد للخطیب البغدادی ، ط السعادة ، مصر ١٩٤٩ م .
- ١٣ — جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ط دار المعارف ، القاهرة ١٣٨٢ هـ .
- ١٤ — أثر التشیع فی الأدب العربی ، لمحمد الکیلانی ط ١٩٤٧ م .
- ١٥ — تاریخ ابن خلدون ، دار الكتاب اللبنانی ، بیروت ١٩٤٧ م .
- ١٦ — شذرات الذهب فی أخبار من ذهب لابن العماد ، ط مكتبة القدسی بالقاهرة ١٣٥٠ م .
- ١٧ — شرح نهج البلاغة لابن أبی حدید ، تحقيق حسن تمیم ، ط مكتبة الحياة بیروت .
- ١٨ — الفن ومذاهبه فی الشعر العربی ، شوقی ضیف ، دار المعارف بمصر .
- ١٩ — تاریخ بغداد فی العصر العباسی ، تألیف فی لسترنج ، المطبعة المریة بغداد .
- ٢٠ — الكامل لابن الأثیر ، ط المنيرية ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .
- ٢١ — معجم الأدباء لیاقوت الحموی ، دار المأمون ١٩٣٨ م .
- ٢٢ — ری سامراء فی عهد الخلافة العباسية ، د . أحمد سوسة .
- ٢٣ — أمالی المرتضی ، تحقيق أبو الفضل ابراهیم ، ط الحلبي ، مصر .

- ٢٤ - ذيل تجارب الأمم ، لأبي شجاع محمد بن الحسين ظهير الدين  
الروزراورى مصر ، ١٩١٦ م .
- ٢٥ - تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ، تحرير عبد الحليم النجار ، ط دار  
المعارف مصر ، ١٩١٦ م .
- ٢٦ - ديوان الشريف الرضى ، مع مقدمة طويلة للحلى ، تحقيق أحمد عباس  
الأزهري ، ط الأدبية ، بيروت ، عام ١٣٠٧ هـ .
- ٢٧ - فن الديج وتطوره فى الشعر العربى ، أحمد أبو حاق ، الطبعة الأولى  
١٩٦٢ م ، منشورات دار الشروق الجديد ، بيروت ، لبنان .
- ٢٨ - الصمد فى محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبى على الحسن بن رشىق  
القيروانى تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، مصر ، ١٩٦٣ م .
- ٢٩ - نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر ، مطبعة الجوائب ، القسطنطينية ،  
١٣٠٢ هـ .
- ٣٠ - فن الفخر وتطوره فى الشعر العربى ، ايليا حاوى ، ط بيروت ١٩٦٠ م .
- ٣١ - لسان العرب المحيط لابن منظور ، تقديم الشيخ عبد الله العلايلى ،  
اعداد وتصنيف يوسف خياط ، ونديم مرعشلى ، بيروت .
- ٣٢ - فنون الأدب العربى ، الفن الثنائى ، الرثاء دار المعارف بمصر ١٩٥٥ م
- ٣٣ - فنون الأدب العربى ، الفن الثنائى ، الفزل ، دار المعارف بمصر  
١٩٦٤ م .
- ٣٤ - الرائد ، معجم لغوى عصرى رتبت مفرداته وفقا لحروفه الأولى ، جبران  
مسعود ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، بيروت .
- ٣٥ - محيط المحيط ، بطرس لبتانى ، مكتبة لبنان ، بيروت " نسخة طبسق  
الأصل طبعت بطريقة الفوتو أوفست نقلا عن طبعة ١٨٢٠ م " .

- ٣٦ — ترتيب القاموس المحيط على طريقة الصباح المنير ، طاهر أحمد الزاوى  
الطرابلسي .
- ٣٧ — أساس البلاغة ، الطبعة الأولى ١٩٥٩ م ، مطبعة الرسالة ، القاهرة .
- ٣٨ — دائرة المعارف الإسلامية ، جماعة من المستشرقين .
- ٣٩ — تاريخ الأدب العربى للفاخورى ، ط ١٩٥١ م .
- ٤٠ — تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الثانى ، د . ابراهيم أبوالخشب
- ٤١ — شعراء من الماضى ، مدخل الى الواقعية فى الشعر العربى ، دراسات  
ونصوص أدبية لعدد كبير من الشعراء الذين أغنوا التراث العربى  
منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٢ م . كامل العبد الله .
- ٤٢ — أمراء الشعر العربى فى العصر العباسى ، أنيس المقدسى ، دار العلم  
للملايين بيروت ، الطبعة السابعة ١٩٦٢ م .
- ٤٣ — النثر الفنى فى القرن الرابع . د . زكى مبارك . دار الجيل ، بيروت  
١٩٧٥ .

| فهرست الموضوعات                                     | رقم الصفحة |
|-----------------------------------------------------|------------|
| مقدمه                                               | ١          |
| (الباب الاول)                                       |            |
| المرتضى وعصره                                       |            |
| الفصل الاول : عصره                                  | ٢          |
| أولا : الحالة السياسية                              | ٣          |
| ثانيا : ٥ الاجتماعية                                | ٧          |
| ثالثا : ٥ الفكرية                                   | ٩          |
| رابعا : ٥ الادبية                                   | ١٤         |
| الفصل الثاني : حياته                                | ٢٠         |
| أولا : طفولته                                       | ٢١         |
| ثانيا : شبابه وكمولته                               | ٢٤         |
| ثالثا : شيخوخته ونهايته                             | ٣٠         |
| رابعا : الاسره الصغيره                              | ٣٥         |
| خامسا : الاسره الكبيره                              | ٣٩         |
| سادسا : أثرهما في الشعر                             | ٥٥         |
| سابعا : شخصيته وصفاتها الجسديه والنفسيه والاجتماعيه | ٦٦         |
| ثامنا : أساتذته                                     | ٧٦         |
| تاسعا : عقيدته                                      | ٨٢         |
| عاشرا : صلته بمجتمعه                                | ٩٤         |
| الفصل الثالث : آثاره ومصادر أدبه                    | ١٥١        |
| مؤلفاته الدينيه                                     | ١٥٤        |
| مؤلفاته الادبيه                                     | ١٦١        |
| فهرست كتبه                                          | ١٦٩        |

( الباب الثانى )

رقم الصفحة

نشره الادبى

|     |                                        |
|-----|----------------------------------------|
| ١٨٠ | تمهيد .....                            |
| ١٨٩ | الفصل الاول : موضوعات نشره .....       |
| ١٩٣ | الفصل الثانى : خصائص نشره الفنيه ..... |

( الباب الثالث )

أغراض شـعره

|     |                                     |
|-----|-------------------------------------|
| ٢٠٧ | تمهيد .....                         |
| ٢٠٨ | الفصل الاول : المصحح .....          |
| ٢٣٥ | الفصل الثانى : الفخر .....          |
| ٢٥١ | الفصل الثالث : الرثاء .....         |
| ٢٦٢ | الفصل الرابع : الاخوانيات .....     |
| ٢٧١ | الفصل الخامس : الغزل .....          |
| ٢٨٠ | الفصل السادس : الوصف .....          |
| ٣٢٤ | الفصل السابع : الزهد .....          |
| ٣٣٢ | الفصل الثامن : الوعظ والارشاد ..... |

( الباب الرابع )

شاعريته وخصائص شعره

|     |                                             |
|-----|---------------------------------------------|
| ٣٣٨ | تمهيد : .....                               |
| ٣٤٣ | الفصل الاول : عوامل شاعريته .....           |
| ٣٤٨ | الفصل الثانى : الخصائص الفنيه فى شعره ..... |
| ٤٠٧ | الفصل الثالث : بين الرضى والمرضى .....      |
| ٤٥٦ | الخاتمه .....                               |
| ٤٥٧ | فهرس أهم المراجع .....                      |
| ٤٦١ | فهرست الموضوعات .....                       |